

تاريخ نقد العهد القديم

من أقدم العصور حتى العصر الحديث



تحرير: زلمان شارار ترجمة: أحمد محمد هيندي تقديم و مراجعة: محمد خليفة حسن

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة

تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث

تحرير

زالمان شازار

ترجمه من العبرية

أحمد محمود هويدى

تقديم ومراجعة

محمد خليفة حسن أحمد



٢٠٠٠

هذا الكتاب ترجمة للجزء الأول من كتاب :

זלמן שזר

מפרד"ס התנ"ך

מחקרים במקרא ובתולדות ביקורת המקרא

הוצאת : קרית ספר"י, ירושלים - תשל"ט

تقديم

يتناول الكتاب الذى نقدمه للقارئ الكريم تاريخ نقد العهد القديم من بدايته وحتى العصر الحديث . والعهد القديم هو كتاب اليهود المقدس الذى يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات (الحكمة) . ونشير هنا إلى أسباب نشأة نقد العهد القديم وتطوره (أو أسباب تطوره) .

أولاً : النقد اليهودى

تطور نقد يهودى للعهد القديم ، وهو نقد نستمد منه نص العهد القديم نفسه ، فضلاً عن النقد الذى أتى من مصادر يهودية خارجة عن العهد القديم ، والأسباب التى أدت إلى وجود النقد اليهودى هى

١ - الاختلاف اليهودى حول نص التوراة

وقد نشأ فى وقت مبكر ، حيث تعرضت التوراة المنزلة على موسى عليه السلام للضياع كنعس يبنى ثابت . وتطور لدى بنى إسرائيل " اليهود " روايات شفوية حلت محل النص الإلهى المكتوب " المدون " . وظلت التوراة على هذا الوضع الشفوى من بعد عصر موسى وحتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ؛ حيث تم تثبيت نص التوراة وتم تدوينه بعد أن كان نصاً شفويًا . وهذه المرحلة تغطى ما يقرب من ثمانية قرون كاملة اتخذت التوراة هذا الشكل الروائى الشفوى . وكانت بطبيعة الحال أشبه بالكتاب المفتوح الذى يضاف إليه ويستقص منه على حسب الاتجاهات والمذاهب الدينية اليهودية التى ظهرت فى الحياة اليهودية خلال القرون الثمانية . والتى نتج عنها تعدد

الروايات ، ثم قيام عزرا بعملية تحرير لما هو متوافر أمامه من روايات توراتية شفوية ، والقيام بعملية توفيق بين المواضع المتناقضة والمواضع المختلفة ، والانتهاء من وضع نسخة واحدة للتوراة هي التي تم تثبيتها والاعتراف بها منذ عصر عزرا . ويلاحظ أن هذا العمل الكبير ينطبق فقط على التوراة وليس على بقية الأسفار . ونظرا لأهمية هذا العمل اكتسب عزرا مكانة عظيمة في التاريخ الديني اليهودي . وعادة ما يربط بموسى عليه السلام في الأهمية ؛ لأنه على حسب الفهم اليهودي إذا كان موسى عليه السلام هو الذي تلقى الوحي فإن عزرا هو الذي حفظه وثبته . ولا يستبعد في أن يكون هذا سبب تقديس عزرا . وهناك إشارات قرآنية لهذا التقديس .

٢ - الفرق اليهودية واختلافها حول نص العهد القديم

ومن أهم الفرق اليهودية وأقدمها فرقة السامريين التي تعود نشأتها حسب الفهم اليهودي إلى الانشقاق الذي حدث بعد موت سليمان عليه السلام وانشقاق مملكته إلى شمالية وجنوبية . وأصبحت السامرة العاصمة السياسية والدينية للمملكة الشمالية . ونافست السامرة أورشليم كمركز ديني وسياسي . ونتيجة لهذا الانقسام رفض السامريون التراث الديني المرتبط بلورشليم . ورفضوها كقابلة دينية حتى سقوط السامرة ٧٢١ ق. م. ومع هذا التطور ظل اللاهوت السامري منافسا لللاهوت أورشليم ، واستمرت فرقة السامرة في الوجود منذ ذلك الوقت وحتى الآن . وهم لا يعترفون باليهود الريانيين ، كما أن اليهود الريانيين لا يعترفون بهم ويرفضون الزواج منهم ، ولا يعتبرونهم يهودا ، ويضمونهم للأمم الأخرى . وموقف السامريين من الكتاب المقدس هو أنهم لا يعترفون إلا بالأسفار الستة الأولى فقط من العهد القديم . ولهم تفسيرهم الخاص للتوراة ، كما أنهم يفسرون بعض مواضع من التوراة حسب رؤيتهم الدينية . ويفسرون الفقرات التي تشير إلى أورشليم على أنها تشير إلى مكانهم المقدس أو

تبلت لهم الدينية الجديدة ، وهى الصامرة . وتفسير الفقرات الخاصة بجبل صهيون على أنها تشير إلى جبلهم المقدس ، وهو جبل جريزيم . وبالإضافة إلى رفضهم بقية أسفار العهد القديم يرفضون كل التراث الشفوى الذى يعترف به ويقدس اليهود الريانيون وهم أيضا يرفضون التلمود وكل الشروح التى بنيت عليه ويرفضون ما يسمى بالشرعة الشفوية . وهم يقولون فيما يتعلق بالعهد القديم " التوراة الربانية " أنها توراة محرقة قام بتحريفها عزرا الكاتب . وقد كونوا داخل اليهودية فرقة دينية مستقلة لها رؤية دينية يهودية مستقلة .

أما فرقة القرائين فهى فرقة لا تعترف إلا بأسفار العهد القديم ، وتسميتهم مأخوذة من كلمة " المقرأ " ، وتعبر التسمية عن الموقف الدينى الرافض للتراث الدينى خارج المقرأ . وهم يرفضون التراث الشفوى والشرعة الشفوية غير المكتوبة ، ويرفضون التلمود . وقد دخلوا مع الريانيين فى جدل دينى كبير خلال العصر الوسيط - وهم واقعون تحت تأثير إسلامي - خاصة فيما يتعلق بنقد العهد القديم ومفهوم الألوهية .

٢ - اختلاف البيئات اليهودية

من المعروف أن التاريخ اليهودى يتميزه ظاهرة الشتات الذى نتج عنه حياة اليهود فى ظل بيئات وثقافات وحضارات مختلفة وقموا تحت تأثيرها : منها بيئات وثنية قديمة ، ومنها بيئات توحيدية مثل المسيحية والإسلام ، ومنها أيضا بيئات حديثة معاصرة تنتشر فيها العلمانية والإلحاد كما هو الحال فى أوروبا المعاصرة وأمريكا . وفى ظل هذه البيئات المختلفة بيئيا ومذهبيا تكيف اليهود مع الأوضاع الثقافية والفكرية لهذه البيئات ، واستجابوا إيجابا وسلبا للمعطيات الفكرية لهذه البيئات كما انشغلوا أيضا بعمليات الجدل الدينى وبخاصة فى البيئات التى تعرضت لنقد اليهودية ، ونقد كتابها المقدس . وقد اشتد الجدل على وجه التحديد فى البلاد المسيحية والإسلامية

التي لها أصلا موقف من الكتب المقدسة اليهودية ، الأمر الذي أدى إلى تطور نقد للكتب المقدسة اليهودية في هذه البيانات .

ثانياً : النقد المسيحي

تطور نقد مسيحي لكتاب العهد القديم على الرغم من قبوله ككتاب مقدس وضمه إلى أسفار العهد الجديد في كتاب واحد تحت اسم " الكتاب المقدس " . ويظهر هذا النقد المسيحي في ذروته في التسمية التي اختارتها المسيحية للأسفار المقدسة اليهودية حيث أطلقت عليها اسم " العهد القديم " في الوقت الذي سمت فيه الأسفار المقدسة المسيحية باسم " العهد الجديد " . والدلالة التقية هنا واضحة في الصفتين " القديم " و " الجديد " . وتشير هذه الدلالة إلى أن العهد المعطى لبني إسرائيل أصبح عهداً قديماً أي باطلاً أو ملغياً ، وأن هناك أمة جديدة هي الأمة المسيحية دخلت في عهد جديد وحلت مكان الجماعة القديمة وهي جماعة بني إسرائيل صاحبة العهد القديم الملغى .

كما تعرض العهد القديم للنقد المسيحي من خلال إعادة تفسيره في ضوء معطيات الدين المسيحي وعقائده المختلفة عن معطيات اليهودية وعقائدها . ولعل أهم مفهوم تلقى تفسيراً مسيحياً جديداً هو مفهوم الخلاص والمسيح المخلص ، حيث فسرت الديانة المسيحية كل ما ورد عن الخلاص والمسيح المخلص في العهد القديم تفسيراً جديداً ، واعتبرت كل الإشارات الخلاصية والمواضع التي ورد فيها ذكر المسيح المخلص مشيرة إلى الخلاص الذي أتى به عيسى عليه السلام وإلى عيسى عليه السلام كمسيح مخلص .

ثالثاً : النقد الإسلامي

بالنسبة للنقد الإسلامي للعهد القديم ، فقد أتى القرآن الكريم بنظريتين أساسيتين هما عماد النقد الإسلامي وأصبحت فيما بعد عماد النقد الغربي الحديث والذي تمثله

مدرسة يوليوس فلهاوزن أفضل تمثيل . وهاتان النظريتان هما نظرية التحريف والتبديل ، ونظرية تعدد المصادر والتي أصبحت أساس النقد المصدري للتوراة وبقية أسفار العهد القديم في القرنين التاسع عشر والعشرين . وهنا يجب أن نتعامل مع مصطلحي " التحريف والتبديل " على أنهما مصطلحان نقديان ينتميان إلى مجال النقد الأدبي . وتشير المعاني الأساسية لهما في القرآن الكريم إلى الدلالة النقدية الأدبية قبل أن يتحولا في القرآن الكريم وفي المصادر الإسلامية الناقدة للتوراة إلى مصطلحين ملمعين بالدلالة الدينية وهي إحداث التغيير في الدين . فالعبارة القرآنية " يحرفون الكلم عن مواضعه " (المائدة : ١٣) تشير إلى حدوث عملية لغوية أدبية أسلوبية تم من خلالها تغيير الدلالة الدينية . ومعنى الآية " يبدلون الكلم من معناه " والكلم هو التوراة وذلك بتحريفهم التوراة وكتابة ما يرغبون فيها ومحو ما لا يرغبون أو تحريفهم معانيها بما يتفق وأهوائهم . وكذلك في الآية " يرينون أن يبدلوا كلام الله " (الفتح : ١٥) أي يغيروه . فالمقصود بالتحريف والتبديل تغيير الكلام ليعطى معنى غير المعنى الأصلي الذي أتى به الوحي . وفي النقد الأدبي الحديث تم تفريغ هذه المصطلحات من دلالاتها الدينية وأصبحت مصطلحات نقدية أدبية عامة تطبق على أية نصوص أدبية كانت أو دينية .

أما نظرية المصادر فقد عبرت عنها الآية القرآنية الكريمة " أفلا يتنبئون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجئوا فيه اختلافا كثيرا " (النساء : ٨٢) . والمعنى المباشر هو أن الاختلاف ينتج عن تعدد المصادر الإنسانية . أما المصدر الواحد - وهو الوحي الإلهي - فوجئته تمنع الاختلاف والتناقض .

رابعاً : تطور نقد العهد القديم في العصر الحديث

تأثر اليهود بشكل النقد المسيحي والإسلامي في العصر الوسيط ، فرفضوا أكثره

وقبلوا بعضه ، وظهرت فرق يهودية متأثرة بالنقد المسيحي والإسلامي ، وظهرت فرق متأثرة أيضا بالفلسفة والتفسير العقلي للكتب المقدسة والتزمت بتأويل الفقرات التي ليست قابلة للتفسير الحرفي والتي يبدو منها أنها متناقضة مع العقل . أما اليهود الذين عاشوا في أوروبا وأمريكا فقد وقعوا تحت تأثير الثقافة الغربية ومعظمها ثقافة علمانية تفصل بين الدين (و الدنيا) الدولة، وبعضها لا يعترف بالدين أصلا انطلاقا من عدم الاعتراف بالآلهية أو بوجود إله . وقد انخرط اليهود في هذه التيارات فنجد أن بعضهم تشدد ضدها متمسكا بصحة العهد القديم والبيان اليهودية ، وبعضهم ترك اليهودية وأصبح علمانيا أو ملحدا . كما خضع اليهود أيضا للتيار العقلاني وفسروا اليهودية والكتاب المقدس تفسيراً عقليا .

ونشأ عن هذا الاتجاه مدرسة نقد الكتاب المقدس وخاصة نقد العهد القديم . وهناك عدة أسباب لتطور علم نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث . منها :

١ - الاكتشافات الأثرية في منطقة الشرق الأدنى القديم

أدت الاكتشافات الأثرية في العصر الحديث إلى التعرف على معظم الكتابات العربية القديمة والتعمق في معرفة النصوص الهيروغليفية المصرية ، والكتابات المسمارية والحوليات الآشورية والبابلية ، وكذلك التعرف على بعض اللهجات العربية (السامية) التي كانت مجهولة ومن أهمها اللغة الأيجريزية نسبة إلى أوجريت - رأس شمرا حاليا - في المنطقة السورية وتأثير هذه اللغة على العبرية والآرامية ، والتعرف أيضا على النقوش العربية الشمالية والجنوبية، ومن هذه الاكتشافات أيضا وثائق البحر الميت والتي كان لها أثر كبير في معرفة طبيعة الفترة المحصورة بين العهدين ، أي بين نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد ، والتعرف على الفرق اليهودية والحصول على نسخ متعددة من أسفار العهد القديم لم تكن موجودة من قبل .

ومن أهم نتائج الاكتشافات الأثرية ، اكتشاف مجموعات قانونية جديدة فى مصر القديمة وبلاد النهرين كشفت لنا عن مؤثرات مصرية آشورية بابلية على الأحكام والتشريعات التوراتية بعد أن ساد الاعتقاد بأن الإسرائيليين القدامى فقط هم الذين أنشأوا التشريعات وطبقوها على حياتهم . وقد أثبتت هذه الأمور جميعا فشل النظرية التى تقول بالاستقلال الدينى والفكرى لجماعة بنى إسرائيل عن الشعوب المحيطة استنادا إلى الاختلاف فى العقائد الدينية بين التوحيد فى بنى إسرائيل والتعدد عند غيرهم حيث ثبت اتصال جماعة بنى إسرائيل بالشعوب الأخرى فى الشرق الأدنى القديم ووقوعهم تحت التأثير الحضارى للشعوب السورية والمصرية والعراقية القديمة وأيضا الفرس . وأثبتت أيضا دور الشتات فى وقوع التأثير الأجنبى على بنى إسرائيل .

٢ - اكتشاف عجز نظرية فلهاوزن فى الكشف عن طبيعة العهد القديم

نجحت مدرسة فلهاوزن نجاحا كبيرا فى تحديد مصادر التوراة . وقد ركزت على ذلك تركيزا شديدا ، ولم تتجاوز حدود النقد المصدري إلى تطوير اتجاهات نقدية أخرى تساعد على فهم العهد القديم وبالتالي فهم حياة بنى إسرائيل قديما من خلال العهد القديم الذى يعد المصدر الوحيد لتاريخ بنى إسرائيل وديانتهم . ومن النقد الذى وجه إلى نظرية فلهاوزن أيضا الاستغراق الشديد فى تحليل النص ومفرداته وتحديد علاقة الوحدات الأدبية الكبيرة والصغيرة ببعضها البعض ، والاهتمام بالنقد اللغوى ، وهى كلها مقدمات نقدية هامة من حيث إنها أثبتت إنسانية النص أو على الأقل اختلاط المادة الإنسانية بالمادة الإلهية فيها وعلى الرغم من هذه النتيجة الكبيرة ظل العهد القديم كتابا مغلقا صعب الفهم على المستوى الدينى والأدبى والتاريخى والاجتماعى والاقتصادى . ويؤخذ على نظرية فلهاوزن أيضا التركيز الشديد على المصدرين

الكنهوتى والتثنوى وهما مصدران مهتمان بالجانب الخاص بالعبادة والخدمة الدينية والتشريعات وفيها إهمال لبعض الجوانب التاريخية والمقائد والجوانب الاجتماعية . وقد تم إهمال شرح نصوص العهد القديم على المستويات المذكورة وعدم الاهتمام بتحليل الأحداث التاريخية وعدم التعرف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى أدت إلى نشأة النصوص وتطورها فى شكل روايات شفوية قبل أن يتم تدوينها . ولم تهتم أيضا بتحليل ومعالجة الصور والأشكال الأدبية المختلفة الواردة فى العهد القديم مثل القصص والروايات والحكم والأمثال ، كما أنها لم تهتم بدراسة المضامين الدينية والفلسفية والأخلاقية فى العهد القديم .

٣- التطور المنهجي فى العلوم الإنسانية والاجتماعية

شهد القرن العشرون تطور المناهج فى العلوم الإنسانية كما ازدهرت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية ، وكذلك تطور علم الدين فى الغرب ونشأت مجموعة من العلوم الدينية ذات القيمة الكبيرة فى فهم مادة العهد القديم ومن أهمها : علم تاريخ الأديان ، علم الظاهرة الدينية ، علم مقارنة الأديان ، علم الاجتماع الدينى ، علم النفس الدينى ، علم الأنثروبولوجيا الدينية ، وعلم جغرافية الأديان ، وكلها علوم حديثة استفادت من المنهج فى تخصصها وساعدت على تعميق المعرفة الدينية عند الإنسان والكشف عن طبيعة الخبرة الدينية ، وقد تم تطبيق مناهج هذه العلوم على بعض الشعوب البدائية ، ثم انتقل تطبيق هذه المناهج إلى مجال العهد القديم مما أدى إلى الدخول فى مرحلة جديدة من النقد أدت إلى فهم أكثر عمقا لديانة بنى إسرائيل ولطبيعة الإسرائيليين القدامى وعلاقتهم الدينية والفكرية بالشعوب المحيطة بهم .

٤ - أثر الدراسات النقدية الأدبية فى نقد العهد القديم

استفاد نقد العهد القديم من التقدم الذى شهدته الدراسات النقدية الأدبية وبخاصة فى مجال تطبيقها على النصوص الأدبية الكلاسيكية مثل النصوص اليونانية واللاتينية وتطبيقها على الأعمال الأدبية الكلاسيكية الأوربية . وتطور عدد من المدارس والاتجاهات النقدية مثل المدارس الواقعية والرومانسية والتعبيرية وغيرها ، وانتهت هذه التطورات إلى نشأة عدة اتجاهات فى نقد العهد القديم منها بالإضافة إلى النقد المصدري والنصى التابعين للهارونز تطور النقد الأدبى والتاريخى ونقد الصور الأدبية . وتطور الاتجاهات الأدبية والفنية والأنثروبولوجية . وتطور الاتجاه النقدى المقارن والاتجاه الفلسفى والنقد الأخلاقى.

ويقدم هذا الكتاب عرضاً موجزاً لتاريخ هذه العملية النقدية الطويلة للعهد القديم فيبدأ بعملية تثبيت نص التوراة . وهى فى حد ذاتها عملية نقدية قام بها عزرا الكاتب فى القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفهية وكتابتها بعد محاولات التوفيق بينها بسبب اختلافها الراجع إلى تعدد مصادرها . ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم وتحديد الكتب للمقروء والمكتوب ، وموقف علماء التلمود من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم ، والإشارة إلى تداخل الأقوال فى أسفار الأنبياء وإلى التناقضات داخل التوراة وإعطاء أمثلة على هذا التناقض . وأشار المؤلف إلى ازدهار النقد فى الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية . وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد القديم وبخاصة عند مارتن لوثر وتلاميذه . كما اهتم بتوضيح دور سبينوزا الفيلسوف اليهودى فى تطوير نقد العهد القديم وإثارته للعديد من المشاكل النقدية مثل مسألة

تأليف موسى عليه السلام للتوراة ، والنظر إلى أسفار الأنبياء على أنها أسفار تاريخية ومصدر تاريخي في المقام الأول ، ويعزى في تأليف التوراة وأقدمية سفر التثنية وزمن تأليف الأسفار الخمسة وغير ذلك من المشاكل النقدية .

وتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من أستروك وتحديد المصدرين اليهودي والأكوهيمي وإضافات أيشهورن ، وملاحظات هيردر وتشعبات إلجن المصدرية وأراء جديس وفيتز دى - فته ، وتحديد المصادر الأربعة عند عدد من نقاد العهد القديم (وهى اليهودي والأكوهيمي والكهنوتي والتثنوي) . وقد خصص لمدرسة بيايوس فلهاوزن فصلا كاملا موضحا أراء هذه المدرسة كمدرسة مطورة لعلم نقد العهد القديم ، كما تعرض للأراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن . واهتم بإعطاء رواد الفعل اليهودية تجاه النقد العلمى للعهد القديم وتطور نقد يهودى حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية ونقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية .

وعلى الرغم من فترة المؤلف الجيدة على تغطية نقد العهد القديم بشكل موجز فقد أهمل النقد الإسلامى للتوراة وبقية أسفار العهد القديم إهمالا تاما على الرغم من أهمية هذا النقد الإسلامى فى نشأة النقد اليهودى للعهد القديم فى العصر الوسيط وبخاصة فى الأندلس .

وقد قدم جهود العلماء اليهود فى العصر الوسيط فى نقد العهد القديم على أنها تطور يهودى داخلى ، والحقيقة التاريخية تثبت أن نشأة النقد وتطوره فى العصر الوسيط إنما حدث بتأثير إسلامى مباشر عن طريق القرآن الكريم وأرائه النقدية فى التوراة اليهودية وتقديمه لنظريات التحريف والتبديل ، وتعدد المصادر ، ووسائل إحداث التغيير النصى فى التوراة . وأيضا من خلال مصادر علم الكلام عند المسلمين ، ومصادر تاريخ الأديان وعلى رأسها ابن حزم الأندلسى ومحمد الشهرستانى أعظم

مؤلفي المسلمين في مجال المال والنحل ، والأول (ابن حزم) يعتبر بحق مؤسس علم نقد العهد القديم كما شملت أعمال المسعودي والغزالي على آراء نقدية هامة تستحق الدراسة . وننبه هنا إلى أنه لا يمكن دراسة نقد العهد القديم بمعزل عن التراث النقدي الإسلامي .

وفي النهاية أتوجه بالشكر الجزيل إلى مترجم هذا الكتاب الدكتور أحمد محمود هويدى الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة على مجهوده الكبير الذى بذله فى ترجمة الكتاب عن اللغة العبرية الحديثة وفى موضوع صعب هو نقد العهد القديم .

وسيسفيد من ترجمته هذه المتخصصون فى عدد من المجالات من أهمها : تاريخ الديانة اليهودية ، وتاريخ العهد القديم ، والنقد الألبى والتاريخى ، فإليه الشكر والتقدير .

محمد خليفة حسن

تصدير

تقدم علم نقد العهد القديم تقدما كبيرا في الغرب منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن ، وعلى الرغم من أن نقد العهد القديم علم إسلامي جنوزه في القرآن الكريم ثم في كتب التفسير وكتب الملل والنحل ، لكننا لا نجد كتابا في اللغة العربية قد اهتم ببيان هذا العلم عند المسلمين أو المستشرقين . وذلك باستثناء بعض الإشارات التي وردت عن مصادر التوراة في ثانيا الكتب التي تناولت الديانة اليهودية خاصة كتاب " الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه " للأستاذ الدكتور حسن ظاظا (يرحمه الله) ، وكتاب " اليهودية " للأستاذ الدكتور محمد بحر عبد المجيد . أما أول دراسة وافية باللغة العربية عن نشأة نظرية المصادر وبيان الخصائص التاريخية والدينية لكل مصدر فهي الدراسة القيمة التي قنمها الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن في كتابه " علاقة الإسلام باليهودية ، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية " .

ولأن المكتبة العربية تفتقر إلى كتاب يتناول تاريخ نقد العهد القديم رأينا من واجبنا ترجمة كتاب يتناول هذا الموضوع لكي يفيد الدارسين في مجال دراسات العهد القديم . ونقدم هنا الجزء الأول وهو يقدم رؤية تاريخية وصفية لتاريخ نقد العهد القديم منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث ، وسوف تتبع ذلك - إن شاء الله - بالجزء الثاني .

ولقد هنا أن أشير إلى أن الهدف من ترجمة هذا الكتاب دعوة الباحثين إلى تأصيل نظريات نقد العهد القديم التي تطورت في الغرب في ضوء التراث الإسلامي ، حيث لا يمكن فصل نشأة نقد العهد القديم وتطوره عن نشأة وتطور الدراسات العربية الإسلامية وتطورها في الغرب .

وما كان هذا الكتاب ليرى النور لولا التشجيع الدائم والمستمر من أستاذي العالم
الجليل الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن ، وقد أفدت كثيرا من ملاحظاته القيمة ،
التي أضفت على الترجمة وأسلوبها جمالا وروعة يلحظها القارئ في كل صفحة من
صفحات الكتاب ، فتوجه لسيادته بخالص الشكر والتقدير والعرفان . وأشكر المجلس
الأعلى للثقافة لاهتمامه بنشر هذه الترجمة التي أرجو أن تحقق هدفها .
أحمد هويدي

مقدمة

اعتاد مؤلفو المداخل للعهد القديم أن ينكروا في مقدمة كتبهم - بإيجاز شديد وفي خطوط عامة جداً - تاريخ نقد العهد القديم . وباستثناء تلك الصفحات المعدودة والمقالات الموسوعية المنفصلة لم يكتب في أى لغة كتاب قائم بذاته عن تاريخ تطور هذا الفرع العلمى ومنهجه ، الذى تحمس له عباقرة الفكر منذ الأزل .

وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بنقد العهد القديم عند أمم العالم ، فمن الأولى ذكر ما يتعلق بمحاولات نقد العهد القديم بين اليهود ، فعلماء الأمم ينظرون إلى الفكر العبرى كله بمثابة إرث للماضى ، ولم يذكروا فى عروضهم الموجزة للباحثين أى باحث عبرى . باستثناء بعض الأسماء من العصر الوسيط ممن كان لهم حظ الانتشار على يد باحث غير يهودى . واعتبر بحث العهد القديم علماً أجنبياً فى نظر رؤساء المتحدثين فى الدوائر اليهودية لفترة طويلة . وفى نفس الوقت لا يوجد مقال شامل باللغة العبرية عن تاريخ نقد العهد القديم عند اليهود . وفى نفس الوقت عرف الميراث الألبى منذ عصر الجالونيم ، وتوصل بعض كبار المفسرين إلى القيم الطمعية ، وأهمل العديد من الأثريين من الكنوز التى كشفت فى العالم . وفى الألب الجديد يمكن كشف بعض المحاولات من جانب الباحثين اليهود لوضع أساس يهودى لهذا العلم . وتجمعت ثروة كبيرة من الأبحاث والأفكار والآراء التى توحدت حول وجهة نظر معروفة ، وحول ابتكار محدد واحد لنظرية محددة .

من أجل تحقيق هدفنا وهو أن نقدم للقارئ العبرى علوم العهد القديم بكل ثقافتها الأساسية ونوجه فكره تجاهها لا يمكننا أن نكتفى بهذه الدائرة الضيقة التى كونها آخرون لأنفسهم . فقبل أن نسير فى طلب البحث العلمى فى الخارج رأينا من الواجب علينا أن نفحص وسط الفكر العبرى ، ونحاول أن نلفت نظر المهتم العبرى بقسم بحثنا نحن الذى لم يتوقف منذ تكوينه وحتى الآن .

وفى هذا العرض - كما فى الأجزاء التى ستظهر مستقبلاً - رأينا على قدر استطاعتنا ألا نسعى وراء كثرة التفاصيل سواء فى القسم العبرى أو فى القسم العام، ولا نسبح للقارئ أن يفضل الطريق بين اضطراب النظريات والاتجاهات العديدة .

وقد كان أساس رغبتنا أن نبز أساس العمل ، أى الطريق الأساسى الذى يرتقى من مرحلة إلى مرحلة ، ولم تكن أمامنا أهداف بيليوجرافية ، ولذلك لا يبحث المتصفح للكتاب عن هذه الزاوية . ولم يكن غرضنا سوى أن نقدم تطور نظرية النقد ، لذلك نشير إلى التفاصيل التى توضح طبقا لوجهة نظرنا حلقات التطور .

وكما قلنا ، فلم تدخل فى المناقشات آراء العلماء حول نظرياتهم أو آراء الذين دخلوا فى الصراعات دفاعاً عن مادة التوراة . ومن خلال حرب الآراء برزت النظرية العلمية ونقحت وتطورت ، وليس لنا هنا إلا أن نعبر عن هذا التطور فقط .

وحتى الآن لم يكتب كتاب شامل عن الموضوع ، ولكنه بحث فى فصول متفرقة من قبل الكثيرين . واهتم بعضهم بالموضوع بشكل كاف . ومن القسم العام نذكر كتب المقدمات لـ : هولتسينجر وكورنيل واشتوير ناجل واشتراك واستيفل صاحب كتاب «مصادر التوراة» والمقالات المفصلة لبينتش وجونكل فى المجموعة الموسوعية « الدين فى التاريخ والعصر الحاضر » . ومن القسم العبرى نشير بوجه خاص إلى ي ، ل تسونس و ا . ه فايس والبروفيسير أ . آ فتوفيسر و د / ايزنشت و د / ش فوزننكسى والبروفيسور ش . شاختر والبروفيسير زئيف باخر وأفراهام أفشتاين والبروفيسير ملتر و د / روزن ، و د / جوتمان وغيرهم ، فكتبهم ومقالاتهم كانت لنا معينا .

وهذا الكتاب ثمار عمل مشترك سواء فى خطته أو فى تفاصيل أقسامه ، ويعتبر م . سولوفيتشيك مسئولاً عن مضمون الفصل الخامس ، والفصول من السابع حتى الحادى عشر . كما يعتبر ز . روفشوف مسئولاً عن الفصول من الأول وحتى الرابع ، والفصل السادس ، والفصلين الثانى عشر والثالث عشر . وقد قام روفشوف بتحرير كل فصول الكتاب .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الأول

تثبيت العهد القديم

١ - التفسير في العهد القديم

متى بدأت في إسرائيل مواجهة مشاكل النصوص الموجودة في الكتابات المقدسة ؟ ومتى بدأ البحث ... عن أسس ترتيبها وكشف المعاني غير المقبولة فيها ؟ بدأ ذلك في نفس الوقت الذي نزل فيه إلى العالم وُحِّد فيه مفهوم الكتاب المقدس .

إن تفسير هذا الأدب الذي تم جمعه واكتسب درجة من القداسة لم يكن ليتم إلا بعد دراسة متعمقة في كل أقسامه . وقد وجد الأنبياء المتأخرون أقوال الأنبياء السابقين مجموعة أمامهم فعكفوا على دراستها وتنقيحها من أجل نقدها أو للاعتماد عليها وتفسيرها .

وهناك إشارات نقدية أولية داخل مادة العهد القديم الموجودة حاليا ، وأول هذه الإشارات في التوراة " ... مفتقد إثم الآباء في الأبناء وأبناء الأبناء في الجيل الثالث والجيل الرابع " (الخروج ٢٤ : ٧) ، ثم أعلن حزقيال : " مآلكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل ... وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب ... النفس التي تخطئ هي تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب ... بر البار يكون عليه وشر الشرير عليه يكون " (حزقيال ١٨ : ٢ ، ١٩ - ٢٠) . وتنبأ النبي إرميا قائلا إني عند تمام سبعين سنة لبابل أتمهركم وأقيم لكم كলামي الصالح بركم إلى هذا الموضع (إرميا ٢٩ : ١٠) ، ثم أعلن دانيال " سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكامل المعصية وتعميم الخطايا " (دانيال ٩ : ٢٤) .

وأدرك باحثو العهد القديم من التلموديين أثر هذا النقد ، وأشاروا إلى أنه : " يوجد أحيانا نصان متناقضان فيلجئ النص الثالث ويحسم هذا التناقض بينهما " . وعلى ما يبدو لم تكن آراء الأنبياء متفقة فيما يتعلق بتساليب النقد وكيفية فهم التوراة المعترف بها عندهم . وإذا تنبهنا بإصغاء لأقوال النصوص ربما يتسلل إلينا صدى انقسام قديم بين مؤلفي العهد القديم المتأخرين حول طرق فهم الكتابات المقدسة السابقة عليهم . فالتنبأ إرميا غضب غضبا شديدا على رجال التوراة في عصره ، وأعلن : " كيف تقولون نحن حكماء وشرعية الرب معنا حقا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب " (إرميا ٨ : ٨) ، وقد علق هـ.فايس قائلا : " كم نستطيع حقا معرفة ما هو الكذب الذي قصده النبي إذ يتضح أن هؤلاء الكتبة كتبوا أقوالا متصلة بالتوراة ... وفسرت التوراة من طرفين متناقضين ، واختار كل واحد من الطرفين لنفسه طريقا في تفسير التوراة وفهمها " (كل جيل ومفسروه ١ ، فصل ٢) .

٢- تقسيم الأسفار وثبيتها

بعد أن انتهى تكليف العهد القديم وحان وقت جمعه وتكوينه ، لم يستطع مثبتو العهد القديم إتمام عملهم حتى يغموا أسس هذا البناء وإخضاعه لوجهة نظر روحية واحدة. ويتمثل هذا الإدراك الواضح والعميق للذين ثبتوا العهد القديم في وحدة الألوهية السائدة في الأسفار الأربعة والعشرين . وعلى الرغم من ذلك فهم لم يهملوا التفاضل عن التناقضات المختلفة بين الأسفار ولم يتحولوا عن رأيهم ورأى الجمهور . وإنك كان من الضروري القيام بعمل روحي كبير لتثبيت النصوص في موضعها ، وإبراز وحدتها وشموليته إلى حد التعميم على الأنماط الخاصة لكل واحد منها .

وتمثل روايات التلمود عن آرائنا الإخفاء ولم يخفوا شأها على الصراعات التي واجهها مثبتو العهد القديم مع المادة المقدسة السابقة عليهم . فحسب رواية التلمود تعرضت أسفار حزقيال ونشيد الأناشيد والجامعة لخطر الإخفاء . وهامى الأسفار الخفية ذاتها تمثل شواهد على حدوث ذلك . وكما ورد في (شبات ٢:١٢): "لا تنس الرجل الطيب حنانيا بن حزقيا بن جرون والذي لولاه لاختفى سفر حزقيال لأن أقواله تناقض أقوال التوراة ... فماذا عملوا ؟ لقد قدموا له ثلاث مائة جرة سمن وجلس في العلية وعظمهم " . إن فضل حنانيا يبدو في الكشف عن آراء الفرق وعمل جامعي العهد القديم وسبل التغلب على التناقضات العديدة بين الأسفار وعن جمعهم لأب كامل للأجيال المختلفة أنجزوه من خلاله سفر الأسفار .

٣- مقارنة النسخ

وبعد أن تم اختيار الأسفار الأربعة والعشرين من بين المؤلفات الأدبية التي كانت قبلهم وفي عصرهم أعلنوا قدسيتها وتم الاعتراف بها عند اليهود . وظل هناك عمل مهم وهو تحديد النص المضبوط في كل تفاصيله ، حيث وجدت في أماكن مختلفة نسخ متعددة من الأسفار لم تكن متطابقة في كل قواعدها ، كما لم يتفق الجميع على رأي واحد حول أفضل النسخ . وقد حفظ لنا الألب التلمودي (انظر على سبيل المثال بابا مصيصا ٢٧: ١ ، شبعوت ٢: ١٠ ، نياحيم ٢: ٤٨ ، مباحوت ٢: ٤٢ ، تمورا ١٨: ٢ ، الأورشليمي زوطة ٨٨ ، ومواضع أخرى كثيرة) أثر هذه الاختلافات على القراءة الصحيحة للنص . وعلاوة على ذلك ، فقد حفظ لنا التلمود شواهد أكيدة عن الكيفية التي قارن بها الحكماء النسخ المختلفة التي وصلت إليهم ، وكيفية تحديد أقدمية النسخ

وأي النسخ أحق بالأقدمية. فالرئيسي شمعون بن لكيش يحدد في بحث الكتبة (الفصل ٦) قائلا: "ثلاثة أسفار وجدت في عزرا: سفر المنوى وسفر الطفل وسفر هي. ووجد مكتوبا في السفر الأول 'حصن' وفي الثاني 'الإله القديم حصن' (التثنية ٢٧: ٢٣) فحفظ الثاني وألقى الأول. ووجد في الأول نص وأرسل إلى أطفال بني إسرائيل وفي الثاني نص وأرسل فتيان بني إسرائيل (الخروج ٢٤: ٥) فحفظ الثاني وألقى الأول ووجد في الأول نص إحدى عشرة مرة ووجد في الثاني نص 'إحدى عشرة مرة هي' فأنقوا على الأول وألقوا الثاني.

ومعنى هذا أنه كان هناك أسلوب محدد لقواعد نقد مادة العهد القديم. وطبقا لرأى بعض الباحثين فقد كان أسلوب المقارنة يمثل خطأ قياسيا في حسم بقية المواضيع المشكوك فيها. وعلى هذا الأساس قدموا النسخة المعترف بها الآن.

٤- المقرء والمكتوب. تعديلات الكتبة

بدأ عمل الماسورا اعتمادا على إقرار العهد القديم وتثبيتته. وتتمثل موضوعات بحث الماسورا في: أعمال الكتبة الذين كلفوا بنسخ لمئات التوراة، والذين حدث في عصرهم وعلى أيديهم تغيير الخط العبري المعروف باسم الخط الأصلي للنصوص إلى الخط الآشوري المربع، الذي لا يزال مستخدما حتى الآن. ويضاف إلى ذلك عمل أصحاب العهد القديم الذين كانوا يقرأون التوراة على الجمهور في المعابد ومعهم أيضا معلمو الأطفال. فلم يتوقف في عصرهم تعديل النص وتطويره لتوضيح أقدم النسخ وأكثرها صوابا - طبقا لرأيهم - من بين النسخ السائدة عند الجمهور، والتدقيق في النص المعترف به. وهناك العديد من الشواهد الموثوق بها، التي تظهر إلى أي مدى رأى الكتبة أن من واجبهم فحص النص المعترف به. ومن هذه الشواهد: التعديلات العديدة التي أدخلوها في هامش الصفحة بمثابة المقرء وليس مكتوبا و "المكتوب وليس مقروء"، وكذلك إضافة كلمات (صموئيل الثاني ٨: ٣، ١٦: ٢٣، إرميا ٣١: ٢٧، ٥٠: ٢٩، روث ٣: ٥، ١٧)، وأيضا حذف كلمات (الملوك الثاني ٥: ١٨، إرميا ٣٨: ١٦، ٥١: ٢، حزقيال ٤٨: ١٦، روث ٣: ١٢)، وهناك أيضا العديد من الحروف والكلمات التي وضعوا عليها نقاطا لتكون علامة على شكهم فيما إذا كانت القراءة المعترف بها صحيحة (التكوين ١٦: ٥، ١٨: ٩، ١٩: ٣٣، ٤: ٣٧، ١٢: العدد ٢: ٢٩، ٩: ١٠، ٢١: ٢٠، ٢٩: ١٥، التثنية ٢٨: ٢٩). كل ذلك بالإضافة إلى تعديلاتهم الثمانية عشرة التي كانوا من خلالها يغيرون الكلمة غير الملائمة لوجهة نظرهم عن قيمة وأهمية السفر بكلمة أخرى أفضل في رأيهم.

٥- الفرق والعهد القديم

عندما اختلفت الآراء في فلسطين ، وثارت نزاعات دينية بين الصدوقيين والفريسيين كانت التوراة قد تم تثبيتها وموجودة بالفعل . ولم تستخدم اختلافات النسخ أساسا للخلاف ، غير أنهم انقسموا جدا حول أساليب فهم النصوص وطرق بحثها . وإذا كان هناك ثمة أساس لوجهة النظر بأن سفر العهد الذي نشره البروفيسور شاختر في وثائق الجيزا القاهرية قديم ويعود أصله إلى زمن الهيكل فإنه جدير بالاهتمام أيضا ملاحظة أن كتابات الجيزا هذه لم تكن موجودة وكما يبدو ، فإنه يوجد تشويه كامل لتعديلات النص ، حيث يتضمن السفر في وسطه بعض المواضع من الكتابات المقدسة التي لا تتفق في نفس الوقت نص الماسورا المتوافر حاليا "ما بعد دمشق - خيام دمشق" (عاموس ٥ : ٢٧) ، "عورة أخت أمك لا تكشف - لا تقترب من أخت أمك" (اللاويين ١٨ : ١٢) "إنذارا تنذر صاحبك - إنذارا تنذر صاحبك" (اللاويين ١٩ : ١٧) وما يشبه ذلك .

٦ - أساليب التفسير

يعتبر الأدب التلمودي تفسيراً ضخماً متنوعاً لأسفار العهد القديم المقدسة التي عبر فيها يهوه عن إرادته التي أظهرها بواسطة عبيده الأنبياء . وأصبح من الضروري منذ ذلك الحين فصاعداً استخدام هذه الأسفار أساساً ومصدراً لكل نتائج الأمانة المستقبلية ، وكل تلميذ محنك قام بالتجديد قيمياً بعد خبثه كان يجدد على أساس هذه الكتب وما ورد فيها . ويقدر ما بدأ الأدب التلمودي يتسع ويتشعب ، تم الاهتمام بفحص أغوار العهد القديم والتمسك بكل ذرة أو إشارة فيه . وقد قيل عن نحونيا بن هنقبه أنه يفسر التوراة كلها إجمالاً وتفصيلاً . وقيل عن ناحوم إيش جمرزا أنه كان يفسر التوراة بإسهاب واختصار . وقد تعلم تلاميذهم منهم وأضافوا من عندهم . فالربى عقيبا كان يفسر كل حرف ، ووضع الربى يشمعييل ثلاث عشرة قاعدة على أساسها تفسر التوراة ، وعنها تشعبت طرق البحث التلمودي .

وقام الربى إليعازار بن الربى يوعسى الجليلي بجمع ما سبق وتوضيحه وشرحه وتوسيع حدوده ، ومن خلال الاثنين وثلاثين قاعدة التي على أساسها تفسر التوراة حدد منهجاً مفصلاً لطرق توضيح النصوص المقررة . ويتعابيرات مختصرة حدد الأسس العامة لقوانين تفسير جديدة تؤكد على حدة في الذكاء والاستنباط ، وقوة التأليف . وقد سادت قوانين تفسيره في كل النصوص التي ليس بها معنى مرتبط بالشرعية ، وذلك

على عكس معلمييه السابقين له . فكانوا يقولون حتى عصر التلمود: آى موضع لا نجد فيه أقوال الربى اليعازار بن الربى يوسى الجليلى صم أننيك" ، ومن أساليبه ما يلى : (تلاوة موجزة ، تعديل الكتبة ، المتقديم الذى هو متأخر فى الموضوع " ، المتقدم الذى هو متأخر فى الأقسام) ، واستخدم علماء النهر فى الأندلس هذه الأساليب ، كما استخدمها أيضا الباحثون اليهود فى القرن التاسع عشر ، واعتبروها أساسا ثابتا وريطوا بها تجديداتهم النقدية .

٧ - التلمود والعهد القديم

لكن هذه المهمة التى حملها أصحاب التلمود الكتابات المقدسة هى التى حثتهم على صرف تفكيرهم عن التفسيرات والاختلافات الموجودة داخل الكتابات المقدسة ، وكذلك الإشارة إلى زمن حدوثها ومؤلفيها . وركزوا انتباههم وانتباه الشعب على الروح الواحدة السائدة فى الأسفار وأقسامها وجعلها سطر الأسفار الواحد والمميز . وبشكل مقصود تخلى معظمهم عن المحافظة على الماسورا القديمة وإعلانها للأجيال مثل من كتب هذه القطعة ؟ ومن ألف هذا السفر ؟ ومتى وعلى يد من جمعت هذه الأقوال ؟ وما التغييرات التى طرأت عليها ؟ . وفى رأيهم تهتم هذه التفاصيل بما يتعلق بالجواهر . وليس هذا فحسب ، بل إنهم لم يحاولوا تقليل الأساس الذى يؤسس عليه الهيكل التلمودى . ومن الأفضل التركيز على الجواهر ! لأن روح إسرائيل قد تبلورت فى الكتابات المقدسة ، وكل ما أراد يهوه أن يكشفه للبشر أظهره من خلال إسرائيل . وبناء على ذلك فإن أى قانون أو رأى أو ما يتشعب عنها فإن مصدرها فى داخلها وهى مقدسة ، وواجبة علينا . وإذا حدث مصادفة أن قيلت هذه الأقوال فى فترة وتلك فى فترة أخرى ، أو قيلت هذه بواسطة راع وتلك بواسطة كاهن فإنها كلها أقوال الله وأبدية ، ونحن مكلفون بها ويكل ما يتفرع عنها .

وبناءً على ذلك فإن مؤلفى الأدب التلمودى رغم أن منابعهم متأصلة فى أسفار العهد القديم ، فإنهم لم يطوروها أى إحساس نقدى تجاهه ، ولم يقربوا العامة من منابع مؤلفهم . وليس هذا فحسب ، بل إن الأخبار عن تاريخ الأدب المقدس ونظام تثبيت العهد القديم ضئيلة جدا داخل الأدب التلمودى ، رغم أن مؤلفيه كانوا قريين - إلى حد ما زمنيا وروحيا - من مجال العمل والعاملين فيه .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الثاني

النقد في التلمود

١- الماسورا وأحداث خاصة

لكل قاعدة استثناء ، فالرأى المسلم به هو أن موسى ألف الأسفار الخمسة ، وأن داود كتب سفر المزامير كاملا ، وأن سليمان كتب نشيد الأناشيد والأمثال والجامعة ، وأن بنى إسرائيل تلقوا التوراة كلها فى الصحراء ، وما إلى ذلك . وعلى الرغم من أن هذا الرأى لم يرد فى التلمود بالتفصيل كتأيدة للبحث ، إلا أنه ساد وانتشر على كل الأراء والقواعد الصائرة ، وأورثه الأئمة التلمودى للأجيال التالية . وبالرغم من ذلك فقد حفظ الأئمة التلمودى هذا الرأى ، وبجانبه - أيضا - ملاحظات وفرضيات وروايات وأحداث أخرى تعارض رأى الماسورا المسلم به من التقيض إلى التقيض . فالقضايا الأولية لبحث الكتابات المقدسة ، مثل : كيف تفسر التناقضات العديدة الموجودة بين الأسفار وفى داخلها ، ومن ألف كل سفر من الأسفار ؟ ومتى ؟ وأين ؟ وما هى التغييرات التى طرأت عليها حتى أخذت صورتها الحالية ، هذه القضايا كانت الماسورا التلمودية عادة ما تتغاضى عنها بكياسة . ولكن اهتم بها العديد من باحثى الكتابات المقدسة من بين علماء التلمود : فهؤلاء كانوا يتعمقون فى البحث عن الرأى النهائى لكل فقرة ، فكانوا يفحصون ويبحثون ويتباحثون ، وفى بعض الأحيان كانوا يتوصلون إلى العديد من التناقضات التى لم تثر غضب باحثى العهد القديم فى كل العصور . وكشف هؤلاء المفسرون آنذاك عن ثغرات عديدة وظهرت بعد ذلك أساليب ومعطيات أخرى على يد باحثين آخرين ، ويعبرون مئات السنين أعربوا عن تصورات واقتراضات صارت فى عصرنا علما .

ولم يتوقف مكلو التلمود عن إقحام أقوالهم تلك داخل أدب التلمود ، ورغم أن الأجيال التالية لم تقتف أثر هؤلاء الباحثين ولم يواصلوا عملهم النقدي ، فقد حفظوا أقوالهم وأضافوا عليها درجة القداسة .

وفى الواقع فإن هذه الأقوال الجريئة المتفرقة كما هى محفوظة فى الأدب التلمودى ، لم ترتق إلى درجة منهج ، ولم تُضم فى فكرة عامة واحدة . فالعديد من الإجابات التى فى العمارا تفحص توضيح القضايا غير المتوقعة والمثيرة للجدل ، وذلك ليس لتحديد رأى فيها من أجل عصرها والأجيال التالية ، لكن من أجل الحفاظ على مكانة الماسورا وتصحيح البحث فيها وتقويم فحصها فى نظر المؤمنين بها . وكان التلاميذ يقولون عن ذلك وما يشبهه مطمئ ، وفرض ذلك ، ولنا ماذا نقول ؟ . ومع ذلك

فإن للأسئلة في حد ذاتها قيمة نقدية هامة . وهي تعثرت إما بسبب حيرة قلب السائلين من أصحاب التلمود وعق منطقهم أو لأنها كانت مناسبة للحقيقة العلمية عند الأجيال المتأخرة .

٢- صدق الذكريات

لم يكن التأمل عميقا فحسب . بل كان صدق الماسورا القديمة يتصاعد بسبب دهشة الكثير من المجادلين . فقد قصد مستند العهد القديم الذين نظموا العمل في الصورة التي عليها الآن الارتقاء بالعهد القديم إلى درجة القداسة المطلقة المتخطية للزمن والعصور التاريخية . وذلك تشجعوا لإبطال مراجعة الأجيال التي كُتِبَ في عصرها أي سفر من الأسفار . وهذه المعالجة التقويمية التي عملت بعناء كبير وقدرة فائقة هي التي أعاقت عملية البحث للوصول إلى الصورة الأصلية لأسفار العهد القديم . وجعلت عملية فحص الكتابات المقدسة صعبة ومعقدة . فقد طمست الماسورا الرسمية الماسورا القديمة .

وبناءً على هذا . لم يكن سهلا بالنسبة للمهتمين بالعهد القديم في عصر التلمود - لولا أنهم وجدوا ضرورة من تلقاء أنفسهم للتنبه إلى ذلك - التغلب على العقبات الأدبية التي قام بها مدونو العهد القديم إما عن طريق إغفالها أو إظهارها كاستلوه علمي قانوني . ويمكن أن نسمع هنا وهناك في الأقوال القليلة عند المتعمقين في البحث - وفي استفسارات المجادلين . وشروح أصحاب الأجادا - صدق لصوت الماسورا القديمة التي حُفظت على ما يبدو في نواثر محددة . وكانت لا تزال تذكر بالصورة القيمة لأسفار العهد القديم قبل أن تدخل في طور التثبيت .

٣- مؤلفو العهد القديم

وكما ذكرنا من قبل . فإن التلمود بصورة عامة لا يفحص أسماء مؤلفي كل سفر من أسفار العهد القديم . غير أن بعض علماء التلمود حاولوا بقوة الكشف عن شخصية كل مؤلف من المؤلفين ؛ فيبحثوا ودرسوا هذا الموضوع بقدر ما استطاعوا . فعندما قرأوا في التوراة مثلا : ومات هناك موسى عبد يهوه ؟ . جاء عن ذلك في (مناحوت ١: ٢٠ ، بابا باترا ١٥ : ١) ربما كان موسى حيا وكتب : ومات هناك موسى ؟ أي إلى حد هنا كتب موسى فقط . ومن هنا وما بعد ذلك فمن كتابة يشوع بن

نون، أما في البرايتا القديمة التي ترتب الأسفار المقدسة وتحدد أسماء كتّابها ، فقد تكرر ما يلي : يشوع كتب سفره " (بابا باترا ١٤:٢). ثم تستفسر الجمارا وأملى ومات يشوع بن نون عبد يهوه ؟ ، وتجيب "داسقيا اليعازار : وأملى ومات اليعازار بن هارون ؟ داسقيا فينحاس " (بابا باترا ١٥:١). وطبقا لأقوال نفس البرايتا فإن صموئيل كتب سفره ، وسفر القضاة وسفر روث ، وأملى ومات صموئيل ؟ داسقيا جاد الرائي وثانان النبي " (نفس المصدر). وورد في البرايتا عن موسى كتب موسى سفره وقصة بلعام وسفر أيوب ، وبما أنه فيما بعد اعتبرت قصة بلعام ليست ضمن تورا موسى ، فهم من ذلك أن كل أسفار التورا لا تنسب إلى موسى بل تنسب له - فقط - أجزاء منها .

وعلاوة على ذلك ، فإنه في نفس الوقت ونفس الدوائر التي قيل فيها هذا الكلام ، فقد كانت هناك فكرة واضحة ومسلم بها بشأن مضمون سفر موسى ، وهذا التصور لم يكن متسقا بصورة مطلقة مع فكرة "تورا موسى" المسلم بها في أقوال الماسورا . إن استبعاد قسم بلعام عن بقية أقسام التورا يظهر أسلوب واختلاف بحث البرايتا . وكما يبدو ، فإن هذا الرأي قد استند على النص التالي "في ذلك اليوم قرئ في سفر موسى ... ووجد مكتوبا فيه أن عمونيا ومزاييا لا يدخل في جماعة الله ... لأنهم لم يلاقوا بني إسرائيل بالخبز والماء بل استأجروا عليهم لكي يلعنهم . وحول إلها للعة إلى بركة" (نحميا ١٣:٢-١). ويعد ذلك برهانا واضحا على أن قسم بلعام مكتوب في سفر موسى . وعلى عكس الماسورا التقليدية التي تنسب إلى سليمان كتابة أسفار الأمثال ونشيد الأنشيد والجامعة ، فإن البرايتا نفسها تزخر زمن هذه الأسفار وتنسبها إلى حزقيال وجماعته . وبما أن سفر الملوك ينتهي بالمعاصرين لإرميا فإن البرايتا تنسبها إلى إرميا . وعلاوة على ذلك فإن البرايتا تنسب أسفار حزقيال ودانيال وأسفار الأنبياء الاثنا عشر ومجلة أستير لأعضاء المجمع اليهودي الأكبر . والرأي الذي كان مسلما به كقانون من قبل باحثي العهد القديم يرى أن سفر أخبار الأيام يتضمنان في داخلهما وجهة نظر أبناء الهيكل الثاني ، وأنهما كتبا بروح الكهانة التي كانت سائدة آنذاك وقد توصل دارسو البرايتا أيضا إلى هذا الرأي ونسبوا أخبار الأيام إلى عزرا ، وأشاروا : كتب عزرا سفره ، ونسب له سفر أخبار الأيام . وتظهر حقيقة أن السفرين التاريخيين - الملوك وأخبار الأيام - يبحثان موضوعا واضحا ، وأن الأول منسوب إلى إرميا النبي الثاني إلى عزرا الكاهن . تظهر هذه الحقيقة بوضوح إلى أي مدى تعمق دارسو البرايتا وعدلوا في بحثهم ، وما هو الأفضل في رأيهم .

وهناك من الباحثين من لم يكتف بقول البرايتا ، بل تعمق في البحث في مضمون كل سفر وحجم نتاج كل نبي داخل الأسفار نفسها ، ولم يخشوا إخراج نصوص من عند هذا النبي ونسبتها إلى نبي آخر . فعدلوا في البرايتا نفسها : 'إرميا كتب سفره' ، وفي رابتي المراثي (المقدمة ٢٤) تدفئ القيود 'إلى هنا كانت نبوة إرميا ؟ ربي يعقوب وربي أبا ، وسجلت أقوال الربى إليعازار وربي يوهنان ما يلي : قال الأول حتى 'مبدد إسرائيل يجمعه' (إرميا ٣١: ٩) وبعد ذلك قال بلغة الماضي 'لأن الرب فدى يعقوب' ، وهو ما لا يمكن أن يكون قد قاله إرميا ، وقال الثاني حتى 'ولا يوجد رجاء لأخرتك يقول الرب . فيرجع الأبناء إلى تخمهم' (٣١: ١٦) ويقال في (سفرى التثنية ١) 'كتب إرميا سفرين ، الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الخامس والأربعين ، والثاني من الإصحاح الخامس والأربعين حتى الإصحاح الحادي والخمسين ولم يكتب ما بعد ذلك .

ووجد الربى سيمون في سفر إشعيا عبارتين لم يصدرا على ما يبدو عن إشعيا ، ولذلك أصر على إلغائهما ونسبتهما إلى آخر ' قال الربى سيمون : رأي أنه لم يتنبأ عبارتين ولم يأت بهما في السفر ، وتم معالجتهم في إشعيا وهما : 'وإن قالوا لكم اطلبوا إلى أصحاب التوابع والعزى المشققين والهاسين (إشعيا ٨: ١٩-٢٠ ، وأنظر رابا اللاويين ٦) . ومن خلال هذا القول المتطور للربى سيمون نهج بعض الباحثين ومنهم الربى نحمان كروكمل (دليل حائرى العصر ، فصل ١١) . ويستنتج من ذلك أن باحثى العهد القديم التلموديين كشفوا عن رأيهم بأن كل مادة الإصحاحات الست والستين في سفر إشعيا ليست من أقوال إشعيا بن أموص . وربما توجد نواة لتكون بمثابة دعم لأقوال هؤلاء الباحثين ، وذلك في ترتيب أسفار الأنبياء الذي تبحثه البرايتا (بابا باترا ١٤) حيث تحصى البرايتا إشعيا بعد حزقيال وذلك على عكس المألوف في الماسورا وعكس أقوال النص الأول لإشعيا . ويمكن أن نفهم أيضا من أقوال فصل مكوت (٢٤: ١) 'جاء داود لإقامة وصايا الرب وأصر على إحدى عشرة ... وجاء إشعيا وأصر على ستة لأن نص (إشعيا ٣٣) : السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة ... وجاء ميخا وأصر على ثلاثة ... وعاد إشعيا وأصر على اثنين ' هكذا قال يهوذا حفظوا الحق وأجروا العدل' (إشعيا ٥٦) .

٤ - تداخل أقوال الأنبياء

غير أن هذه الأقوال التي قبلت بتفصيل كاف تظهر إلى أي مدى اهتم علماء التلمود بتوضيح شخصية المؤلفين ، حتى وإن بدت أقوالهم مناقضة للرأى السائد في المدارس الدينية اليهودية . فقالوا عن عويديا النبي أنه هو نفسه عويديا الذي خبأ مائة نبي في مغارة عند إبادة إيزابيل عبادة يهوه (سنهدين ٢: ٢٩). ولقى رأيهم أن يونا بن أمتى الذي تنبأ في نينوى هو يونا بن أمتى من جت حافر المذکور في سفر الملوك الثاني (١٤ : ٢٥) (بياموت ٩٨ : ٢). وأن زكوريا بن برخيا النبي هو نفسه زكوريا بن يفرخياهو المعاصر لإشعيا والمذکور في سفره (إشعيا ٨ : ٢) (ماكوث ٢٤ : ٢). ويحثوا في سفر ناحوم ووجدوا أن العبارة الثانية من الإصحاح الأول لا تتناسب مع الفقرة الثالثة من نفس الإصحاح ، ولذلك أشاروا "بأنه يوجد تداخل في الأقوال ، وأن من قال هذا لم يقل تلك" (توسفنا زوطه ٩) .

واختلفت الآراء بشأن مؤلف سفر ملاخي فهناك من يقول إنه مريخاي ، وهناك من يقول إنه عزرا (مجىلا ١٠: ١٥). وقد أدرك العديد من باحثي العهد القديم التلموديين وأعربوا أكثر من مرة أن سفر الزامير مركب من مزامير مختلفة تعود إلى فترات متعددة ، وأنه لا يمكن أن يكون داود قائلها . ففى البرايتا المذكرة (بابا باترا ١٤ : ٢) اختلفوا فقالوا : كتب داود سفر الزامير بمساعدة عشرة شيوخ " . وقالوا بعد ذلك فى شكل أكثر دقة "قال سفر الزامير عشرة شيوخ " (رابا نشيد الأناشيد٤). وعندما وصلوا لإعلان أسماء هؤلاء الرجال المتضمنة مزاميرهم فى سفر الزامير بدأوا بادم وانتهوا بعزرا (المصدر السابق ، رابا الجامعة ٢٩: ٧) . ومعنى هذا أنه قد اشترك فى تأليف الزامير عدة أجيال مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض ، أى من بداية أئب العهد القديم وحتى نهايته . ولم يكن لدى الباحثين أى صدى للماسورا أو وجهة نظر محددة بشأن إصحاحات محددة . ولكن المشنا كانت تعرفها (بصاحيم ١١٧ : ٢): "أجاز ريبى هليل ما قالوه ؟ قال ريبى اليعازار يقول قاله موسى ورده بنو إسرائيل وقت وقوفهم على البحر ... ويقول الریبى يهوشع " : (هكذا يقرأ نحمان كروكمل فى دليل حائرى العصر ، فصل ١١) قاله يشوع ورده بنو إسرائيل عندما انتصر عليهم ملوك كنعان ... ويقول الریبى اليعازار المودعى : قاله دبورا وباراق وقت انتصار سيسرا عليهم ... ويقول الریبى اليعازار بن عزريا نقاله عزرا وجماعته وقت انتصار سنحريب عليهما ... ويقول الریبى عقييا قاله الریبى حننيا مشال وعزريا وقت انتصار نبوخذنصر عليهم ... ويقول الریبى يوسى الجليلي : قاله مريخاي وأستير وقت انتصار هامان

عليهم ...، وعلى كل حال فإن داود لم يقله، وسُمع لكل باحث بفحص النصوص، وعلى هذا الأساس يتم تحديد مؤلفي المزامير وعصورهم سواء تم التأليف قبل عصر داود أو بعده.

٥ - مثبتو العهد القديم

اشتغل بعض علماء التلمود بقضية تنوين العهد القديم أو تثبيته، وتعمقوا في هذه القضية وأعربوا عن آراء مدهشة في اكتشافها حتى الآن. وبالفعل فقد أشار الربى نحمان كروكمل (دليل حائري العصر، في بداية الفصل ١١) إلى المقال المدهش في عمقه والمتسامي في بساطته والمذكور (في سفرى فصل المكافأة). "ما أجمل الحدث في حينه، فلولا أصر شافان في عصره، وعزرا في عصره، وربي عقيبا في عصره لكانت التوراة قد نُسيت في إسرائيل. ويبدو كما لو أن هذه الأقوال قد قيلت في عصرنا نحن، وذلك بعد أن حدد تقاد العهد القديم المحدثون نظرية القوانين الثلاثة: الأول في عصر يوشيا (كاتبه شافان)، والثاني في عصر عزرا، والثالث في نهاية القرن الأول. وعلى كل حال توجد في أقوال التلمود بعض الإشارات الذكية التي تنسب تثبيت (تنوين) العهد القديم إلى عزرا ومعاصريه. ففي التلمود الأورشليمي (مجىلا ٨١: فصل ٥ فقرة ٩) يُقال: "من الجدير أن التوراة كانت سوف تعطى إلى عزرا لولا سبقه جيل موسى". وفي فصل الآباء لربي ناثان (فصل ٢٤) عدل وورد "هكذا قال عزرا، إذا جاء إلى إيلياهو وقال لى لأجل من كتبت، أقول له سبقتُ ووضعت عليها التشكيل".

٦ - الأسلوب

لم يكن الحديث عن الأسلوب مجهولا لدى بعض مفسرى العهد القديم التلموديين، بل اعتنوا - أيضا - بالصورة اللغوية للأسفار. فقد توصلوا إلى معرفة القرابة الأدبية بين سفر التثنية وسفر يشوع، فقرأوا في التكوين رابا (١٤:٦) "تم صياغة سفر التثنية بأسلوب يشوع". وهذه القرابة بين السفرين تم الاعتراف بها كنظرية في البحث العلمى، ورغم ذلك لم يكن رأيا فريدا. فنجد في تذاريم (٢:٢٢) أن الربى أدى بر حينئذ يضم سفر يشوع لأسفار التوراة الخمسة (لولا أن أخطأ بنو إسرائيل ما منحوا سوى أسفار التوراة الخمسة وسفر يشوع فقط). وقالوا عن عاموس نلاذا سُمى عاموس؟ لأنه كان ثقيلًا في لفته (اللويين رابا ٢:١٠)، وقالوا عن

نشيد الأناشيد أنه "الأروع في الأناشيد والأكثر شهرة وتتميقا فيها" (نشيد الأناشيد رابا ١) ونبهوا إلى أهمية درامية فاعلة في سفر ملاخي ، فقالوا "معاصرو ملاخي: إنه كان يتكلم وهم يجيبون" (مدراش تحوفا فصل المنح "تروما"). وقالوا عن سفر يونا إنه سفر روائي ووضعه ليس بين أسفار الأنبياء ، فقالوا "باستثناء سفر يونا الذي هو سفر قائم بذاته" (مدراش رابا العدد ١٨). ويصوِّرة عامة حدبوا : "أزدهر أسلوب واحد لبعض الأنبياء ، ولكن لم يتنبأ نبيان بأسلوب واحد" (سهندين ١:٨٩) .

وعلاوة على ذلك فقد كان منهم من أدرك بأنه دُمجت في مادة التوراة بعض الأساطير والأناشيد القديمة جدا ، والتي يسبق زمنها ، زمن أي سفر من أسفار الكتابات المقدسة ، وأنها كانت منتشرة بين بني إسرائيل قبل ذلك . ويُسمع صدى هذا الرأي أو تلك الماسورا القديمة في جدل الأصولائيم الأوائل في (حيطين ٢:٦٠) سواء مُنحت التوراة للبيئة للبيئة أو منحت كاملة . وتُرد في مدراش رابا (الخروج ٢٦:٥) الأسطورة التالية "هكذا قال موسى أمام يهوه سبحانه وتعالى ، تلقيت سفر التكوين وقرأت فيه ورأيت أعمال جيل الطوفان ... وأعمال جيل بليلة الألسن ... وسدوم " . ويقال في موضع آخر ويتفصيل أكثر " يفهم من هذا أنه كان في أيديهم (إسرائيل في مصر) لغائف لغائف أعجبوا بها " (مدراش رابا الخروج ٢٢:٥) .

وفيما يتعلق بالأنشودة الشعبية القديمة "ارتحال القابوت" ، أدركوا بالفعل أنها تكليف قائم بذاته وموضوعة في موضع غير مناسب . وقالوا عنها بالتفصيل ، ليس هذا موقعها (شبات ٢:١١٦) . ويقول الرببي شمعون بن جملئيل "مستقبلا يحذف هذا القسم من هنا ويوضع في موضعه " . وقيل بشكل أكثر دقة في يوما (١:٧١) "يحذف كل هذا القسم : قيل باستثناء هذه العبارة "

٧ - التناقضات داخل التوراة

وجد النقد العلمي تناقضا بين حدثي الخلق الأول والثاني المذكورين في سفر التكوين وتمت نسبتهما إلى مصدرين مختلفين . وبالفعل فقد شرح باحثو العهد القديم من التلموديين هذا الغموض . ففي حجيجا (١:١٤) انقسم سبط شمائي وسبط هليل ، "يقول سبط شمائي السماء خُلقت أولا ، لأنه ورد في سفر التكوين (١:١) في البدء خلق الله السماوات والأرض" ، وأما سبط هليل فيقول خُلقت الأرض أولا حيث يرد النص "يوم عمل يهوه الإله الأرض والسماوات: (٤:٢) . ويستفسر المجادل في التلمود اللسطيني في براخوت (١ : فصل ٥ فقرة ٢٥) عن "أكملت السماوات والأرض" ،

وعن كيفية النص في التوراة : هذه مواليد السماوات والأرض ، ويطابق الربى يهوذا النص في التكوين(٢٧:١) فخلق الله الإنسان والنس (٢:٥) خلقهم نكرا وأنثى (كتوفوت ٨: ٢، عروفين ١٨: ١). وفي موضع آخر سالوا الربان جمليل ، يقول نص التكوين (٢٠:١) وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير ... لولا خلقوا من الأرض . ويقول نص آخر (التكوين ١٩: ٢) وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طير السماء، لولا خلقوا من الأرض (حولين ٢: ٢) .

وعلاوة على ذلك أدركوا التكرار والتناقض السائد بين مصدر سفر التثنية ومصادر التوراة الأخرى ، فيرد في سفر التثنية (٨: ١٦) " ستة أيام تاكل فطيرا " : وأما في سفر الخروج (١٥: ٢٢) يرد " سبعة أيام تاكل فطيرا " ، فكيف يكون ذلك ؟ (سفرى فصل المقلو: ١٢) . ويوجد في سفر الخروج (٧: ٢٤) "مفتقد إثم الآباء في الأبناء" . وفي سفر التثنية (١٦: ٢٤) يكون النص: "لا تموت الأبناء عن الآباء" ، ألا يعنى ذلك تبادلا (براخوت ٧: ٢) . ويرد في سفر التثنية (٦: ١٠) ما يلي "وينو إسرائيل ارتحلوا من أبار بنى يعقان إلى موسى . هناك مات هارون ، فكيف مات هناك ؟ وقد مات في جبل هور حيث يرد في سفر العدد (٢٨: ٢٢) "قصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك" التلمود الأورشليمي يوما ١ : الفصل ٥ ، الفقرة ٣١) . ويرد في سفر الخروج (٢٠: ١٩) النص التالي : "وهبط يهوه على جبل سيناء إلى قمة الجبل" ، أما في سفر التثنية(٢٦: ٤) يكون النص: "من السماء أسمعك صوته" (سفر اللاويين ١) .

وقد توصلت مدرسة قلهوزن إلى هذه الاختلافات الموجودة في قوانين التوراة المرتبطة بقواعد العبادة ، والتي على أساسها قسمت التوراة إلى مصادر مختلفة . ولم تكن هذه التغييرات مجهولة عند بعض الأمورائيم ، بل أشاروا - أيضا - إلى عصور تدوينها : مرة ثانية ، يقول الربى يشمعييل . قيلت عامة في سيناء ، وفصلت في خيمة الاجتماع ؛ ويقول الربى عقيبا قيلت شاملة ومفصلة في سيناء ، ومرة ثانية في خيمة الاجتماع ، وللمرة الثالثة في صحراء مؤاب" (حجيجا ٢: ٦ ، نباحيم ١٠: ٢) ، ويفسر الربى شلومي يتسحاقى قائلا: "قيلت العديد من الأوامر غامضة في سيناء ... حيث لم تفصل هناك قواعد العبادة كلية باستثناء ما هو ضرورى : "منجبا من تراب تصنع لى وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك" (الخروج ٢٠: ٢١) . وأما في سفر ترواة الكهنة أى سفر اللاويين فقد فسرت كل قواعد القران، ويشمل أوامر كثيرة" (حجيجا ٢: ٦) . ثم يظهر ميخا يوسف برديتشفسكى الذى تعمق فى نهاية حياته فى بحث أصول نقد العهد القديم عند اليهود ، وأدرك أن ابن عزراى حدد فى مقال له ، أن كل مصادر

التوراة لم تذكر اسم الرب بدرجة متشابهة . ومن خلال فحص ابن عزاي وجد أن كل القرايين المذكورة في التوراة لم تذكر الله أو إلهك ، ولا شداى ولا رب الجيوش بل تذكر اسم يهوه (سفرى العدد ، فصل ١٤٣ ، وأنظر أيضا مناحوت ١:١٠٠) . ويضيف بريتشفسكى هذه الملاحظة لابن عزاي قائلا "هى الأولى والأساسية فى نقد العهد القديم" .

٨ - التناقضات بين أسفار الأنبياء الأوائل وأخبار الأيام

إن التناقضات العديدة التى بين سفرى أخبار الأيام وأسفار الأنبياء الأوائل لم تكن مجهولة فى رؤية مفسرى العهد القديم التلموديين .

وهكذا ، يسأل المجادل فى التسوفنا (زوطه ١٢) بهذا الأسلوب : "يقال فى سفر أخبار الأيام الثانى (١:١٦) فى السنة السادسة والثلاثين ملك أسا صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة" ، فكيف يكون هذا القول هنا : أو لم يكن أسا قد دفن بعشا فى السنة السادسة والعشرين ، حيث يرد فى سفر الملوك الأول (٨:١٦) "وفى السنة السادسة والعشرين لأسا ملك يهوذا ملك أيله بن بعشا على إسرائيل ؟" ثم يضيف متسانلا "يقال فى سفر الملوك الثانى (١٧:٨) كان ابن اثنين وثلاثين (يهورام) سنة حين ملك ، وملك ثمانى سنين فى أورشليم" ، ويرد فى أخبار الأيام الثانى (٢:٢٢) "كان أخزيا (ابنه) ابن اثنين وأربعين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة فى أورشليم" وهكذا ، فكيف يكون الابن أكبر من أبيه بسنتين (زوطه : ١٢) ؟!

وفى موضع آخر يرد النص "فاشترى داود البقر والبقر بخمسين شاقلا من الفضة" سفر صموئيل الثانى (٢٤:٢٤) ، أما فى أخبار الأيام الأول (٢٥:٢١) يرد النص التالى "وبع داود لأرنان عن المكان تعباً وزنه ست مائة شاقل" (سفرى ٤٢) . ويقول النص فى الملوك الأول (٦:٥) "وكان لسليمان أربعمائة ألف منود خيل" ، وأما فى أخبار الأيام الثانى (٢٥:٩) يرد النص "وكان لسليمان أربعة آلاف منود خيل" (سندرين ٢: ٣٩) وكثير مثل ذلك .

٩ - وثيقة تاريخية أم تأليف أدبى ؟

إن هذه التناقضات التى قدمها بعض باحثى العهد القديم التلموديين تؤدى إلى رأى عام هو : أنه بقيت داخل الكتابات المقدسة روايات يجب أن تعالج بحذر ، لأنها

على أساس المنطق الصحيح من المستحيل أن تكون صريحة في كل تفاصيلها . ففي سفر التكوين (١٤:٢١) رأعطاهما لهاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد بصرفها ، ابن سبع وعشرين سنة وقت وضع على كتفها (التكوين رابا ١٧:٥٢) . وفي موضع آخر كم كان إبراهيم أكبر من سارة ؟ عشر سنين . وكم كان أكبر من أبيها ؟ سنتين . نسي أن أنجب سارة لها ران ، في الثامنة أنجبها (سندرين ٢:٤٩) . أو وربط إسحاق - هل يمكن للإنسان أن يقيد ابن سبع وثلاثين سنة ؟ (التكوين رابا ٥٦ : ١١) . أو 'ويستعبدون لهم . فيذلونهم أربع مائة سنة - وليس لدينا سوى اهبطوا' (نشيد الأناشيد رابا ١٩:١٠٠) . ليس هذا فحسب بل إن بعضهم افترض أن النسخة الموجودة لدينا بها أخطاء كثيرة . وسمحو لأنفسهم عند الضرورة بتعديل النصوص فقال رئيس المثبثة لا تقرأوا "سطحوا" (العدد ١١: ٣٢) ولكن "وبجوا" (يوما ٢٧:٥) . وقال ربى يهوشع بن قرحه لا تقرأ "مساطح" بل "تبيحة" (نفس المصدر) . وسمحو لأنفسهم في بعض الأحيان بإلقاء الشك حول القيمة التاريخية في أى سفر من أسفار العهد القديم أو أى رواية تاريخية فيها . ففي سفر حزقيال قصة عن إعادة إحياء العظام فيرد في سندرين (٢:٩٢) الأموات التي أحيها حزقيال كانت مثلاً . وقالوا عن سفر أيوب يتكرر ذلك من المعلم بحضور الربى شموئيل بر نعمانى ، ويكرر ويقول إن أيوب لم يكن ولم يخلق بل إنه كان مثلاً . ويتضح الهدف أكثر في نهاية هذه المقالة بأنهم عرفوا التمييز بين الوثيقة التاريخية والتناج الألبى داخل روايات العهد القديم . وعندما سئل شموئيل بر نعمانى من المعلم . قال عليك أن تقرأ كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب أجابه : "فقط من الآن والجاهل لا شئ لأن إذا شاة واحدة صغيرة ... ما هو إلا مثل بصورة عامة ؟ (بابا باترا ١٥:١) .

وهناك من اعتبر نشيد الأناشيد عملاً نيوياً ، ولذلك فهناك من قرر أن نشيد الأناشيد لا ينسج الأبدى (مجله ١:٦) . وفيما يتعلق بمجلة أستير هناك من لا حظ أن مضمون هذه المجلة ليس مقدساً في أصله . ومن ذلك قال الربى يهوذا قال شموئيل أن أستير لا تنسج الأبدى (المصدر نفسه) . وكما يبدو كان الرأى السائد أن مضمون هذه المجلة لم يكن مقدساً في الأصل . ولكن بعد أن بحث العديد من التانيم (اليعازار والربى عقيبا والربى منير والربى يوسى بن نور مسكيت وشموئيل) ثم بحثوا وكرروا البحث في كل ما يبرهن على أنها قيلت بروح القداسة . ولكن وجد من يدافع عن رأيه بأنها وثيقة تاريخية تحكى عن حدث مشهور بين الأمم (فقال الربى شموئيل بر يهوذا

أرسلت أمستير للحكماء : ضموا حدا للأجيال . فأرسلوا لها . فقد كبير بيننا وبين الأمم : فأرسلت لهم : منذ زمن كتبت أنا أخبار الأيام للوك مدائ وفارس : (مجله ٦ : ١) ، ولم يرفض أحد غيري إلقاء الشك على الأساس التاريخي لهذه المجلة ، وقيل عنها "إنها منحت لموسى في سيناء (التلمود الأورشليمي مجله ١ فصل ٥ ، فقرة ٣١) .

وعلاوة على ذلك فقد رفضوا أيضا القيمة التاريخية لمجلة روث وفسروها بأسلوب هرقي (الإيمالك - الذي قال يأتي إلى الملكوت، نعمي - التي كانت أعمالها جميلة ورقيلة، محلون - الذين مرضوا من العالم ، كليون - الذي أفنى من العالم يعرفه - التي وجهت العنق روث التي رأت في الأحداث سخريتها - بابا باترا ٩١ : ٢ ، روث ربا ٥)

١٠ - التفسير الهرقي

وقد حددوا قواعد عامة للتخلص من أي ارتباك للتناقض بين العديد من روايات العهد القديم وتعبيراتها وبين الفهم الصحيح أو الملاحظات التاريخية ، ومن هذه القواعد :

- أن أحداث التوراة لم تعط مرتبة (مدراس المزامير ٣)

- أنه لا يوجد هناك متقدم ومتأخر في التوراة . وأن التوراة تحدثت بلغة البشر (نباهيم ١٠٨ : ٢ ، نيدا ٤٢ : ٢ ، براخوت ٣١ : ٢ ، بابا مصيضا ٩٤ : ٢ ، سنهدين ٦٤ : ٢ ، جيطين ٤١ : ٢ ، وما يشبه ذلك كثير) .

- وذهب آخرون أبعد من ذلك ، وقالوا : "حدثت التوراة بلغة المستقبل" (حولين ٢٠٩٠) ، ولم يتورع الربى يوسى من تقرير " منذ الأزل لم يهبط الوحي الإلهي إلى أسفل ولم يصعد موسى وإلياهو إلى السماء . لأن السماء سماء يهوه ، والأرض منحت للبشر" (سوكه ١ : ٥) .

وقد تعمق هؤلاء الباحثون وسواء وجدوا أو لم يجدوا في شكهم التبريرات التي قالها أصحاب الجمارا ، فما هي الآراء التي افترضوها لرايهم ؟ وإذا ضمنت هذه الآراء في أسلوب محدد في فهم العهد القديم ، فما طبيعة هذا الأسلوب ؟ . أو ربما لم يكن هناك أسلوب ، أو لم تقل الإجابات رضاهم ؟ . ولا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات على أساس المادة التي بقيت في داخل أدب التلمود . غير أن لحض الآراء

واستباطها كان من أجل التأكيد الفعلى على أن كل الأفكار المسلم بها فى أقوال الماسورا لم تجد اطمئنانا فى عصر التلمود، وأن العديد من مفسرى التوراة التلموديين أصحاب منطق سليم وإحساس نقدى صحيح . وقد أدركوا وجود ثغرات عديدة داخل العهد القديم الموجود عندها، وقد توصلوا إلى هذه الثغرات ، لكنهم كانوا يعملون على إخفائها ، وإيجاد مبرر لذلك .

١- ظهور النقد

غير أنه قد هدأت الأنفس بعد تدوين التلمود ؛ فتوقفت الأسئلة والأفكار حول نظرية النقد فى فلسطين . وتلحست سلطة الماسورا التى سادت فى أدب التلمود وألقى حجاب على الأقوال المتناثرة فيه . وقد زاد انتقال المركز التلمودى من فلسطين إلى بابل من قداسة الكتابات المقدسة التى هى ثمار نتاج بنى إسرائيل فى فلسطين ، كما هى معطاة وموجودة . وهدأت الرغبة فى النقد ، وظل النقد ضعيفا لعصور طويلة فى أدب اليهود .

أما فى أدب المداش الذى استمر وتشعب آنذاك إلى جوانب عدة ، فقد وجدت الشكوك والأفكار حصنا لها . وبحثوا لها عن مغزى فى تفسيرات الأجادا . وقد كشف أسلوب التفسير الرمضى لأقوال النصوص عن أفكار ورموز غامضة ، ولكن ليس بالنسبة للأعمال التاريخية الحقيقية . وانتقل هذا الأسلوب المجازى من فلسطين إلى الإسكندرية فى مصر . ومنها توغل وبخل فى الأدب العبرى وامتد فى كل أدب المداشيم . ومن المحتمل أن هذا الأسلوب المجازى هو الذى ترك رأى بعض الشكاكين فى ذلك العصر . غير أنه لم يتم الوصول إلى بناء علمى . وفى ثنايا هذه الصورة المبهمة التى صبغت أدب العهد القديم ، فإنه لا يزال يوجد هنا وهناك صدى للشكوك وتذبذب آراء المفسرين .

وبما أن الصلة بين النصوص والواقع قد قطعت ، ولم تصبح سوى أمثلة ورموز لأحداث عظيمة لا تمت للقانون بصلة فقد زالت منها الصعوبات وثبتت كل التناقضات، وخفت حدة البحث النقدى ، والشوق إلى معرفة أسلوب العهد القديم فى حياة الشعب التى قُدت فى عصر العهد القديم .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الثالث

المحافظون والمعارضون

١- ناشرو التلمود

استمرت عملية التطور التدريجي للاعتراف بالتلمود وشروحه وانتشاره بين شتات السبي مئات السنين ، فقد انهمك فيه رؤساء التوراة الموجودون في بابل بكل قوتهم وسلطتهم . وأصبح تفسير التلمود ونشره المهمة الرئيسية لزملاء المدارس الدينية اليهودية في بابل . وقد اضطر مؤسسو الأدب التلمودي مرة أخرى - بهدف تدعيم عملهم - إلى التفاوض عن الصور المركبة للعهد القديم ، وفعل ذلك أيضا مروجو التلمود وناشروه . فقد التزموا بالأ يثيروا كلية أى سؤال أو بحث عن بناء العهد القديم الذى يمثل أساس عمل التلمود . حتى أنهم قبلوا أقوال الماسورا السائدة كما هى ويدون أى شك .

ولم يكن هذا عملا سهلا . وقبل أى شيء ، كانت المطالبة بحفظ المظهر الخارجى للتوراة وموضوع نصوصها . وعلى أساس من الأسفار الأربعة والعشرين سفرا تم إعداد أدب شامل ومتنوع ، وثقافة دينية مرتبطة فى حد ذاتها بمعجزة وأمانة نساخ مختلفين منتشرين فى كل جهات السبي . فإذا كان سفر الأسفار الذى هو أساس هذا البناء الضخم ذى القيمة الكبيرة . لا يزال يتطور ويتشعب ويتنشر ، ألم يكن من الأجدر أن يكون هو نفسه ثابتا ووثيقة سليمة فى كل حروفها وعلامات تجويدها . ولذلك فقد أصبح إرث الفترة الجديدة هو هذا العمل من التعميل وتثبيت الأساس . وقد كان عملا عظيما متشعبا ووافر النتائج .

وكان وضع التشكيل بداية عمل أبناء هذا العصر . ولأجل هذا الهدف اضطروا إلى مراجعة نسخة النصوص تحت مجهر النقد والمقارنة . بهدف تنقيتها وتثبيتها على أساسها الصحيح . وبعد وضع التشكيل هو الحدث الأكثر أهمية فى تاريخ نص العهد القديم ، وذلك بعد حدث انتقال الكتابة من الخط الأصلى إلى الخط الآشورى .

٢- واضعو التشكيل

بدأ العمل فى وضع التشكيل فى النصف الثانى من القرن الثامن واستمر لمدة مائتى عام . وينسب وضع الأساس لهذا العمل الكبير لكل من فينحاس ورئيس المدرسة الدينية اليهودية آنذاك ، وأشير الشيخ فى طبرية . وقد استغرق هذا العمل أجيالا من الباحثين والنساخ الذين منحوه جل اهتمامهم ، ونشأت حركات اختلفت فى نظامها ، ففى بابل كان النظام الشرقى ، وفى فلسطين كان النظام الغربى . وقد تم هذا العمل

على أساس الماسورا الباقية في كلام التلاميذ والقارئين والمروجة من جيل إلى جيل ، وساعد كثيرا في وضع التشكيل مقارنة المخطوطات المختلفة والنسخ التي وصلت إليهم، ولكن اضطروا أحيانا إلى الترجيح بناءً على راحة رأيهم وعمق تصورهم .

وقد رأوا في أكثر من ألف وثلاث مائة عبارة من عبارات العهد القديم ضرورة تغيير النص المسلم به ، ووضع إما في المخطوب وغير المقروء أو في المقروء وغير المخطوب . ووجدوا في اثنتين وعشرين عبارة أشياء محذوفة لم يستطيعوا إكمالها فأنشأوا إليها بـ: "ييمسقا في منتصف الفقرة". وإذا أمعنا النظر في قائمة التغييرات الموجودة بين نص الماسورا وبين نسخة النصوص كما هي محفوظة في الأدب التلمودي والترجميم ، نجد أن عدد هذه التغييرات يزيد عن الآلاف . وحدثت هذه التغييرات في إبدال الحروف والنبر والأسماء ، بل وإبدال عبارات كاملة تغير قصد النصوص. وهكذا يمكن إدراك كم كان كبيرا العمل الذي أدخل في هذا البناء الشامل ، وما هو صدق الملاحظات النقدية للعديد منها .

وتتلور هذا العمل فقط في نهاية القرن العاشر ليأخذ شكل نتائج محددة في بابل وفلسطين . وقد بدأ تثبيت الماسورا في عصر ربي موسى بن نفتالي في بابل ، وفي عصر ربي أمرون من سبط أشير في طبرية ، والذي كان حاملا لقناع الماسورا في فلسطين . وبالفعل فقد وضع هذا التشكيل الأساس الثابت لبحث اللغة العبرية ، وخاصة علم العهد القديم في العصر الوسيط داخل فلسطين وخارج حدودها .

٣- تغييرات نسخ العهد القديم داخل التلمود

غير أنه إذا كان بجمع البيض تصيب الخرائب ، فإن التلمود على العكس من ذلك فقد جمع شتات اليهود تحت لوائه . فالماسورا التي حفظت في اتجاهات متنوعة في الحياة قد رفضت الخضوع لسلطان النتائج الجديدة التي تحدت في المدارس الدينية اليهودية الرسمية وجمعت في أقوال التلمود. ولذلك فقد حدثت هنا وهناك تناقضات، وعبر عنها في أشكال جماعات منظمة لم توافق على قبول سلطة التلمود ومروجه ، وتشجع الزعماء المتحذون منهم في إثبات أن قواعد التلمود لا تناسب بدرجة ملائمة أقوال التوراة ، وأن تفسيرات النصوص المقروءة المسلم بها تتشد الحقيقة. وتلك المباحثات التي ثارت بسبب التلمود تسببت بصورة غير مباشرة في تطور بحث العهد القديم فبحث هؤلاء باسم العهد القديم للبرهنة على قداسة التلمود،

وياسم العهد القديم ظهر أيضا المعارضون لهذا الرأي. وساعد في توسيع هذه الحيرة البيئية الشاملة التي سادت الشرق انتصار أنصار دين محمد ﷺ بالإضافة إلى التسميات الدينية والاجتماعية داخل الجماعة اليهودية المشتقة ، ولذلك بحث العديد من الضالين روحيا عن علاج لهم في سفر الأسفار

٤- انتشار التلمود

وكما حدث للتلمود الذي لم تخضع له كل طوائف اليهود دفعة واحدة ، كذلك حدث للماسورا التي هي نتاج أصحاب التشكيل ، فتزايد في المجالين المتمردون والمعارضون ، وفقدت كليات الغالبية العظمى من هذا الأدب . وحافظت الأجيال التالية فقط على الأقوال التي تم الاعتراف بها وتقديسها ، أما أقوال المخالفين ، فمن يجمعها ومن يحفظها ؟

ورغم كل هذا فقد تسرب إلينا صدى لبعض هذه الأقوال ، وذلك إما عن طريق الذين عارضوهم أو عن طريق أولئك الذين حاربوهم في كتاباتهم . وعلى هذا الأساس حافظوا عليها حتى لا يفقد ذكرها للأبد . غير أن هذه الآثار المتفرقة التي أنقذت بمعجزة داخل ألب غريب كانت كالمية أيضا لتؤكد إلى أي مدى تزايد العديد من أبناء هذا الجيل الذين انهمكوا في دراسة أقوال العهد القديم ، وإلى أي مدى كان عمق النقد آنذاك .

٥- القراءون

وبقوة سلطان عنان بن داود - المعروف بصفته زعيما للقرائين - نجح آنذاك في تجميع العديد من بقايا الفرق الدينية الموجودة في فلسطين في ذلك العصر سويا ، وحشد حوله كل أولئك الذين التمسوا بحث العهد القديم على أساس "التقاليد الموروثة" (أي تراث الآباء والأجداد) ، المتوافر عندهم ، ولم يرغبوا أن يعملوا تحت سلطان التلمود . ولذلك حذر عنان تلاميذه والزمهم "أن يفحصوا التفسير ببساطة" . وبكل تأكيد فإن تراث الآباء - أي الماسورا التي كانت سائدة عند جماعات مختلفة في فلسطين - لا تناسب الحقيقة التاريخية أكثر من أساليب البحث التي كانت سائدة عند حكماء التلمود فيكفي أن طرق البحث التي أظهرها عنان قد أفادت في تطور بحث العهد القديم .

غير أن الحرب التي اندلعت بين القرائين والريائين والتي استمرت سنوات عديدة قد تسببت - كما ذكرنا آنفاً - في إثارة روح النقد . وخرج كتاب العهد القديم عن حيز الحكماء والمتعلمين ، ووضع في مركز الجدل العام . ويعنى ذلك أنه بمرور الزمن لم يعد ممكناً ألا تظهر مرة ثانية التناقضات العديدة من وراء قناع التفسيرات والتعليقات التي أراد علماء التوراة تثبيتها مئات السنين . وعرفت هذه التناقضات وغيرها الحائقين من باحثي العهد القديم من حكماء التلمود ، غير أنها خرجت مرة ثانية من مخابئها وتمت المطالبة بتعديلها .

٦- مشوى هعقبى

في النصف الثاني من القرن التاسع وجد مشوى هعقبى مؤسس طائفة دينية فريدة في فلسطين شغرات في ماسورا أبناء طبرية . فبرز لمحاربة الرأي المالكوف بشأن المقرء والمكتوب . وليس هذا فحسب بل سمح لنفسه بالتعديل في نص العهد القديم ، وتغيير كلمة بأخرى ، وإضافة عبارات طبقاً لرأيه . وقيمت بأعجوبة بعض من آرائه المثيرة للاهتمام . ففي سفر التكوين (٨:٤) يرد : "وكلم قايين هابيل-أخاه وحدث أن كانا في الحقل". وقد أدرك القدماء بالفعل فقدان الربط بين قسمي هذا النص ، كما توسع أصحاب الأجادا في تفسير ذلك . ويقترح مشوى هعقبى بدلا من التفسيرات المتباعدة تعديل النص ليصبح : "وقال قايين لهابيل قم نخرج للحقل وحدث أن كانا في الحقل". لأنه كان واضحاً أن هذا النص كان مكتوباً هكذا في التوراة فيما مضى . وفي الواقع ، يقال بوضوح في نسخة التوراة المحفوظة عند السامريين "تذهب إلى الحقل". وهذا هو نفس الحكم في الترجمة السبعينية والترجمة السريانية للتوراة والترجمة الآشورية والفولجاتا (الترجمة اللاتينية للعهد القديم). وفي نهاية قائمة أبناء يعقوب الذين هبطوا مصر ، يرد في سفر التكوين (١٥:٤٦) "جميع نفوس بنيه وبناته ثلاث وثلاثون" ويعدل مشوى "اثنان وثلاثون" حيث نجد ارتفاع عدد الرجال المعنويين في القائمة . وفي الخروج (٢٥:١٦) يقال : "وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة ... حتى جاءوا إلى طرف كنعان". ويقترح مشوى بدلا من ذلك أن يقرأ "ويأكل بنو إسرائيل المن ... وذلك لأن الماسورا جاءت بعد ذلك تتضمن الرأي بأن هذه العبارة كتبت بعد موت موسى .

تلك التعديلات وما شابهها قليل مما وصل إلينا وهي تشهد بأنه ، كان لمشوى وتلاميذه أسلوب في فهم تاريخ العهد القديم يختلف عن الأسلوب المالكوف . لكننا نسمع

رأيه هنا ، وهو أن النسخة المعترف بها ليست بالغة جد الكمال كما ينبغي أن تكون ، ومن المحتمل أن بعض النصوص قد شوهت أو بترت بمرور الزمن . لذلك فإن الحاجة للتعديل حقيقة لا مفر منها .

ولم يكن ذلك مقصورا فقط على مشوى . فقد اتبع هذا الأسلوب معاصره موسى الزعفراني المعروف بالاسم العربي ابن عمران التقيسي أو موسى بن عمران الفارسي، الذي أسس طائفة بينية جديدة . وتابعهم يهودا الفارسي وبن زوطه ، وقد ذكر أبراهام بن عزرا في تفسيره بعضا من تفسيراتهما المعارضة للماسورا (الخروج ١٢: ٢ ، ٢٠: ٢١ ، ٢٥: ٢١ ، ٢٨: ٢٢ ، اللاويين ٩: ١٥ ، العدد ٢٩: ٢ رسالة السبت ١) . ولا شك أن عددهم تزايد آنذاك ، غير أن أسماهم وتعليقاتهم لم تصل إلينا .

٧- حيوى البلخي

ويعتبر حيوى البلخي الذي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي واحدا من أكثرهم أهمية ، وعرفناه من خلال أقوال الذين عارضوه وقاموا بالإجابة على ادعائاته وبخاصة أقوال الربى سعيا جازون .

وطبقا لأقوال الربى سعيا جازون المحفوظة في أقوال الربى يهودا بن برزيلي لسفر الخلق فإن حيوى البلخي ألف كتابا قائما بذاته يشمل "مائتي ادعاء" ضد الكتابات المقدسة . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، غير أن بعض ادعائاته مبعثرة في أدب ذلك الجيل وقام بجمعها مع بعضها البعض س. فورتسكي، ويعد ذلك ي. دافيدسون . ومع ذلك لم يكن حيوى البلخي باحثا للمقرا طبقا لمفهومنا ، فالعديد من آرائه التي وصلت إلينا تتصل أكثر بقضايا بينية ويجوهر الألوهية . ومع ذلك فإن موضوع أبحاثه في المقرا تشجع على أسلوب البحث الحر في الانحراف عن أقوال الماسورا ، والتحرر من الآراء المسلم بها .

٨- سفر الأسئلة

ومن خلال آرائه القليلة التي وصلت إلينا تسرب الشك بأنه في فترة متأخرة كان هناك من أدخلوا داخل التوراة أقوالا مختلفة غريبة عن روح التوراة فزيفوها . وبلا شك فمن الواضح أنه لا يقول مثل هذا وبعض الشكوك التي أمامنا مصاغة فقط بمثابة

أسئلة فحسب . وقد توصل إلى بعضها باحثو العهد القديم من حكماء التلمود ، ومنها على سبيل المثال تساؤل حيوى بشأن ميلاد حيرام . ففي سفر الملوك الأول (١٤:٧) يرد النص : "هو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالى" ، أما فى أخبار الأيام الثانى (١٣:٢) يشير النص أن حيرام كان "ابن امرأة من بنات دان" . وتفسر الجمارا (عروفين ١٥:٢) هذا الغموض بتخمين أن أبى حيرام كان من سبط نفتالى وأمه من بنات دان ، ولا نعرف ما هى النتائج المترتبة من تساؤل حيوى عن هذا التناقض.

وعلى ما يبدو فإن حيوى سعى لتقريب المعجزات إلى العقل وشرحها بأسلوب فطرى . وعلى هذا يقتبس ابن عزرا أقوال حيوى المرتبطة بشأن انشقاق البحر الأحمر (خروج ١٧:١٤) وهى : "أن موسى عرف زمن انحسار المياه بهبوطها وزمن تزايد المياه فى ارتفاعها واستمرارها ، وقام بالعبور بالشعب أثناء انحسار المياه طبقا لنظريته ، وأما فرعون فلم يكن عارفا بأسلوب المياه على طبيعتها" . ويوضح ابن عزرا فى موضع آخر رأى حيوى فيما يتعلق بهبوط المن (خروج ١٦:١٢) فيقول، إن المن "هو المعروف بالاسم الفارسى ترنجفين" ، وفى اللغة العربية "من" واللغة الأجنبية "منا" وطريقة هبوطه حتى اليوم فى الصحراء . كما يوضح حيوى أيضا عبارة : "جلد وجهه صار يلعب" (الخروج ٢٤: ٢٩) قائلا : "بسبب أنه لم ياكل خبزا صار وجهه ييسا مثل الجلد" (تفسير ابن عزرا ، نفس المصدر) .

٩- دفاع الرضى سعيديا جازون

لا تظهر آراء مشوى معخبرى القليلة التى بقيت أهمية نقدية ، بل تظهر قيمته النقدية من خلال آراء الذين خالفوه . ومن المؤكد أن تأثيره كان كبيرا فى عصره ، لأن الرب سعيديا جازون رأى أن من واجبه نشر كتاب خاص بالعبرية ضد شكوك حيوى ، وعلماء القرائن ، وكتب - أيضا - ضد ابن عمران التفليسى . وأسهب الرضى سعيديا جازون فى كتابه "الآمانات والاعتقادات" الحديث فى المقالة الثالثة فيما يتعلق بـ "الاثنتا عشرة مسألة المحيرة لقلوب البشر والتى تقصد عقيدتهم" فى الكتابات المقدسة .

ولم يبتدع الرضى سعيديا المسائل من عنده بل استمدحها من داخل الحياة ، ومن بينها قضايا تناقضات بارزة بين الروايات الموجودة فى سفرى الملوك ، وتلك الموازية لها فى سفرى أخبار الأيام (ففى الملوك الثانى ٢٦:٨ نجد أن أهرياهو بن يورام ملك وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، أما فى أخبار الأيام الثانى ٢:٢٢ وهو ابن اثنتين

وأربعين سنة) . وكذلك التناقض بين روايات سفرى أخبار الأيام وروايات سفرى صموئيل (ففى سفر صموئيل الثانى ٩:٢٤ يرد النص "فكان إسرائيل ثمان مائة ألف ذى بأس مستلئ سيف ، ورجال يهودا خمس مائة ألف رجل" : وأما فى أخبار الأيام الأول ٥:٢٦ فإن النص يكون على النحو التالى: "فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستلئ السيف ، ويهودا أربع مائة وسبعين ألف رجل مستلئ السيف" وما يشبه ذلك) .

وعلى ما يبدو فقد أثمرت تلك الثورة النقدية آنذاك عن حركة كبيرة أسست أديا كاملا تسرب من أسوار المدارس . وهاءو الربى أبراهام بن دافيد يذكر حيوى بقوله: "الذى ابتدع توراة من عنده" ، يؤكد أن معلمى الأطفال كانوا يعلمونها فى الكتب والألواح إلى أن جاء الربى سعديا وبحضها . وأكد س . قورننسكى أنه لم يقف على رأى تعلم الأطفال من كتاب الشكوك الذى ثار ضده الربى سعديا جاثون . ليس هذا فحسب ، بل إن حيوى قد ألف كتباً والأواحاً أخرى خصصت لمعلمى الأطفال ولهاها أفتى أن يدرس العهد القديم بناءً على منهجه .

وبما أن كتب حيوى كانت تدرس فى المدارس واستمرت ست مائة سنة بعد موته وخارج موطنه فقد كان تأثيره كبيراً على مجرى النقد الذى غمر آنذاك معسكر فلسطين .

والواقع ، لم يتوقف تتبع تأثير نقاد ذلك العصر طويلا ، حيث قام بعدهم تلاميذهم وتلاميذهم بواصلوا بقوة الرؤى التى استتبها معلموهم فى مجالى البحث والنقد .

وقبل بضع سنوات وجد البروفيسور شاختر فى وثائق الجنيزا القاهرية اثنتى عشرة صفحة كتبت فى فلسطين فى القرن الحادى عشر طبقاً لرأى فوزننسكى . وداخل هذه القطعة المكتوبة شعر بلقة عجيبة سليمة ، لم يقدم المؤلف ليعلن أراءه الخاصة فحسب ، بل ليصدر باسم جماعة كاملة قوله : "سخطا سخطت لتقديس طائفتى" . وثار يتهم بسخرية حادة ومريرة كل حكماء العصر وبياحتى العهد القديم فى عصره لتقديدهم أنفسهم فى دائرة بحث النبر ووضع الماسورا ، وإحصاء الحروف وتحديد الاختصارات . وطبقاً لتخمين د . كاهانا فإن اسم المؤلف اليعازار بن عزريا واسم زعيم جماعته - بن بروك - التى ادعى باسمها . وثار بسخرية حادة ضد "زعماء المدارس الدينية اليهودية" رؤساء السنهدرين وتلاميذهم الذين اعتقدوا أن "العهد

القديم إرث لهم، وهم "حراس التلمود والمشنا". أما باحثو التوراة القليلون الذين اكتفوا بقواعد النبر، والجدل حول التشكيل "فالتفوا حول علامات التجويد، مرتبتها وطولها"، كما "شغفوا بالنبر وأسهبوا في الشعر"، و"خارت قوتهم مثل الأصم، وأطالوا حركاتها".

فيتوجه لكل هذه الأقوال قائلا : "تعرف العهد القديم بكل صوره ، ولا يهمل أمر من البداية حتى النهاية"، ونادى "هل توجد إجابة". ثم يفصل تساؤلاته وشكوكه الواحدة تلو الأخرى بداية من أول أقسام سفر التكوين . ولا تتصل كل الأسئلة بموضوعنا ، فالعديد منها يبحث سر الخلق وإرادة يهوه سبحانه وتعالى ، وحساب السنين والتأكيد على الوصايا . غير أن العديد منها أسئلة متعثرة تؤكد صدق السائل في كتابه لأنه يقول "قرات العهد القديم من بدايته حتى نهايته ... حتى نهايته شفويا مرات أجريت فمى ليسرع عن الصمت".

ولم يتم التعرف فقط على صحيح العهد القديم ، بل أيضا إدراك التناقضات والمواضع الصعبة التي تتطلب مزيدا من التوضيح كما تم التعرف أيضا على أقوال الباحثين السابقين له ، فنجد أيضا في استفساراته اقتباسات من أقوال حكماء التلمود في هذه القضية . وكذلك عبارات من تساؤلات حيوى . ولم يكن عبثا أن يسعى المستفسر "أن يكون علم العهد القديم لتفسير العهد القديم". وأدرك أن سفرى أخبار الأيام تكرر للأحداث المعروفة بالفعل في بقية أسفار العهد القديم . لذلك يتعجب ويستفسر : "عملية إحصاء مزدوجة للمسبيين وبناء الهيكل ، وصلاة كاتب الأمثال ، ومحاربي دلود ، وإحصاء إسرائيل ، وموت شازول ، كل ذلك مزدوج ، فماذا نتعلم ونستفيد منها ؟ . وليس هذا فحسب ، بل أيضا موت يوشع وصموئيل ، وقنوم سنغريب وعمار الهيكل ، "والعديد من الأحداث التي ليست مقدسة بقلماذا حدث الانبواج والتكرار في العهد القديم ؟.

ولم يكشف فقط التكرار في سفرى أخبار الأيام، بل اكتشف أيضا روايات مفصلة عن الأحداث المعروفة لنا من الأسفار التاريخية الأخرى ، فيتابع ويحصى التناقضات المتكررة المرتبطة بسنوات ملك أسا (الملوك الأول ١٦: ١٨ = أخبار الأيام الثاني ١٦: ١) وكذلك المتعلقة بعمر أحمزيا بن يورام (الملوك الثاني ٨: ٣٦ = أخبار الأيام الثاني ٢٢: ٢)، وأخبار أيام مملكة يهوياكين (الملوك الثاني ٢٤: ٨ = أخبار الأيام الثاني ٣٦: ٩) . ولم يكن الخطأ في حساب السنين بين سفرى الملوك وسفرى أخبار الأيام ،

بل كان أيضا في نصعين في رواية واحدة . ففي سفر الملوك الثاني (١٥ : ٢٠) يقول النص "وملك هوشع بن أيله مكانه في السنة العاشرة ليوثام بن عزيا " ، ثم يعود في نهاية الفقرات الثلاث الأخيرة فيقول إن يوثام بن عزيا ملك ست عشرة سنة فقط (٢٢:١٥) كما أن يريعام بن يوشع صعد للملك "في السنة الخامسة عشرة لملك أمصيا ، وفي السنة السابعة والعشرين ليريعام ملك عزيا بن أمصيا وفي السنة الثالثة والعشرين ليوشع بن أحزيا وبعد ذلك ملك ابنه وهو في السابعة والثلاثين " .

وتوصل أيضا إلى وجود تناقض واضح بين بعض العبارات في نفس السفر " لم يرد في العهد القديم إشارة بأن أبشالوم كان له أبناء ، أي لم يكن له ابن ، لكن أقام نصباً لتذكيره ، فكيف يكون ذلك ، وقد ولد له ثلاثة أبناء ويثبت اسمها ثامار (صموئيل الثاني ١٨: ١٨ ، ١٤: ٢٧) . وفي موضع آخر "يبدو الأسلوب مباشراً حيث قال النبي لداود في الحوار: اذهب اصنع ليهوئيل بيتاً ، وبعد ذلك ندم يهوئيل ، وأنت - أي داود - لا تبني لي بيتاً بل ابنك هو الذي يبني لي بيتاً (صموئيل الثاني ٧: ٣ ، ٥: ٧) .

وعلاوة على ذلك اكتشف العديد من الارتباك في التأريخ والتكرار والتناقض في أسفار التوراة كما في الرواية الخاصة بالطوفان وفي قصة الجواسيس وغيرها . ويرد في سفر التكوين عن يهوذا أنه وقت بيع يوسف قد هبط آنذاك عند رجل عدلامي واتخذ له زوجة ، وولد له عير ، وبعد ذلك ولد أونان ، واتخذ عير ثامار زوجة له ثم مات عير ثم مات أونان وترملت زوجته "ومرت السنون" وانصاع يهوذا لثامار فتزوجها وولدت له فارس ، وولد فارس حصرون وحامول ، وحدث كل هذا في غضون "اثنين وعشرين سنة" منذ بيع يوسف وحتى هبوط يعقوب وبنيه مصر (التكوين ٣٨ ، والتكوين ٤٦: ١٢) .

كما تسرد التوراة تسع مرات عن الشعوب التي يطردها يهوئيل من أمام إسرائيل في أرض كنعان "وفي ذلك اليوم (عهد الأشلاء) أقسم أن يعطيه عشرة أمم إرثاً ، كيف ذلك ؟ ، وفي خمسة مواضع قال ست أمم ، وفي موضع قال خمس أمم ، وفي موضع آخر ثلاث ، وأضاف موسى سبع أمم" (التكوين ١٥: ١٨ ، ٣: ١٧ ؛ العدد ١٣: ١٩ ؛ الخروج ٢٣: ٢٨ ؛ التثنية ٧: ٢) . ولم تكن أقوال الروايات هي التي تحض بعضها البعض فقط ، بل أيضا نصوص الأحكام والقانون . "فعلما ذكر النبي كل الأعياد لم يحضر بني إسرائيل من اللب في تلك الأقوال . ولم يذكر يوم هتاف البوق ويوم الغفران" (التثنية ١٦) كما لم ترد أحكام نظام القرايين في سفر التثنية .

ونبه إلى أن كل القوانين المذكورة في التوراة لم تكن معروفة في عصر القضاة والملوك . لذلك يتمجب "عظيم أمره في تورات الكلمة ، لا تاكلوا فريسة وجيفة ، وكيف أمر للفرعان بالشمة غذاء يوميا لحملها ؟" . وعلاوة على كل هذا توصل إلى أن العديد من الفقرات والتعبيرات الموجودة في التوراة التي تمثل السفر النهائي للأجيال ، متلخزة ويعيدة عن طبائع الحياة المألوفة في عصر العهد القديم ، ونظم المجتمع المألوفة آنذاك " :فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة ويجوهر ولك شعير " (هوشع ٢: ٣) فما مقدار لك ؟ وما الخاصية بين الفضة والجوهر ؟ يتضح بجلاء في قول اصطلاحى " .حقا "فإن اليد قصيرة وعاجزة عن التصريح بحكمة العهد القديم المدهشة " .

وكما يبدو لم يكتف هؤلاء المستفسرون بطرح الأسئلة فحسب . بل تشجعوا إلى حد ما حتى يتمكنوا من فهم سبب "الفجوات" التي وجدوها في العهد القديم وعلاجها . ولولا ذلك ما لقيت أقوالهم غضبا في معسكر فلسطين ، وما ثار عليهم زعماء الماسورا بغضب شديد . وتكشف الصفحات الاثنتا عشرة التي وجدها البروفيسور شاختر عن كتاب للحرب القوية التي حاربها ضدهم "الجاؤون" "ومدرسته" . والواقع يبرز لتكون بمثابة هدم الهيكل . وتشمل هذه الصفحات بكل تأكيد أسئلة فقط . غير أن هذه الصفحات تمثل قطعة واحدة أى مقدمة الكتاب ، وربما جاء بعدها فصول أخرى توضح اتجاه ومنهج السائل أكثر "في علم العهد القديم" . ويحكى السائل في نهاية هذه القطعة المتوافرة لدينا ما يتعلق بالكتب الثلاثة التي ألفها وهى "فى إسرائيل علنا وليس سرا" وفيها اهتم "بشروح العهد القديم وأسلوبها" ، أى شرح الأسئلة ، فالأسئلة لم تأت للإخفاء فقط بل للفهم أيضا .

١٠ - تدهور النقد فى بلبل وارتقاؤه فى الأندلس

ومع ذلك لم يستحق هذا الاتجاه النقدى لكى يكون فرعاً يبرز فى تسلسله الطبيعى . فالعصر كان عصر فوضى فى الآراء الدينية . حيث ظهرت فرق عديدة ومختلفة فى معسكرى الربانيين والقرائين فى فلسطين وكان الصراع محتدماً بينهما ، وكذلك بين الأحزاب الدينية فى كل منهما ، وأصبح من المتوقع حدوث فوضى دينية ووقوع خطر على أسس العقيدة المألوفة ، ولذلك رأى حراس الماسورا فى ذلك الجيل أن من واجبهم التغلب على الخطر وتهينة الأنفس الثائرة فى الوقت المناسب .

وأدى ذلك إلى ظهور أدب المناظرة وتطوره . ودافعت الماسورا عن وجودها بكل قوة . وقام الربى سعديا جازون (الذى ألف كتابا ضد القرائين) بمناظرة حيوى البلخى دفاعا عن قداسة التوراة المكتوبة والتوراة الشفوية وكما هما . كما ناضل أصحاب الماسورا اليهود المحدثين والمحافظين سويا . وكان هذا الأسلوب فى المناظرة أحد عوامل ظهور النقد والذى كان من الممكن أن يختفى لولا ظهور علماء مخلصين للنقد وظهور مجالات جديدة للتأليف بالعبرية ساعدت على تطور النقد وعدم اختفائه فى خضم الأدب التفسيري الذى سيطر على التأليف بالعبرية لفترة طويلة من الزمن . ومن هذه العوامل ظهور علم النحو الذى نشأ وازدهر فى جنوب أوريا ، ومنها أيضا تطور العقلانية الأوروبية متأثرة بالعقلانية العربية خلال العصر الذهبى لليهود فى العصر الوسيط .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الرابع

علم النحو والبحث الدينى

أولاً : ازدهار النقد في الأندلس

١- اللغويون والعهد القديم

ارتبط علم النحو منذ نشأته وحتى الآن بنقد العهد القديم ، وأفاد كل منهما من الآخر . وكان الجوهر الأساسي للغة العبرية مظهراً من مظاهر نقد العهد القديم . وقد استمد النحاة الأوائل كل أسرار اللغة من الكتابات المقدسة ، وحددوا علي أساسها أساليبهم عن تطور اللغة وقوانينها . وبما أن قوانين اللغة قد اتضحت وحدثت ، فقد أصبحت أساساً ثابتاً لفهم النصوص المقدسة وبحث مقاصدها . وواصل اللغويون والنحاة بمزمنة ونشاط ما بدأه أصحاب الماسورا ، وطوروا في نقد العهد القديم طرقاً لم يحققها الأوائل .

واستخدم البحث النحوي - أيضاً - باعثاً هاماً لتعميق دراسة الكتابات المقدسة . إن تعاليم إله إسرائيل متضمنة في أسفار العهد القديم ومنها يستمد البحث وعليها يكون التأسيس . فمع اتساع الأفق وزيادة الإيمان بالمذهب العقلي تشعب نقد العهد القديم ، وابتعد عن المجالات الضيقة المرتبطة بنقد الحروف والكلمات التي حدها علماء الماسورا وعلماء النحو . واتجه بخطى واسعة لمعرفة التطور التاريخي للعهد القديم ، ورسم للنقد العبري الطريق المؤدي إلى بداية البحث الحديث .

٢- يهوذا بن قوريش

يعد الطبيب يهوذا بن قوريش (الذي عاش في طليطلة في شمال أفريقيا في بداية القرن العاشر) الباحث الأول في علم النحو واحداً من مفسري العهد القديم الذين اهتموا بمعرفة ترجمات العهد القديم ومقارنتها بالأصل . وقد كان أول من سلك أسلوب المقارنة في بحث لغة العهد القديم وشرح الكلمات العبرية معتمداً على نظائرها العربية والآرامية والبربرية . ولم يصل إلينا تفسيره لسفر أخبار الأيام . وقد عرفنا من خلال مفسر آخر مجهول الاسم ملاحظاته العميقة التي أثبتت التناقضات الموجودة في أسماء الشخصيات المذكورة في سفر أخبار الأيام دون اللجوء إلى تفسيرات بعيدة . وقد اضطر إلى البحث لها عن تفسيرات تاريخية لم تثبت أحياناً مطابقة لتفسيرات أصحاب الماسورا .

وكان يشيبهه إلى حد كبير النحوي الإيطالي شيتي دونولو في تفسيره للنصوص وإزالة غموضها . ووضح ذلك في تفسيره لقصة الخلق ضمن تفسيره لسفر التكوين . ويمثل هذا البدايات الأولى للفترة الجديدة في تاريخ النحو .

٢- مناحم بن سروق وتلاميذه

وفي منتصف القرن العاشر نهض لعلم اللغة العبرية مخلصون جدد في الأندلس؛ فتقدم علم اللغة العبرية بواسطة مناحم بن سروق ودوناش بن لبراط إلى مرتبة العلم ، ورغم اختلاف أرائهما واختلافهما فقد كانت الكتابات المقدسة أساس أبحاثهما . واعتمد مناحم على أسفار العهد القديم "لصقل اللغة اليهودية في أساسها وجنورها " (افتتاحية كتاب المنكرة) وكرس كل وقته للعهد القديم ، فشرح كل جذر من جذور لغته ؛ ولأنه كان حريصا على عدم الخروج على قواعد اللغة فقد ظل عاجزا عن دراسة تفاسير الأجادا . ولكنه تمكن من التمييز بين التفسير السائد لمعاصريه والمعنى البسيط للعهد القديم

أما دوناش بن لبراط فقد تعصب تعصبا شديدا لكل حرف وكل نقطة ، وفي إجاباته على سعديا جافون (ص٢) أشار غاضبا : "حاشا لله أن نلّس أمرنا تفسيرا يؤدي إلى حلف نقطة واحدة " ومع ذلك فقد كان مضطرا أكثر من مرة لتعديل تشكيل الماسورا ، وتغيير أقوال الماسورا .

ومهد تلاميذ مناحم بن سروق - وبخاصة الربى يتسحاق غقطيله والربى يهودا حيوج - بأبحاثهم في علم اللغة سبلا جديدة في فهم العهد القديم ، كما أن يونا بن جناح تلميذ تلاميذ مناحم بن سروق ورائد باحثي اللغة العبرية في العصر الوسيط قد أقام لنفسه اسما أبديا في تاريخ التفاسير بكشفه طرقا جديدة في نقد العهد القديم . وإذا كان النحاة الذين سبقوه تعلموا العهد القديم من أجل معرفة قوانين اللغة ؛ فإن الربى يونا بن جناح قد تعمق في تفسير قوانين اللغة من أجل إظهار المقاصد النهائية للعهد القديم . وإذا كان السابقون قد بحثوا في الكلمات والجذور فقط ، فإن الربى يونا قد أسس علم الأسلوب وقوانين النير . الأمر الذي ساعد على فهم العديد من فقرات التوراة وتبيان التناقضات المختلفة فيها .

٣- الربى يونا بن جناح

ويعد كتاب "النقد " الذي ألفه الربى يونا بالعربية ، والمتضمن كتابيه : "التراكيب " و "الأصول " من أهم الكتب التي كتبت عن العهد القديم في ذلك العصر . وقد جمع الربى يونا بين شمولية اللغة وعلامات بناء التراكيب في اللغة العبرية ما يلي : "الإيجاز" ، و"الناقص" ، و"تسمية الأشياء بنقيضها" و"الإبدال" ، وما يقال

عن الكلمة وحاجة غيرها لها . وقد اهتم بتوضيح مضمونها بجلاء وحوود كل منها ، وأسس رأيه في خضم الرئي المستمدة من الكتابات المقدسة . وهكذا أوجد لنفسه فرصا شاملة لاستخدام قوانينه لتفسير مسهب ، واستنتاج نتائج هامة في نقد نص العهد القديم .

وقد كان للأساليب التي طورها الربى إليعازار بار ربى يوسى الجليلي أهمية كبيرة ، وبخاصة الأسلوب المعروف باسم "مقرا مختصر" والذي أصبح عنده أساسا قويا لمنهج كامل في النقد . ففي شرح قوانين الحذف (أو كما سماها في ترجمته العبرية إخفاء الأمر) يشير إلى أنه في أسلوب لغة العهد القديم لم يتم فقط حذف حروف أو كلمات ، بل حذفت تعبيرات كاملة . وواجب المفسر إتباعها بناء على أسلوب فهم العهد القديم . ثم أحصى في قائمة طويلة تلك الاختصارات وتعديلاتها (إخفاء الأمر "و" مدلوله ") . وهكذا فإنه في سفر اللاويين (٢:٢٠) يفسر الفقرة "أعطى من زرعه للملك "بدلا من "أعطى من زرعه لملك " . وذلك على أساس ما ورد في (٢١:١٨) فيقول النص "ولا تعط من زرعك للإجازة لملك " وما إلى ذلك ، وبناء على ذلك فإنه يرى أن النص قد تغير تغيرا ملموسا . وعلى سبيل المثال يفسر سفر الخروج (٢٢:٥) "أكل الذي في الحقل "بدلا من "إذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت أكداس أو زرع أو حقل " . وفي صموئيل الثاني (٨:١٨) يفسر "وزاد شجر الوعر" أو "حية الوعر "بدلا من "وزاد الذين أكلهم الوعر من الشعب " .

وعلاوة على ذلك فإنه اعتبر الكلمة "شلمان" في هوشع (١٤:١٠) بمثابة اختصار للاسم "شلمنصر" ، وكذلك الكلمة "المحاصرون" في إرميا (١٦:٤) اختصارا للاسم "نبوخذ نصر" ، كما شرح إبدال الحروف داخل كلمات فريدة مثل "في نصف "بدلا من "في نحو نصف" (صموئيل الأول ١٤:١٤) ، "من أين ؟ "بدلا من "ما أى هذا ؟" (صموئيل الثاني ٢:١٥) . و "ما عدا "بدلا من "عدا من " (التكوين ٢٦:٤٦) ، والعدد ٢٨:٢٢) : الموازي الملوك الأول ٥: ٣ . وما إلى ذلك . ويشير على هذا النمط للعديد من التغييرات في ترتيب الكلمات داخل الجملة مثل "من أجل ما صنع "بدلا من "لأجل هذا صنع " (الخروج ١٣: ٨) ، و "فوق الجبال تقف المياه " بدلا من "فوق المياه تقف الجبال" (المزامير ٦: ١٠٤) ، و "إذا ضربه اليرص قد برئت منه الابرص "بدلا من "الابرص قد برئت من اليرص" (اللاويين ١٤: ٢ وما إلى ذلك) .

ومع ذلك فإن ملاحظات الربى يونا بن جناح النقدية واسعة وخاصة فيما يتعلق بالفاظ التي لا يفسر معناها تفسيراً حرفياً ، أو حسب رأى الربى يونا " يتحدثون كلاماً ويقصدون غيره " .

ومن خلال الأربعة عشرة قاعدة التي وضعها ، والتي يمكن على أساسها إيجاد المعنى الحقيقي للفظ المكتوب ، ظهر له حوالى مائتى تعديل داخل نص العهد القديم منها مثلاً ، تعديل " :أخذت خيزى ونبيدى " إلى "أخذ خيزى ومائى ؟ " (صموئيل الأول ١١:٢٥) ، وتعديل "وكانت يد يهوه عليكم وعلى ملككم " ، إلى "عليكم كما على أبائكم " (صموئيل الأول ١٥:١٢) ، وتعديل "وصمت كعبد يهوه " (إشعيا ٤٢:١٩) إلى "وأعسى كعبد يهوه وكذلك تعديل "واسم أخته معكة " إلى "واسم امرأته معكة " أخبار الأيام الأول(١٥:٧) (أنظر نفس المصدر ١٦:١٥) .

كما أن الأعداد مثل :اثنتان وثلاثة (التكوين ١٨:٢٦ ، الملوك الثاني ٩: ٢٢ ، إشعيا ٦:١٧) ، والعدد سبعة (التكوين ٢٤:٤ ، اللاويين ١٨:٢٦ ، الجامعة ١١:٢) ، والعدد عشرة (صموئيل الأول ٨:١ ، أيوب ٢:١٩) ، العدد مائة (الجامعة ٦:٢) ، والعدد ألف ألف (صموئيل الثاني ٢:١٨ ، المزامير ١١٠:٨٤ ، ٧:٩١) لم يفسرها بمثابة أعداد محددة ، بل فسرها بمثابة أعداد عامة .

كما قام بتعديل العديد من الأسماء والأعداد التي تبديلت بلخرى . فبدلاً من : "الثالث" فى (القضاة ١٥:١٤) قال "السابع" ، وبدلاً من "هارون" قال "يعقوب" فى إرميا (٢٦:٢٣) وبدلاً من "موف" قال "ميكال" فى صموئيل الثانى (٨:٢١) ، وبدلاً من "سليمان" قال "إيشالوم" فى الملوك الأول (٢٨:٢) ، وبدلاً من "وعند خروجهم من الدار الداخلية" قال "من عند خروجهم للدار الخارجية" فى حزقيال (١٩:٤٤) .

وعلاوة على ذلك كشف عن حروف وكلمات كثيرة نسخت من مكانها الصحيح وتحركت إلى نصوص أخرى ، وكذلك أنصاف أسطر لم توجد فى مكانها الصحيح (مثل السطر فى صموئيل الأول ١:٤ الذى انتقل إلى صموئيل الأول ٢:٢٠) ، وما يشبه ذلك ، فقد أحصى العديد من الكلمات التي تبديلت بلخرى مشابهة لها فى الصوت .

وهكذا وصل ربى يونا بن جناح عل أساس بحث الأسلوب العبرى وفهم قوانين تركيب الجملة إلى بحث متقدم فى نقد نص العهد القديم ، كما وصل العديد من العلماء المتأخرين إلى مثل هذا البحث على أساس من تلك القوانين ذاتها أو غيرها والاختلاف

الأساسي بينهم هو أن المتأخرين يتحدثون بشأن النص القديم الذي حُرِفَ بمرور الزمن من قبل الكتبة والنساخ العديدين ، أما هو فيرى أن ذلك نتاج تعديلات في صورة الأسلوب العبري في العصر القديم . لكن من الخطأ الاعتقاد بأن ربي يونا استمر في تعديلاته مقيدا بوجهة النظر الفيلولوجية فقط ، فالعديد من هذه التعديلات المحصاة - وبخاصة الأخيرة - لا يمكن إيجاد سبب آخر لها غير أخطاء النساخ .

ثانياً ، المفسرون في فرنسا

وقد كان تأثير أولئك النحاة على معاصريهم والأجيال المتأخرة تأثيراً كبيراً ، حيث أثرت روحهم على كبار المفسرين الذين نشلوا في فلسطين . أما المفسرون الذين كانوا في فرنسا فقد تأثروا كثيراً بعلماء النحو ولم يثقلوا أنفسهم بعيب البحث وعلم الباطن (السود) مثل زملائهم في الأندلس . بل كان جل اهتمامهم داخل الكتابات المقدسة فقط . واستمدوا من داخلها شكوكهم وطرق تبنيها . والحقيقة أن اللغة العبرية لم تكن منتشرة بينهم . لذلك كان أمامهم مؤلفات النحاة الأوائل بصورة أساسية مثل يونا بن يونا بن لبراط ومناحم بن سروق وتلاميذهم الذين كتبوا باللغة العبرية .

١- شلومي يتسحافي

وقد كانت نتائج استنباط هؤلاء وطرقهم واضحة لهم . وكان الرابي شلومي يتسحافي المفسر الأكثر إيماناً بذهب القابالا من بين كل مفسري العهد القديم اليهود . وكان شلومي من أعظم مفسري فرنسا وخطيب دائرة أصحاب الماسورا . وقد أكثر من استخدام قوانين النحو ، واجتهد للوقوف على قصد النصوص بمعناها المباشر و " تثبيث النصوص على طابعها ونظامها " (الخروج ١٢: ٣٣) ، ولم يفضل " التفاسير الحرفية المتجدة " على أساس أقوال الأجداد الراسخة لكنه استخدمها واقتبسها (المراثي ١: ١ ، المقدمة لشيد الأناشيد ، الخروج ٩: ٦ ، الجامعة ١٢: ٤) .

وقد سعى بلا شك في تفاسيره إلى دعم جوهر آراء الماسورا المسلم بها ، ولم يكن هناك ما يمنعه من الإشارة إلى أن العهد القديم لم يكتب إلا " من أجل أن يتمل المستمع " ما ورد مثلاً في الخروج (١٨: ١٩) وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار . وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدا " .

كما تنبيه أيضا إلى عملية ربط الأحداث وتوصل إلى حقيقة اختلاف المؤلفين وترتيب النصوص ، فهو يرى أن بداية سفر يشوع "وكان بعد موت موسى" متصل بالتوراة التي تنتهى بموت موسى أى أن سفر يشوع متصل بالتوراة "أو "وكان رجل من جبل أفرام " . وعلى الرغم من أن هذين القسمين كتباً فى نهاية سفر ميخا والسارية فى جبعة ، إلا أن ذلك كان فى بداية سفر القضاة (١:١٧) . وعندما وصل إلى عبارة "واستراحت الأرض " (القضاة ٣١:٥) يحذر منها "ليس هذا من أقوال دبوراً بل من أقوال كاتب السفر " . ولا يوجد "سابق ومثلخ فى التوراة " والكل عظيم بالنسبة له " .

٢- ريبى يوسف قرا

وقد تفوق على الربى شلومو يتسحاقى فى هذا البحث معاصره الشاب ريبى يوسف قرا ، والذي أعلن أن طرق التفسير التي كانت مألوفة فى فلسطين منذ عصر الأجداد التلمودية كسلوب عام فى فهم العهد القديم ليست سوى تحسين وتجميل للتفسير ، وأن الجوهر يكمن فى التفسير الحرفى المنطقى للنصوص [البشاط] ، وعندما وصل إلى فقرة "الآن النبى اليوم كان يدعى سابقا الرائي" (صموئيل الأول ٩: ٩) فإنه لم يشك مطلقا فى استنتاج الحكم التالى "أن هذا السفر لم يكتب فى عصر صموئيل " ولم يتجاهل كلية أنه بهذا يناقض أقوال أصحاب الماسورا ، بل يضيف التفسير قائلا : "قال علمائنا طيب الله ثواهم أن صموئيل كتب سفره المضي للأرض لكى يجعل من الظلمة نورا ومن الفساد إصلاحا " .

وحاول فى تفسيره تحديد قوانين معروفة تبين عامة فى التفاسير ومؤسسة كلها على قواعد التفسير الحرفى المنطقى للنصوص (البشاط) وفهم اللغة ، كما كشف أحيانا عن السمة الأدبية التي لم تكن متوافرة مطلقا عند مفسرى العصر . كما استنتج الجنس الشعرى من داخل النصوص ، وأحصى منها أنشودة الخلاص وأنشودة موسى ، وقصيدة البئر وأنشودة داود وما إلى ذلك (القضاة ٥) . وأما ريبى شلومو بن منير - حفيد الربى شلومو يتسحاقى - الذى اعتبر "رئيس المذققين" فإن أقواله لم تحظ شهرة . كما أن أخاه ريبى شموئيل بن منير كان من المعجبين بالتفسير الحرفى (البشاط) ودافع عنه بقوة . وتشجع أكثر من مرة لتوضيح بساطة العهد القديم فى مقابل أقوال الماسورا وتفسير شيخه . وكان ريبينو تام الحفيد الثالث للربى شلومو يتسحاقى الأكثر اعتدالا والأكثر تلمودية من بين مفسرى ذلك العصر ، ولم يكن بعيدا

عن الملاحظات النقدية ، وتبدو آثار تفسيراته مبعثرة في مجموعات التوسفتا . وقد أشار إلى أن الإصحاح (٢٠) من سفر الأمثال سفر قائم بذاته واسم مؤلفه "علوقا" ، كما أظهر في فكرته الإشارة إلى قواعد في النحو ليحسم الخلاف بين دوناش ومناحم .

٣- ربي يوسف بخور شور

ومن المفسرين الكبار في فرنسا نجد ربي يوسف بخور شور آخر تلاميذ ربي شلومو ينسحاقى ، والذي تميز بتعصبه الشديد للتفسير الحرفي (البشاط) و "تغلغل بروح فهمه في أعماق النصوص ورأى فيها تناقضات تنبئ إليها نقاد العهد القديم الأكثر حداثة" . وأدرك أن قضية "السلوى" الموجودة في قسم "وأصعدتك" هي نفسها السلوى في سفر الخروج (١٦) ، "غير أن الذي تحدث على سبيل المثال بالמן تحدث عن السلوى" . وهكذا يقول في تفسيره للعدد (٨:٢٠) "أخذ العصا" أنه يعنى العمل لتقييده بالرسالة الذي أمر به موسى أن يضرب الحصن . وأدرك أن الاسم "بنز سبع" (التكوين ٢٦:٢٦) أعطى لهذه المدينة مرتين في التوراة . مرة في عصر إبراهيم ومرة في عصر إسحاق ، كما أن الروايات تداخلت في رواية بيع يوسف ، فمرة ابتاعه الإسماعيليون ومرة المديانيون .

وحاول أيضا إنهاء محاولاته في بحث النصوص بصورة عامة ، وأشار أثناء ذلك إلى قاعدة وجود نصوص الحروف فيها تكون معكوسة (الخروج ٢٨:٤٠) كما أشار إلى وجود قراءات مختصرة (التكوين ١:٤٨) وقراءات محركة (العدد ١٤:٢٨ ، التثنية ٢٥:٦) وما شابه ذلك .

ثالثًا : النحلة والمفسرون

١- العقلانية الفلسفية والعهد القديم

لم يؤثر علم النحو في الأندلس على مفسرى فرنسا فحسب بل أثر أيضا في علماء الأندلس نفسها ، وإذا كان مفسرو فرنسا قد عاشوا عالة على أعمال الجيل الأول من باحثى اللغة ؛ فقد بزغ في الأندلس نجم الربى يهودا حيورج والربى يونا بن جناح والربى موشيه بن غقطيله والربى يهودا بن بلعام ، ويسبب هؤلاء رجح أيضا الاستبطاط

فى ذلك العصر، حتى أن مومى بن ميمون عرفهم بمثابة "حكما المفسرين" وأسس أقواله على نتائج أبحاثهم .

وإذا كان علم النحو فى تطوره قد بعث الروح فى بحث الكتابات المقدسة وحقق نتائج واضحة فى بحث كل نص من النصوص ، وكل نص قائم بذاته ، فإن تطور الاستنباط العقلى أدى إلى بحث قضايا أكثر تجريدا ، وتجرات موضوعاته لاختراق أسلوب دراسة النصوص . وتسبب تطور النحو فى تطور نقد العهد القديم ، وأدى البحث الأدبى إلى بدايات النقد التاريخى . ولا شك فقد كانت فرص البحث الفلسفى قليلة من بدايتها : فقد برز البحث الدينى من البداية فى مجال دراسة العهد القديم فى فروع متصلة ، حتى إن الربى سعديا جالون الذى مهد الطريق للفلسفة عبر عن رأيه فى كتابه "الامانات والاعتقادات" بقوله "إننا نحن الموحدين نؤمن بالأبعاد الثلاثة التالية: العلم وهو (معرفة الظاهر ، وعلم العقل وعلم الضرورة) ونضم إليها بعدا رابعا ... فيكون لنا مصدرا مهما وهو الهاجادا الثابتة " .

٢- رى سعديا جالون

تعتبر الماسورا فى رأى سعديا جالون مصدرا للمعرفة ، بل يجعلها فى مرتبة واحدة مع العقل وأقوال النص المقدس . ويفهم من ذلك ، أنه طبقا لوجهة النظر تلك لا يمكن للإدراك العقلى أن يناقض الهاجادا الماسورية الثابتة والراسخة ، وهكذا يقرر مصير النقد بشكل رجعي . وبالتأكيد فإن هذا لا يعنى أن كل الأقوال المكوفة عند الشعب - دون أن يخرج منها العام - حقيقية وصحيحة كلية ، وأنه لا توجد سلطة لعقلنا لمعارضتها . بل على العكس من ذلك ، فإن الربى سعديا جالون فى كتابه ضد القرائين ومذهب عنان بشأن "الرجعية الموروثة" قد تار على هذا الرأى ، ولذلك فإنه يتحدث عن الهاجادا الثابتة لدرجة أن بعضا من عقلانيته وجدت دعما أساسيا فى أقوال الماسورا المعروفة ، مثل الاعتراف ببعض التناقضات الأخرى فى أقوال الماسورا .

ووجد نقد العهد القديم فى هذا القسم عند الربى سعديا جالون مكانا متميزا . فرغم ثقتة التامة - على سبيل المثال - فى الروايات الخاصة بالمعجزات ، ورأيت لها بانها برهان قاطع لللاهوية التى تظهر وسط أحداث التاريخ اليهودى ، وأنها دليل واضح على صدق روايات العهد القديم فقد سمح لنفسه - عندما تدعو الضرورة - بتقريب المعجزات للعقل، فيفسرها مخالفا الماسورا . ويدلل على ذلك فى تفسيره لسفر التكوين بشأن

الحية التي تكلمت مع حواء، بأن الحية لم تتكلم بل الملك تكلم بدلا منها (التكوين ١: ٢)، ويسفر آتان بلعام، بأن الآتان لم يتحدث بل الملك (العدد ٢٢: ٢٨).

وقريته أبحاثه في علم اللغة العبرية كثيرا إلى جوهر أقوال العهد القديم، وترجمته العربية مترجمة وبعميدة عن المدراس وأقوال الأجداد. وكان الربى سعديا وثقا أن كل كتابات العهد القديم مكتوبة من قبل الوحي، واستخدم هذه العقيدة أساسا لأسلوبه الفلسفي، ورغم ذلك فقد حدد قواعد تسمح بشرح أقوال النص على غير صورتها، ولم يرفض الموافقة أحيانا على وجود كلمات ناقصة في النصوص التي أمامنا، وأنها تحتاج إلى تعديلات، كما أن التشكيل أحيانا لم يكن كما ينبغي ومن الضروري تعديله. ويحتج ابن عزرا في تفسيره لعبارة "ملعون كنعان" (التكوين ٢٥: ٩) ويأتي بقول الربى سعديا "تنقص كلمة أبي، ويجب أن تكون أبي كنعان"، وفي عبارة "أما ياسمى يهوه فلم أعرف عندهم" (الخروج ٦: ٣) يأتي ابن عزرا ويقول "قال الربى سعديا جاؤن تنقص في النهاية كلمة وحده، كما لو قال وأما باسمى يهوه وحده فلم أعرف عندهم".

ويؤكد الربى شلومو فرحان اعتماداً على الربى سعديا أنه بدلاً من "عرقبا ثود" (التكوين ٦: ٤٩) ينسخ "سور"، يعني سور شكيم؛ وترجم الربى سعديا جاؤن" (التكوين ٤١: ٣-٤) - "والرقيقات اللحم" أي نعومة اللحم، ومن إجابات دونا بن لبراط على الربى سعديا جاؤن فإنتا نعلم أن سعديا قد عدل في تشكيل أيوب (٣١ : ١٨)، والتكوين (٤٩ : ١٠) وغير ذلك. وأسلوب الربى سعديا جاؤن بشأن تثبيت العهد القديم يعد ذا أهمية كبيرة تتخطى حدود البرايتا المعروفة في (بابا باترا ٢) وتتقارب مع رؤية النقاد المحدثين. وفي تفسيره لسفر الخلق يقول "استمر بعض العهد القديم لسنوات عديدة معلناً ومُسلماً به وغير مكتوب (يعني أن جزءاً من أسفار العهد القديم كان لسنوات عديدة معلناً ومُسلماً به شفويًا وليس كتابةً)، مثل تشيد الأناشيد الذي استنسخه رجال حزقيا، إلى أن حان الوقت الذي جمعه فيه العلماء واهتموا به ونمقوه وحدوه ووضعوا له الأسس.

٢- معارضة التشبيه اللاهوتية

غير أن أنماط الوصف التي صور بها اليهودي القديم المعاصر للمعرا الإله

ونشاطاته تمثل الصعوبة الأساسية التي صادفت الباحثين في العهد القديم وأجبرتهم على القيام بعملهم ضد الماسورا التقليدية وأن يسلكوا طرقاً جديدة . منها طرق النقد الحر، فهم الذين نشروا النظرية التجريدية للألوهية بمثابة فكرة روحانية الذات الذي ليس له جوهر وليس له شبه جوهر، وارتعدوا عند قراءتهم في أسفار التوراة - الأساس المؤسس لكل الدين اليهودي - للروايات والتعبيرات التي تصف الإله وصفاته بصورة تجسدية مطلقة . ويسبب المعادة لتلك الصورة التجسدية [الأنثروبومورفية] نهض البحث الديني عند اليهود طوال ذلك العصر . واستخدم هذا الصراع في إثارة النقد مراراً لتدمير النقد . والمقال المذكور عن نقاد العهد القديم في عصر التلمود "تحدثت التوراة كلغة البشر"، عاد للحياة . وقدم ليصبح حجر الأساس لكل التفاسير الفلسفية . وعلاوة على ذلك تشجع الربى سعديا جازون لتقريب روايات المعجزات إلى العقل . وعند تصادمه مع الصورة التجسدية [الأنثروبومورفية] المألوفة في التوراة : فقد أحصى عشرة أوصاف في التوراة على أساس مقارنتها بمواضع أخرى في العهد القديم واضطر ليقسرها ليس كما هي مكتوبة (الثنية ١١: ١٢ : العدد ١١: ١٨ : الخروج ١٦: ١٧ : المزامير الجامعة ٨٩: ٥ : العدد ٦: ٢٥ : الخروج ٩: ٣ : التكوين ٨: ١١ : إرميا ٣١: ٢٩ : المزامير ٩٩: ٥ : إشعيا ٥٩: ١٧) .

٤- سليمان بن جبيرول

وقد سار على منهج معارضة التشبيه كل باحثي العصر الوسيط في صراعهم مع الأوصاف والروايات المعارضة لفهمهم الفلسفي . وفي الواقع أن معظمهم لم يضع تفسيراً للمقرا غير أنهم أقحموا في كتبهم العديد من التفاسير المستحقة للانتباه والمعبرة عن وجهة النظر التي تصورها . كما أن العديد منهم كَتَبَ تفاسير ولم تصل إلينا . ويستحق أبراهام بن عزرا الثناء لأنه أقحم في تفسيره مراراً وتكراراً آراء المفسرين الآخرين . سواء من كان يوافقهم ، أو من كان يعارضهم . وعلى هذا الأساس فقد حافظ عليها حتى لا تختفى . فابن عزرا يأتي في تفسيره الأول لسفر التكوين (الذي لم يكتمل) بالتفسير الرمزي للربى سليمان بن جبيرول لجنة عدن، حيث يعكس ابن عزرا كيف أدخل هذا الباحث الرأى معانى تجريدية لأقوال النص المقدس ، ليكشف عنها الغشاء السرى "الذي يسمو عن أسلوب الطبيعة " ، ويجد دعماً لآرأيه داخل الكتابات المقدسة ، فيقول : "إن جنة عدن هاهى العلوية والنهر بمثابة "الألفاظ" ، والأربعة رؤوس هي "الجنود" . أما أنم وحواء والحية فهم صفات للنفس ، فأدم "الحكمة

التي دعت الأسماء ، وحواء إشارة للروح الحية ، والحية الاشتياق إلى ... الذي هو قسم الساحر المتكهن " وأقمصة جلد مفسر أنه هو المادة ، وطرد من جنة عدن لأن هذا كل إنسان " .

ويذكر الربى أبراهام بن عزرا ما يتعلق بحلم يعقوب قائلاً : "والربى سليمان السفارادى قال : وإن السلم إشارة للروح العليا ، وملائكة الرب - أفكار الحكمة " . وعلى كل حال أدرك انذاك الضرورة الملحة لإقحام أغراض جديدة فى بعض روايات العهد القديم والتي لا تنصب إليها مثل الحقائق التاريخية ، وفى نفس التفسير الأول لسفر التكوين يقضى الربى أبراهام بن عزرا بقول الربى سليمان بن جبيرول بشأن الحية ، الذى يقول : "إذا كانت الحية تتحدث ، لماذا لا تتحدث الآن ؟ " و "أعلموا أنه لا يوجد نكر فى النصوص أن تاملت كلامها " . ولذلك فإنه يخرج القصة عن معناها البسيط ، ولا شك فإن نقد العهد القديم لم يروج شيئاً من هذا ، وبدلاً من تفاسير الأجداد حلت تفاسير البحث . ولا تعكس كل روايات العهد القديم حقائق تاريخية حقيقية ، فهناك من يرى أن العديد منها مؤلفات أنبية فقط - رفض نفس النموذج الذى يقول إنه يطابق (بابا باترا ١٤ : ٢) وسفر أيوب على سبيل المثال منح بخصوص الشاة - وقد ازدهر وتنافس هذا الاتجاه من قبل أولئك الباحثين والمفسرين .

٥- بحايا بن فاقوده ، وموسى بن عزرا

يحذر رابينو بحايا بن فاقوده صاحب كتاب "هداية القلوب" ، قائلاً : "يسمى العاقل واسع الصدر إلى تبسيط الكلمات ومدلولاتها ، ويرفعه بفكره من رتبة إلى رتبة حتى يصل إلى حقيقة الموضوع ، ثم يواصل "والمجرد" و "المرتبة" لكل التعبيرات والروايات المتصلة بالظهور الإلهى فيبعدنا عن التفسير المادى . كما يخصص الربى موسى بن عزرا فى كتابه "تقسيم العطور" الذى وصل إلينا منه أجزاء - فصلاً خاصاً - : "إبعاد الماديات عن الخالق" ، ويشير فيه قائلاً : "والعاقل يجرد المفاهيم من غطائها المستعار المبتذل ويصبغها بغطاء عذب إلى أن يصل بها إلى المفهوم المنشود كما ينبغي أن تدركه قدرة الإنسان" .

٦- الربى أبراهام بن حيا

وأوضح أيضاً الربى أبراهام ابن داود فى كتابه "العقيدة المتسامية" أن

الصفات قيلت لأجل العامة فقط ، ولأجل الأمانة فإنهم مفتقرون للتكبير والتجريد تماماً . وكل من يتعمق في بحثه يحذر كثيراً من تجريد النصوص المقدسة . والربى إبراهيم بن حيا - المحتمل أن يكون من برشلونه - يربط في مقدمة كتابه "منطق النفس" ، بين رواية الخلق في العهد القديم وبين علم نظرية الكون في عصره ، ويفسر خربة "بمثابة عنصر (عديم الصورة) و"مياه" بـ"مثالية جمع لكلمة بمعنى "ماء" (مثل حملان من حمل أفواه من فم) ، يعنى أنها صور ، وهاهو يحذر لا يمكن أن يفهم منه ماء حقيقى ، لأنه ليس من الضروري أن نملو به عن الفهم ، طالما أننا نجد أسلوباً مباشراً في التفسير من النص الذى يسير على طريق الحكمة والعلم ولا يخرج عن أسلوب اللغة . وهاهو يضم قانونين جديدين ، وهما : أسلوب العلم ونمط اللغة . ومنذ ذلك العصر وعلى أساسهما ازدهر بحث العهد القديم بين اليهود ، والربى موسى بن ميمون أعظم باحثى عصره رفعهما إلى مرتبة أسلوب محدد .

٧- موسى بن ميمون

لم يترك لنا الربى موسى بن ميمون سطوراً قائماً بذاته عن العهد القديم . ووصلت إلينا تفسير بعض أسفار التوراة بواسطة ابنه الربى إبراهيم بن موسى بن ميمون ، ولا تشمل فيما بينها أسلوب ربط . كما أن كتابه الأساسى "دلالة الحائرين" ليس سوى تفسير لأقوال النصوص المقدسة المناسبة "لأسلوب العلم" ، كما أنه أيضاً ليس سوى توضيح للتوراة والتبوة . غير أن هذا العلم لم يكن هو العلم التاريخى ونظرية تطور النفس . وفى عصر موسى بن ميمون وفى رأيه لم يكن العلم سوى علم الطبيعيات والميتافيزيقا لأرسطو وعلم الكونيات [الكوزمولوجيا] السائد فى عصره ، وإليها توجه موسى بن ميمون للتوفيق بينها وبين النصوص . وفى سبيل ذلك وضع تحت مجهر النقد نظرية الخلق فى العهد القديم ، وصفات الألوهية ، وأقوال الملائكة ، وقضية ظهور الإله للشعب ومختاربه ، ورؤى الأنبياء وروايات المعجزات ، وخصص لكل ذلك أفضل فصول "دلالة الحائرين" . وقد أحس إحساساً ذاتياً بأنه غير مرتبط كلية بالحروف المدونة . ومعنى لكى يلائم أسلوبه مع النصوص : فنسج شبكة كاملة "للمفوض التوراة" وأسرار النص المقدس ، واستخدم فى سبيل ذلك كل معارف الذاتية وحده نكاه الجائزونية . وتفوق بذلك على كل الباحثين الذين سبقوه ، فلم يترك نصاً مقدساً واحداً يناقش الأمور المتصورة دون أن يمررها فى بوتقة تأويله ، ولم تقتصر هذه الأمور كلية قيد التجسيد والفهم العام . غير أن هذا يتصل بتلك الفصول التى بدت له تخفى

حقيقتها العلمية. وطالما أنه يحافظ على ذلك ، فقد عاد مرة ثانية وفيماً لدائرة أصحاب الماصورا ، ونظر إلى كل أقوال التوراة على أنها معطاة. وبذلك خضع لقداسة الماصورا .

وعلاوة على ذلك فإن جوهر بحثه أضاف له قوة ، فقد كان نقد التوراة بمثابة نتاج أدبي للتاريخ الواردة فيها ، ويقي ذلك بين اليهود لعدة أجيال ، غير أن عمل هذا "النسر" بسط جناحيه على بحث المقرأ ، ولم يمر بدون انطباع إيجابى على النقد فى هذا المضمار . وقد استخدم موسى بن ميمون بقوة واسعة طرق بحث علماء اللغة ونتاجهم ، ورفعهم لمرتبة "الأتكيا" من بين المفسرين ، ومن بين روايات المعجزات العديدة فى العهد القديم استنتج حقائق تاريخية ووجد لها مكانها الصحيح فى الحياة النفسية للراني. ونصاف فى العديد من تفاسيره المحاولات الأولى لاستخدام علوم الحفريات بهدف توضيح العهد القديم بصورة نظرية.

رابعاً ، الباحثون والمفسرون

١ - النقد التاريخي

والى جانب الربى موسى بن ميمون وفى عصره ظهر البحث العقلانى ، وازدهر فى مجال نقد العهد القديم ، كما ازدهر النقد التاريخي، وبهذا دفع إلى استنباط أسلوب جديد عظيم النتائج. فمرة أخرى تامل يهوذا بن قوريش عبارات أخبار الأيام الأولى (٣: ٢٠ - ٢٤) المتضمنة أسماء الأفراد الذين عاشوا بعد عصر عزرا مؤلف السفر ، وقرر أن هذه العبارات أقحمت داخل السفر فى نهاية عصر الهيكل الثانى، وذلك على أساس المعلومات التى وجدت آنذاك فى أسفار أعمال الملوك.

٢ - موسى بن غقطيله

أما الربى موسى الكاهن ابن غقطيله - الذى أسس تفسيره باللغة العربية على أساس قواعد بحث اللغة لابن جئاح والربى يهوذا حيورج - فى مقدمته البحث بشأن الكتابات المقصمة كان الباحث الأول المهتم بشأن من ألف هذا السفر أو أى إصحاح آخر ؟ ومتى ؟ وأين ؟. ويشمل تفسير الربى أبراهام بن عزرا فى ثنياه اقتباسات عديدة من التفسيرات التاريخية للربى موسى بن غقطيله. ويقترح ربى موسى

ابن غقطيله اعتمادا على الإصحاح الثالث من سفر يوثيل ما يلي "ربما كان هذا النبي في عصر القضاة". وهاهو يوضح من العبارة (١١) في الإصحاح (٤) من سفر يونا :أن النبي "يتحدث عن الهيكل الثاني والحاكم كان نرياميل". ويؤتى أبراهام بن عزرا برأيين فيما يتعلق بالعبارة (١٧) من سفر عويديا ، الأول رأى الربى يشوعا الذي ينسبه إلى زمن الهيكل الثاني ، والرأى الثاني رأى الربى موسى بن غقطيله الذي يرجعه إلى عصر حزقيا ، وليس كالرأى السائد بأن عويديا كان يعيش في عصر إلياهو. ويذل ابن غقطيله جهداً في تحديد زمن تأليف كل إصحاح من إصحاحات سفر المزامير ، ويشجع بصورة عامة ليقرو في تفسيره بشأن المزمور (٤٢) (إمام المغنين قصيدة لبني قورح) "أنه ألف في بابل"، كما يقرر ذلك أيضاً بشأن المزمور (٤٧). وأدرك ابن غقطيله من خلال الإصحاحات الموجودة في سفر إشعيا من الإصحاح (٤٠) وما بعده أنها تعكس لنا فترة تاريخية مختلفة ومتأخرة كلية عن الإصحاحات السابقة لها (تفسير الربى أبراهام بن عزرا لإشعيا الإصحاح ٤٠) ونسبها ابن غقطيله إلى عصر الهيكل الثاني.

٣- الربى يشوعا

ولم يكتب الربى يشوعا - الذي اختلف مرارا مع الربى موسى الكاهن - بتوضيح زمن تأليف أقسام النبوءات ، بل أدخل إلى دائرة بحث ما يتعلق بالتوراة. واعترف الربى يشوعا بأن موسى هو الذي كتب التوراة ، وليس فقط أنه كتب ما حدث في عصره بل أيضاً الأحداث السابقة عليه. وعلاوة على ذلك ، فإن الإصحاحات التي تبحث ما يرتبط بالعصور السابقة لموسى فإن موسى لم يؤلفها من وجهة نظر تلك العصور ، بل من وجهة نظره. وليس لدينا تقاسير الربى يشوعا ، كما أن معارفنا عنه قليلة ، وما لدينا عنه تفسير واحد اقتبسه الربى أبراهام بن عزرا ، وجعلنا نقف على رأيه السابق . فيقال في الخروج (٣:٦) وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر ... وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم " ، فيفسر وفقاً لـ : لقد وجدنا نصا في قصة إبراهيم - أنا يهوه الذي أخرجك من أور الكلدانيين ، وفي قصة يعقوب "أنا يهوه إله أبك إبراهيم" ، وقال الربى يشوعا : لأن إبراهيم ويعقوب لم يعرفا هذا الاسم ، فقط موسى كتب كذلك " . هذا يعني عندما وصل موسى ليكتب ما يتعلق بإبراهيم وما يتعلق ويعقوب لم يعلن الحدث بلسانهم ، بل بلسانه هو ، ويكنى الرب بنفس اللقب الذي عرفت به الألوهية عنده. ولما افترض الاحتمال ، بأن موسى عدل بأسلوبه

ولغته هذه الإصحاحات أو اللغات التي وصلت إلينا ، فمرة ثانية سنحت الفرصة للاعتقاد أنه حدث مثل هذا وتم التعديل بعد ذلك للإصحاحات التي كتبها . وتوصل لهذا الرأي النحوي والباحث يتسحاقى (الربى يتسحاق بن يشيش من طليطلة) صاحب كتاب "الإضافات" فى علم النحو وكتاب "يتسحاقى" فى تفسير العهد القديم .

٤- الربى يتسحاق بن يشيش

وعندما وصل الناقد الربى يتسحاق بن يشيش إلى فقرة "وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أروم قبلما ملك ملكُ لبني إسرائيل" (التكوين ٣٦: ٣١) . لم يبحث ليثبت النص قسراً ، لكنه لم يمتنع عن الإشارة (مثل رأى الباحثين المتأخرين) إلى أن هذه الأقوال كتبت بعد أن ملك ملوك لبني إسرائيل . وعلاوة على ذلك ، فقد سمى الربى يتسحاق بن يشيش لأن يحدد بالضبط متى كتبت ؟ ووجد على أساس فحص الأسماء المذكورة فى هذا القسم أنهم جميعاً حكموا فى عصر يهوشافاط . ويقول أبراهام بن عزرا فى تفسيره "وقال يتسحاقى فى كتابه إن هذا القسم كتب فى عصر يهوشافاط وفصر الأجيال طبقاً لإرادته ، ألم يدع اسمه يتسحاق كل من يسمع يضحك له ، لأنه قال إن هدد (المذكور فى هذا الإصحاح عبارة "٣٥") هو هدد الأرومى (الملوك الأول ١١: ١٤) ، وقال إن "مهيطبئيل" (المذكور فى نفس الإصحاح عبارة ٣٩) هى أخت تحفناس (الملوك الأول ١١: ١٩) . وهكذا يدخل الربى يتسحاق (الذى توجد الآثار النقية لتفسيراته الأخرى المذكورة عند الربى أبراهام بن عزرا (انظر هوشع ١: ١٠ ؛ دانيال ١: ١٠ ؛ يوب ٤٢: ١٦)) داخل البحث العبرى للعهد القديم الذى نأى سفر التوراة يشمل فى شياها إضافات متخرفة كتبت بعد موت موسى بزمن كبير .

٥- أبراهام بن عزرا

غير أن قمة بحث العهد القديم عند اليهود فى العصر الوسيط تمثلت فى العمل التفسيرى لأبراهام بن عزرا .

وقد استخدم الربى أبراهام بن عزرا يصفته واحداً من أفضل النحاة فى ذلك العصر - ويصفته أيضاً الباحث البارع فى لغة العهد القديم - نتائج علم اللغة فى تلك الفترة فى تفسيره ، ويصفته خبيراً بالذهب العقلى ، وفيلسوفاً لا يعرف الخوف تشرب فى أعماقه كل نتائج البحث الدينى السابقة عليه والسائدة فى عصره . وعلاوة على

ذلك، فقد كان حراً من كل قيود الماسورا الفلسفية المحددة، ولم يكن في حاجة مثل معظم أقرانه لأن يجد في أقوال النصوص دعماً ومساعدة لأي منهج أيّاً كان. وكان الربى أبراهام بن عزرا حراً كلية عن أى رأى سابق . وكان مجهزاً بوسائل بحث العصر، وممهّداً في عصره لاتجاهات جديدة. ولأنه مقتبس بارع فقد جمع في كتبه كل ما يتطلب الحفظ ؛ ووجد أحياناً رأياً مخالفاً له في البداية بسبب "تشده"، لكنه في النهاية لم يكن هناك مانع من قبوله والإضافة عليه.

وعلى سبيل المثال فقد تجاهل مرة واستهزاء شديد الرأى المتشدد للربى يتسحاق والذي يتعارض تعارضاً مطلقاً مع الماسورا . وأضاف بعد ذلك بغضب قائلاً : "إن كتابه يستحق الحرق" . ومع ذلك فربما كان هو أول من سلم بهذا الرأى في بقية تفاسيره. وإن لم يرض الربى أبراهام بن عزرا بفضل أقوال الربى "يتسحاق الفامضة"، وفسر العبارة "وهؤلاء هم الملوك ... قبلما ملك ملك لبني إسرائيل" (التكوين ٣٦ : ٣١) بأن "ملك" هنا تعنى موسى. وقد كشف بنفسه في مواضع أخرى عديدة رأيه - رغم أنه غامض ورمزى - بأنه تداخلت أيد في التوراة . وأحصى عدداً محدداً من الإضافات المتأخرة . التي لا يمكن أن تكون قد كتبت في عصر موسى وفي تفسيره للفقرة "والكعمانى أنذاك في الأرض" (التكوين ١٢: ٦) تجراً ابن عزرا ليؤكد الغرابة في هذه الإضافة للراوى بقوله : "من المحتمل أن أرض كنعان هنا اكتسبت هذا المعنى عن طريق شخص آخر" . غير أن هذا التوضيح لا يرضيه ، فيضيف : "وإن لم يكن كذلك، فإن له سرا ، والنكى يعرف" . رغم أنه أراد أن تحرز آراؤه العديدة وتفاسيره البليغة والثرية شهرة علائية بين المتعلمين ؛ فلم يتجرأ الربى أبراهام بن عزرا أن ينشر علائية رأيه بوجود أجزاء متأخرة في ثنايا التوراة ، حتى لا يتعرض هو وآراؤه للهلاك.

وكما يبدو فقد قرر التخلي عن ذلك لأجل أبحاثه الأخرى التي اعتبرها أكثر أهمية وأكثر ضرورة . غير أنه لم يستطع أن يصمت صمتاً مطلقاً على مثل هذه الحيرة، واكتفى بتلك الرموز ، لأنه كان واثقاً أن المفكر يفهم تلك الإشارات الرمزية ويوصل إلى الحقيقة. ولم تكن هذه هي الإضافة المتأخرة الوحيدة التي وجدها الربى أبراهام بن عزرا في ثنايا التوراة. وأعلن في سفر التثنية الإصحاح (٣) بشأن عوج ملك باشان أن "بقي من بقية الرفائين"، ويوضح الكاتب روايته بشأن عوج "هو ذا سريره سرير من حديد . ليس هو في رية بنى عمون . طوله تسع أذرع... (١١: ٣) ،

فيعى ابن عزرا أن الكاتب كما لو كان يتحدث عن شخص قد عاش قبل عدة سنوات ، ولكي يؤكد روايته اعتمد على بقايا قديمة لتلك الأزمنة البعيدة التي حفظت حتى عصر الكاتب . وبعد ثلاث فقرات يواصل الكاتب قائلاً : ' يا ثير بن منسى أخذ كل كورة أرجو ... ودعاها على اسمه باشان حوث يانير إلى هذا اليوم ' (١٤:٣) . فيفهم من ذلك أيضاً أن الكاتب نفسه مصدر . ويسرد أحداث زمن بعيد ، بعد الزمن الذي حدث فيه نفس الحدث . يعنى بعد زمن طويل من موت موسى . ومرة ثانية وجد النص "وكتب موسى هذه التوراة وأعطاهها للكهنة" (التثنية ٣١:٩) ، وفى نهاية سفر التثنية يتكرر قسم كامل لاثنتي عشرة فقرة تسرد بالتفصيل كيف صعد موسى إلى جبل نبو ومات هناك ودفن فى جيا ونبيه بنو إسرائيل . وغير ذلك حتى نهاية السفر . هذه العبارات لا يمكن بلئ حال أن يكون موسى قد كتبها . وعلاوة على ذلك يقال فى التثنية (١:١) إن "فى عبر الأردن" تحدث موسى بأقواله ، وهو ما يؤكد أن الكاتب قد عبر فعلاً الأردن وأقام فى عبر الأردن من هناك . وبناءً على ذلك اعتبر صحراء مؤاب هى "عبر الأردن" وهو ما لم يفطه موسى ، لأنه لم ينجح فى الصعود إلى فلسطين ، ولذلك فلا يمكن أن تكون قد أطلقت فى عصره "عبر الأردن" على صحراء مؤاب . وكذلك فيما يتعلق بجبل الموريا فيكون النص فى سفر التكوين (١٤:٢٢) حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى" . ويمكن أن يكون "ويقال" فقط آنذاك . عندما أنشأ فعلاً بيت الرب فى موضعه فى جبل الموريا . فكل هذه النصوص ألزمت الربى إبراهيم بن عزرا الاعتراف بفضل صدق الربى يتسحاق بن يشيش فى جوهر الأمر . وأنه بالفعل أقامت بعد موت موسى بفترة طويلة إضافات متأخرة داخل أقوال التوراة . غير أنه كما قيل من قبل لم يرغب ولم يستطلع الربى إبراهيم بن عزرا أن يعلن ذلك بوضوح .

ولم يكتب عن هذه النصوص المحصاة هنا فى تفسيره للتوراة فى مواضعها أى شئ ، غير أنه لم يسمح لنفسه أن يمر عليها بصمت تام ، وإن لم يجد ضرورة لنشر مثل تلك الآراء بين عامة القراء ، فقصده من ذلك أن يقف مفكر الشعب على هذه الإضافات ، وذلك جمعها كلها سوياً ويقول فى تفسيره للتثنية (١:١) ' فى عبر الأردن' وإذا فهمت سر الأثنى عشر ، أيضاً وكتب موسى . والكنعاني آنذاك فى الأرض فى جبل يهوه يرى ، وأيضاً "وماهو سريره سرير حديد " ، سوف تعرف الحقيقة ، فقد اختار لنفسه لغة تعليمية ، وصيغ آراءه النقدية بصيغة الرموز والألفاظ .

ومع أن هذه النصوص تشهد بذاتها على زمنها المتأخر ، فقد كان واضحاً رغم كل ذلك للرّبي أبراهام بن عزرا أن موسى ألف جوهر التوراة ، كما أنه ألف الإصحاحات التي تبحث العصور السابقة له ، وكما يبدو فقد ألفها على أساس لفائف قديمة غير أنه أضاف عليها نصوصاً من عنده ليزيد توضيحه لمادة الرواية ، ويكشف الرّبي أبراهام بن عزرا عن رأيه هذا في تفاسيره المختلفة ، ففي سفر التكوين (٣٢: ٢٠) : " لأنه قد استعطف وجهه بالهدية السائرة أمامه " . يشرح الرّبي أبراهام بن عزرا قائلاً : إن يعقوب قال في نفسه تلك أقوال موسى " ، أريد أن أقول ، كاتب الرواية - موسى - يوضح لسامعيه لماذا أرسل يعقوب على قائمة الهدية لأخيه عيسو ، بسبب أنه قال في نفسه استعطف وجهه .. الخ .

وفي موضع آخر يقول النص : " واضطجع في هذا الموضع - وأقوال موسى تكشف سرمدية (في هذا الموضع) والتأكيد على هذا الموضع المعروف حالياً " (التكوين ٢٨: ١١) . ويفسر في موضع آخر " في هذا اليوم يهوه إلهك يأمرك أن تفعل الأحكام ... وتحفظها وتعملها " (التثنية ٢٦: ١٦) ، في هذا اليوم - تلك أقوال موسى ، وتحفظها - في قلبك ، وتعملها - في الأرض " . وعلاوة على ذلك ، فإنه يعرف ما هو السفر الكامل الذي صدر عن موسى ، ففي الخروج (٢٤: ٤) وجد النص : " كتب موسى "فيوضع : بعد أن سرد لهم أقوال الرب كتب الوصايا والأحكام ، وهذا هو سفر العهد " ، وأيضاً فإن زمن تأليف السفر كان معروفاً له ، واعتمدت معرفته على ما ورد في التثنية (٣: ١) : " في السنة الأربعين في الشهر الحادى عشر في الأول من الشهر كلم موسى " ، وغير ذلك .

وعلى ذلك فإنه عندما وجد في سفر الخروج (١٧: ١٤) بشأن حرب العمالق النص : " أكتب هذا في الكتاب تذكراً " ، فإنه يوضح : " قيل هذا القسم في السنة أربعين ، واستشهد بأنه قيل في السفر المعروف ، وهو سفر التوراة " . غير أنه أدرك أن هذا التوضيح غير مقبول ، لأن حرب العمالق كانت قريبة في وقتها من زمن الخروج من مصر . ويعبر هنا عن شرح آخر يظهر لنا فيه نكاه الحاد والمدفش : " أو كان لهم كتاب آخر وعرف باسم سفر حروب يهوه وليس عندها ؟ وذلك كما لا يوجد عندها سفر المستقيم ، ومدراش عنو ، وأخبار الأيام للوك إسرائيل ، وأسفار سليمان " . وهكذا لم يتمتع الرّبي أبراهام بن عزرا أحياناً ، عندما لم يجد خطراً بشأن أسس الماسورا ، أن يعلن بوضوح ويدون تردد الآراء النقدية التي لم تكن مرغوبة بلا شك لدى العديد من

معاصريه ، حتى إن الربى موسى بن مناحم الذى جاء بعده اشتكى من ذلك ، وقال ا
"قال الربى أبراهام بن عزرا إنه سفر معروف وهو سفر حروب الرب .. وليس فى أقواله
تلك أى حجة" .

واستمر الربى أبراهام بن عزرا فى أبحاثه هذه فيما يتعلق بقضية مؤلفى بقية
الأسفار المقدسة . وإن لم يعلن ذلك بالتفصيل ، فإنه كان يوافق رأى الربى موشيه
الكاهن بخصوص إشعيا الثاني، ففى الإصحاح (٢٧) أظهر رأيه بوجود اثنين اسمهما
إشعيا . واعتمد فى تفسيره للفقرة الأولى من سفر إشعيا على عبارة "التي رأها على
يهوذا وأورشليم" . وينبى على ذلك بأن إشعيا بن أموص قال معظم نبوءاته على مدن
يهوذا التى استولى عليها ملك آشور وعلى أورشليم التى أنقذت من سلطانه "، وهكذا
لأن نصف السفر عن سبى يهوذا . لأنه لم يذكر بقية الأسباط" .

يوجد الربى أبراهام بن عزرا مجالاً مترامى الأطراف لاتجاهه النقدى فى مجال
نقد النص، ولكنّه واحداً من أفضل النحاة فى العصر الوسيط فى تصويره أن معرفة
اللغة العبرية ونحوها هما حجر الأساس لعلم العهد القديم . لذلك أكثر فى تفسيره من
البحث الفيلولوجى الضرورى الذى ألقى الضوء على التفسير العبرية وفى مقدمة
تفسيره الصغير فى حجمه العظيم فى قيمته يلقى الضوء على أساليب التفسير
الأربعة للعهد القديم منذ عصر التلمود وحتى عصره . وهذه الأساليب هى : أسلوب
جالونى بابل ، وأسلوب القرائين ، والأسلوب الرمزى لأصحاب الرمز (المجازيين)
النصارى ، وأسلوب الدراش لأصحاب الأجادا العبريين . ويعد وصفه لهذه المناهج
الأربعة السابقة عليه ينتقل إلى منهجه ويوضح : "والأسلوب الخامس الميسس عليه
تفسيرى فى أساسى ... فأبحث جيداً قواعد كل كلمة فى كل موضوع ، ويعد ذلك
أوضحها حينما أتوصل إلى ... ولا أشير إلى نير أصحاب الماسورا لماذا هذه تامة وتلك
ناقصة ؟ .. لأن كل نبراتهم كمنهج الدراش ... ومترجم التوراة للارامية ترجم لنا
الحقيقة ، وشرح لنا كل ما غمض ... " . وفى تفسيره "عزرا عزرا شعبي"
(إشعيا ١:٤) يظهر رأيه قائلاً : "إن هذه الفقرة متعلقة بالإصحاح (٢٩) بصورة
متكلفة" ، لأنه ذكر سابقاً ، أو كل خزائن الملك وسبى أبنائه أيضاً إلى بابل ، لذلك
تكون هذه المؤاسة بعد ذلك الحدث " . وهو يختلف عن الربى موسى الكاهن الذى يرى
فى إصحاحات التعزية "من منتصف السفر" أقوالاً رمزية عن الهيكل الثانى ، ويقول
"طبقاً لرأى فالكل عن سبينا" (يعنى سبى بابل) ، ثم يقول بالتفصيل "إن نصوص

الأحداث تذكر قورش "، وضييف "واعلم أن ناسخى الوصايا طيب ثراهم قالوا : إن سفرى صموئيل كتبهما صموئيل . وهى حقيقة حتى "ومات صموئيل (صموئيل الأول ٢٥:١) ، ويعنى ذلك أنه أقسمت آنذاك أحداث ليست من عمل المؤلف، ويصدق نفس الشيء على سفر إشعيا . وبعد أن حاول الاستناد إلى دليل من سفرى أخبار الأيام ، يقرر كعادته "وإن لم يكن ، فيفهم العاقل".

وفى مقدمته للإصحاحات الشعرية الخاصة بـ "عبد يهوه" فإنه يشك فى مادتها، ويبدل قصارى جهده فى تفسيرها ، ويناقش آراء الربى سعديا جازون لتفسير إرميا ويناسب أقوال السابقين المتأخرين(١٧): "وإذا تتبع الأثر وراء المدراشيم فى المواضيع عرفنا أنه عرف الأسس أكثر من ذلك". وبلا شك فإن ابن عزرا نفسه "لم يقتف أثر المدراشيم" كلية، غير أنه برجاجة فكره وعمق منطق يتوغل إلى داخل المعنى البسيط للكلمة التى تقرأ، مسلها بكل وسائل البحث التى كانت فى عصره. وعرف أنه ليس هناك "متقدم ومتأخر فى التوراة" (تفسيره للتثنية ١٥:٣١) ومواضع أخرى عديدة) ، وهاهو يكثر من تنظيم نصوص متباعدة سوياً فيؤخر المتقدم ويقدم المتأخر ، ويقرر: الفقرة اللاتنية ترتبط مع الفقرة اللاتنية ، ولو كانت أقسام كاملة تفصل بينهما (التثنية ٦:٢، ١٦:٢ وغيره).

ومن بقرأ تفاسيره بإمعان يجد فيها إجابات عديدة تقصد الإجابة عن الأسئلة التى أثارها نقاد العهد القديم فى عصر التلمود ، أو التى كانت سائدة فى عصر الجدل الدينى ، وعصر القرائن فى بابل ، أو بين دوائر النقاد فى الأندلس قبل عصره، واجتهد إلى حد بعيد ، واستطاع إزالة صعوباتها دون أن يذكر أسئلتهم مطلقاً. ويحتمل جداً أن تلك الحرب التى خاضها ابن عزرا مع النقاد فى كل العصور ، وسعى إلى تقنين العديد من "ادعائاتهم" هى التى دعمت موقفه حتى لا يشعر معاصروه بالنقد الحر الموجود فى أقواله، ولذلك استحق تفسيره الكبير حجماً - وأكثر من ذلك فى قيمته - القبول بحد كبير عند جمهور المتعلمين ، واعتبر واحداً من المفسرين الماسوريين الرئيسيين، وذلك سوياً إلى جانب الربى شموئيل إسرائيل والربى موسى بن نحمان. وتسببت هذه الشهرة المتزايدة لابن عزرا فى خسارة معروفة فقد تنازل مراراً عن اعترافاته الموجودة فى آرائه النقدية، وذلك بأثر تفاضلى عن فقرات "محيرة" للغاية، وشن حرباً على شخصيات قريبة له فى الهدف ، وأغمض فى الصلاة (وشاح الصلاة : الطاليس) عن الأسرار والرموز لكل رأى متشدد كشفه. غير أن هذه الشهرة

التي استحقها كتابه أدت إلى كسب متزايد في تاريخ تطور نقد العهد القديم. والرأي بأن التوراة تشمل في ثناياها إضافات متلخزة مختلفة ، يبرز لأول مرة على يد الربى يتسحاق بن يشيش ، لكنه اختفى من عند العامة. لكن عاد ابن عزرا وقاله وأدخله داخل تاريخ العلم . ووجد باروخ سبينوزا ألفاز الربى أبراهام بن عزرا وفسرها واستمر فيها أبعد من ذلك ، وعن طريق سبينوزا قبلت عند باحثي العالم كقانون ثابت .

ولم يحتل نقد الربى أبراهام بن عزرا مكانة هامة خارجياً فحسب ، أى تجاه تطور العالم الأوروبي، بل كان له أيضاً قيمة كبيرة داخليا إلى حد بعيد. وبلا شك وجد حوله تلاميذ "مفكرين" تطمؤوا منه ، وفهموا إشارات الرمزية ، وتنبهوا لإدراك وجود النص في التوراة بمعناه البسيط. وإن كانت أقوال هؤلاء التلاميذ قد فقدت ، فإن ذلك يعود إلى أنه لم يوجد من يحمل محل ابن عزرا مرة ثانية ليجمعها ويضعها في تفسير له ليحفظها إلى الأبد ، ولذلك اختفت أقوالهم . كما كانت ستفقد بلا شك أقوال الربى يشوعا والربى يتسحاق بن يشيش . لولا أن جاء ابن عزرا وأنقذها. غير أنه أدرك أن المناخ قد تهيأ واتجاه جديد وقوى بدأ داخل التفاسير العبرية التي تتابعت آنذاك وتزايدت وانتشرت في كل البلدان التي كان اليهود يعيشون فيها . في إفريقيا وبابل والاندلس وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ، وتضمنت في داخلها كل طاقات نتاج الأمة. وكل تأكيد استمر زيادة سلطان الأجادا وأسلوب المدراس وضم إليها آنذاك أيضاً "القابالا" وعلم الغيبيات [السود] . وظهر العديد من المفسرين في أعقاب "الزوهار" وفسروا بأساليب التفسير التقليدية الأربعة - البشاط (التفسير الحرفي) ، والرمز (التفسير المجازي أو الرمزي) ، والدراس (التفسير الوعظي) والسود (التفسير الصوفي) - غير أنه يكفى الإشارة إلى ذكر أسماء سبط قمحي وسبط تنحوم والربى تنحوم الأورشليمي، وربي العازار إشكنازي البغدادي، والربى شموئيل بن نسيم والربى ليفى ابن أبراهام والربى إسحاق البلج والربى شم طوف بن بلقيرا والربى يشعيا مطراني الصفيير والربى زحيا بن شاكثيل وعمونثيل الرومي والربى يهودا مسيرليون ، وذلك لفهم ومعرفة إلى أى حد تزايد البحث العقلي من جانب ، والاتجاه النقدي من جانب آخر ، وتأثيرهما على التفاسير العبرية وطبيعتها بطابعهما .

٦- ربي ليفي بن جرشم

ونحصى من حشد النقاد المتأخرين : ربي ليفي بن جرشم ودون يتسحاق إبرنثيل ، وبهما ينتهى تأليف التفاسير فى الأندلس. فربي ليفي بن جرشم يعد واحداً من أعظم المفسرين الفلاسفة ، وقد اقتفى أثر الربى موسى بن ميمون فى تفاسيره، وبذل جهداً فى إيجاد مادة بحثية مجردة لأسفار العهد القديم علاوة على تفسيرها بالمعنى البسيط (فأورشليم "التي فى نشيد الأناشيد هى "الإنسان"، "وبنات أورشليم" هن صفات النفس. و"سليمان"، هو العقل الكامل والمسيطر على الكل ، وما يشابه ذلك).

وعلاوة على ذلك بحث عن إيجاد دعم فى التوراة لبقية آرائه العلمية بوسائل مختلفة. غير أن قيمته التاريخية فى تطور نقد العهد القديم ، ظهرت فى أسلوب معالجته لروايات المعجزات فى العهد القديم. وقد كان واضحاً للربى ليفي بن جرشم أن قوانين الحديد سائدة فى الطبيعة، وهى قوانين لا يمكن تغييرها، غير أنه توجد ظواهر عديدة لتلك القوانين ، والتي تبدو أمامنا بسبب ضالة فكرنا وقصر عمرنا، كما لو كانت منبثقة من المجموع، على الرغم من حقيقة أنها محددة وخاضعة أيضاً لوسائل الطبيعة، ولأجلها ترتن بقية الظواهر الموجودة . فبدلاً من أن يقترب للمعجزة ، يعالجها من وجهة نظره هذه ، ويوضح معالجته بقوانين الطبيعة. وقد أثر نقد المعجزات وفقاً لأساليب البحث الفلسفى فى عصره تأثيراً كبيراً على الباحثين التوراتيين ، والفلاسفة الذين جاؤا بعده ، ومنه استفاد عليه اعتمد ياروخ سبينوزا فى دراسته "المعجزات" فى كتابه "رسالة فى اللاهوت والسياسة".

٧- دون إسحاق إبرنثيل

وأما دون إسحاق فكان متأثراً بالفلسفة التجريدية البعيدة عن الواقع والحياة وهى الفلسفة المدرسية : فقد تنبه فعلاً بمخطط سقوط اليهود فى الأندلس، وتشرب فى داخله كل اتجاهات التفاسير السابقة عليه ، وإن لم يستوعبها كلها بنفس الدرجة. غير أن قيمته الفريدة كانت فى موضوع رؤيته التاريخية والاجتماعية. وقد ساعده عمله الشعبى والرسمى فى كشف طبقات المجتمع وأساليب الدولة كما هى معكوسة داخل أقوال العهد القديم، وسعى فى تفاسيره العديدة لوصف أساليب القيادة السياسية فى عصرى القضاة والملوك ، وذلك بملاحظة الآثار القديمة فى العهد القديم ، وشرح

المقياس والوزن والمسكوكات ، حتى الملابس التي كانت متبعة في عصر العهد القديم ، وذلك تجايز عن تفسير كل فقرة ، ووضع الأساس للوصف التاريخي لحياة المجتمع العبري في عصر العهد القديم على أساس شواهد الكتابات المقدسة ، واستمد الباحثون الذين جاؤا بعده كثيراً من أقواله وواصلوا أبحاثه.

خامساً : البحث العبري والبحث النصراني

١- إيلياهو لويتا

مع تدهور وضع اليهود في الأندلس تدهورت أيضاً مكانة البحث النقدي عند اليهود ، وانتشر مفكرو الجيل في كل اتجاه ، والفصن الذهبي في تاريخ الابتكار العبري ابتعد عن البحث الحر وسلم للعلم القبيح وعلم القابالا الذي ظهر آنذاك ليسيطر على العقول ، واضطر سفر الأسفار أن يخفى تدريجياً مكانته الرئيسية للكتب الأخرى ، سواء علانية أو سراً . ومرة ثانية - وكما حدث في عصر التدهور في الشرق - فقد كان المجال الوحيد الذي تنسب عليه علم العهد القديم مجال بحث النص وتحديد الماسورا . وما كان يفعل آنذاك ابن آشير لبحث العهد القديم أصبح يفعله الآن إيلياهو بن آشير لويتا . فكان أول من اتجه لإلقاء الضوء على تاريخ تكوين ماسورا العهد القديم ورسم لها خطأ نقدياً . وعلاوة على مؤلفاته العديدة والرئيسية التي كتبها في علم اللغة العبرية ("كتاب المختار" كتاب التركيب) ، "عويتي" ، "مترجم" ، "أسماء الأشياء" "حسن الفهم" وغيرها ، كتب أيضاً "ماسورا الماسورا" . وهو كناقد ذكي ولفوى خبير اتجه ليوضح كل "المقروء" و"المكتوب" ، "الكامل" و"الناقص" ، وكان أول من نسب لعلماء التشكيل وضع الحروف اللينة في التوراة وذلك فتح مجالاً جديداً في نقد النص . وبمجهود معيز حدد بنفسه أفكاره عن تثبيت العهد القديم . فكان أول من أصر على متابعة تثبيت العهد القديم ورأى في ذلك عملاً عظيماً لجماعة كاملة ، وأدرك فيها إشارات لتأثير عصر الهيكل الثاني . وقرر في مقدمته لـ : "ماسورا الماسورا" (١٥٢٨) قاعدة أن عزرا ورجال الكنيسة الكبرى جمعوا سوياً الأسفار الأربعة وعشرين المتفرقة الموجودة لدينا وقسموها لثلاث مجموعات مميزة ، وقاموا بترتيب أسفار الأنبياء والكتابات . وعمل سوياً مع عمله الأساسي هذا ، على نشر معرفة اللغة العبرية من منبعها ، وعمل كذلك على نشر نتائج البحث العبري الخارجية ، وترجمت العديد من كتبه وانتشرت ، كما أخذ برأيه بشأن تثبيت العهد القديم "بوخستورف" "وسادت في دوائر

معروفة عند الباحثين النصارى واستمرت مئات السنين . ومع ذلك فقد كان فريداً في عصره داخل الجماعة اليهودية .

٢- انتشار القابالا

وقد استولى أدب القابالا وعلم الغيب على زمام السيطرة على روح التفكير لدى اليهود ، وأهملاً أيضاً دراسة مصدر النصوص، غير أنه تم البحث في الأسرار الكامنة وراء النصوص، ويحث كذلك الواقع الفعلي لحياة بنى إسرائيل في عصر العهد القديم . وأما تطور النصوص داخل العهد القديم نفسه ، فقد نسيت كلية من قلب أصحاب الحكمة الخفية، ليس هذا فحسب بل حقيقة نسبة أسفار الزهر إلى عصر التناخيم ، انتقلت بمعرفتهم إلى الباحثين وأجبروهم على التمسك بال تكرار من أجل التكرار . ومع ظهور الطباعة كان الزهر من أوائل الكتب التي تم نشرها .

٣- عزريا بن ها أنوميم

ومع أن الربى عزريا بن ها أنوميم - ذلك الناقد الحر المميز في عصره - قد نال جزاءه من رباني ذلك الجيل بسبب آرائه النقدية، فقد نقد الياهو لويتا وأسلوبه في وضع التشكيل، وكان رأييه بوضوح أن التشكيل كان قائماً قبل تأليف المشنا طالما أنها ذكرت في "تبجيلات" الربى شمعون بن يوحاي وطائفته. وقد وجد أيضاً أنذاك من لم يمتنع عن رؤية التناقضات داخل الكتابات المقدسة، ولكنهم وجوا في هياكل القابالا راحة لأنفسهم المحيرة . والمثال على ذلك "كتاب المقرر" للربى منشى بن يسرنيل الذي أحصى أربع مائة وسبعين تناقضاً في الكتابات المقدسة، وعلى الرغم من ذلك لم يؤد كشف هذه التناقضات به إلى الاقتراب من البحث العلمي.

٤- الربى منشى بن إسرائيل

مهنت السبيل للربى منشى بن إسرائيل الترجيح بين النصوص المقدسة على أساس أسلوب القابالا وعلم الغيب، وتشهد الصعوبات الدائمة في أدب المفسرين أحياناً، بأن كبار الأتقياء لم يستطيعوا إدراك أن الفموض والتناقض ازداد في الكتابات المقدسة زيادة متعددة وأصلية. غير أن الماسورا الدينية وهياكل التفسير التي شيدت وازدهرت على أسس الأجادا وقفت حصناً منيعاً أمام تلك "النفوس الغاضبة" التي لم تأت بكل قوتها إلا لإثراء تلك الهياكل وزيادة تطويرها وإظهار حدودها .

وينفس القدر الذي اختفى فيه وتدهور بحث العهد القديم عند اليهود، بدأ استخدام نقد العهد القديم يزدهر خارج حدود بني إسرائيل ، واختفى إرثهم وانتقل إلى مجالات العلم الأوروبي. حتى أنه عندما يأتي بعد ذلك جازون مبتكر من بني إسرائيل ويمس في نهاية بحثه سفر الأسفار ويكشف أفاقاً جديدة في النقد، فإن أقواله كانت تكتب باللاتينية وموجهة إلى الخارج.

وقبل أن تنتقل إلى نظرية سبينوزا ويبحث العهد القديم في أوروبا في عصر مذهب الإنسانية، وعصر تدهور فكرة الإنسانية داخل الحدود اليهودية نعرف بشكل موجز وضع البحث داخل دوائر الكنيسة النصرانية.

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الخامس

التفاسير النصرانية

١ - بداية التفسير داخل الكنيسة

١- آباء الكنيسة

إذا كانت الأوضاع العامة لا تزال غير ملائمة لباحث النقد اليهودي ، فقد كانت صعبة وسيئة داخل نواثر الكنيسة النصرانية . فالماسورا التي قدست بواسطة الكنيسة قيدت الفكر ولم تسمح بالنقد والبحث الحر . وباستثناء هذه المشكلة التي كانت سمة مشتركة لوجهة نظر سائدة سواء عند اليهود أو النصارى ، فإن الباحثين النصارى كانوا لا يزالون بعيدين عن اللغة العبرية ، وأسفار العهد القديم في مصدرها كانت بالنسبة للعديد منهم بمثابة السفر المبهم . وكان غرض النصارى الأوائل إيجاد دعم لعقيدتهم داخل أسفار العهد القديم ، لذلك اضطروا إلى التمسك بطرق الرمز والمجاز . وعلى ذلك النحو فسروا النصوص داخل العهد الجديد (انظر على سبيل المثال متى ٢٢: ٤٤ في تفسيره للمزامير ١٠٩: ١) . واستمر آباء الكنيسة في متابعة هذا الأسلوب الذي رسحه يديدا الإسكندري وتلاميذه . كما كان يفسر بواس الرسول النصوص المقدسة بأسلوب الدراش والرمز .

٢- الوعظ النصراني

وشجب القنوصيون والتسطوريون أسلوب الوعظ [الدراش] المسلم به لدى الكنيسة ، ولم يفعلوا ذلك من خلال وجهة نظر نقدية . بل لأسباب دينية وأخلاقية فحسب . وعرفنا من أقوال أورجين تجاه الفيلسوف الوثني تملطوس ، أن تملطوس وجد تناقضات عديدة في سفر التكوين . واعتقد أنه من المتعذر أن يكون السفر كله قد كتبه مؤلف واحد . ولم يكن كتاب أورجين معتمداً كلية على المصدر العبري للعهد القديم بل على الترجمة اليونانية ، وبصورة عامة لم تكن هناك جدوى لإظهار المواضع الغامضة في العهد القديم . لكن بدت قوة أورجين بتقديره لمواضع الكنيسة وكشفه أسراراً ورموزاً أخلاقية في قصص التوراة ، فلصبح كتابه واضحاً وريئاً لدى الكنيسة ، وبخاصة الكنيسة الشرقية ، لمئات السنين . وأضال أورجين بعمله هذا إبعاد النصوص المقدسة عن جنورها الواقعية وأما الوعظ في إنطاكية فقد قاموا أحياناً بتفسير العهد القديم طبقاً لمعناه البسيط ، وكان أوجوستينوس يقول : إنه مع المضمون الخفي الذي يوجد في كل نص من النصوص فإن العهد القديم لا يخرج عن معناه البسيط ، وأعظم من هذا كان عمل هيرونيμος مترجم التوراة إلى اللاتينية (الفولجان) لتعلمه العبرية عند معلمين يهود . فقد كان الأخير من بين وعاظ الكنيسة ويعرف العبرية واستخدم أقوال التوراة

من مصدرها . وكل من جاء بعده من الوعاظ النصارى طوال العصر الوسيط تعلموا التوراة على أساس ترجمته . وكتبوا أبحاثهم وتفسيراتهم ليس على نص التوراة الأصلي بل على نص الفولجاتا ونسيت اللغة اليونانية داخل الدوائر الكنسية وسيطروا بدون المسورا .

وقرر "فينسنطوس" أن أي بحث في العهد القديم لا يلائم في كل تفاصيله رأي الكنيسة يعتبر في حكم الهرطقة ، ولذلك فإن البحث التاملي للكتابات المقدسة لم يخط خطوة واحدة للأمام في دوائر الكنيسة طوال ألف سنة وما يزيد ! ولم يتحسن بحث العهد القديم حسب منهج أصحاب الفلسفة المدرسية، كما لم يشبب عصر الصوفية في تطوره . واستخدم العهد القديم في رأى هؤلاء فقط كشعاعة ليعلقوا عليها أفكارهم وشروحهم التي ليس لها أي علاقة أو صلة بمضمون العهد القديم . وبدأ نيقوليوس ، الذي عاش في بداية القرن الرابع عشر ، مرة أخرى يبحث وراء بساطة العهد القديم، وسلك طرقاً جديدة في علم المواعظ النصرانية . وأحدثت كتبه ثورة في حينها ، وأثرت كثيراً ليس فقط على معاصريها ، بل أيضاً على الأجيال المتأخرة ، بما في ذلك لوتر . وقد تعلم نيقوليوس العبرية عند أحد ربابي فرمتسا ، واستخدم في مؤلفه الكبير تفسير مفسري العهد القديم اليهود الذين كانوا في فرنسا وإسبانيا ، وبخاصة تفسير الربى شلومو يتسحاقى الذي تثر به بدرجة كبيرة جداً . ونسخ العديد من أقواله داخل كتابه .

وفي هذه العصور زال الحاجز الذي فصل بين بحث العهد القديم عند اليهود والشعوب الأخرى . وبالفعل رأينا الربى أبراهام بن عزرا يكتب في مقدمة تفسيره ما يرتبط بطرق التفسير المسلم بها في العالم النصراني . وتوسع الربى دافيد قمحى في تفسيره في النقاش مع مفسري الكنيسة وينفس الدرجة التي أقترب بها المفكرون اليهود في إسبانيا من ثقافة معاصريهم، تزايد تأثيرهم على العالم الخارجى بطرق التفسير الحرفي (البراى) المعترف بها عندهم، وكذلك قبلوا التأثير منهم . فيفسر الربى يهودا مسير - ليوان سفر الأمثال بنفس الأساليب التي سلكها في عصره التفسير البلاغى . واقتبس دون يتسحاق ابرنئيل في تفسيره مرات عديدة أقوال آباء الكنيسة وبذل جهداً لاستنباطها ومناقشتها مناقشة تأملية .

٢ - الإنسانية والعهد القديم ، اليهود بمثابة وسطاء

وحدث تقارب بين البحث العبرى والبحث النصراني نتيجة سببين رئيسيين، فقد

سقطت في نهاية القرن الخامس عشر كنيسة اليهود في إسبانيا مركز الفكر العبري آنذاك ، وتشقت المفكرون اليهود في الخارج ، وبدأ الاتجاه الإنساني يعطى شاره ، كما كان انتشار معرفة اللغات القديمة مثمراً لبحث العهد القديم كما أفادت معرفة اللغة اليونانية في تطور بحث العهد الجديد ، وظهرت آثارها أيضاً في مجال بحث العهد القديم . وفي عصر ريخلين تزايد بحث أسفار العهد القديم بين الدوائر النصرانية ، وكان من بينهم من أراد الوقوف على جوهر الأقوال في مصدرها ، فاضطر إلى اللجوء إلى الباحثين العبريين . وكان دون يستحق ابرنثيل نفسه الذي يقتبس في كتبه من أقوال هيرونيوموس وأوجوستينوس ، وها هي أقواله تأتي بعد ذلك على يد بوخستروف وكرفسوف وآخرين من علماء أمم العالم . ويبحث البحث العبري والبحث النصرائي ظهرت شخصيات بارزة لوقوفها وتوسطها بين عالمي الفكر اليهودي والنصراني ، من تلك الشخصيات شخصية إلباهو لوينا ، الذي أسس بحث العهد القديم ونقد الماسورا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نشر معرفة اللغة العبرية خارج دائرة اليهود وبواسطة عمله التعليمي هذا أسس جيلاً من علماء أمم العالم الذين صاروا خبراء باللغة العبرية ومن بين تلاميذه الذين تعلموا التوراة على يديه بعض الباحثين النصرائي المشهورين مثل سفسطين مينوستر وبارل بجيوس وغيرهما . وعلاوة على ذلك كان هناك بعض اليهود الذين علموا اللغة العبرية وأساليب بحث العهد القديم للباحثين النصرائي ، ومن بينهم (يعقوب يحنيل لوتنس ، والرّب عويديا سقرتوا معلما ريخلين ، مقتيا الأسباني ، معلم فليكان ، وآخرين) .

٣- عصر الإصلاح

أ- لوثر وتلاميذه

دفعت حركة الإصلاح بحث العهد القديم دفعة جديدة ، فمؤسسها وتلاميذه وضعوا بحث العهد القديم مرة ثانية في مركز فكرهم ، وعبأوا مرة ثانية ليستمدوا الغذاء الروحي لحياة العقيدة من هذا المصدر القديم . وقد نشرت ترجمة لوثر الجديدة والمناقشات العديدة التي حدثت في أعقابها أقوال العهد القديم بين جمهور عريض ، كما أثارت مرة ثانية حنين مفكرى العصر إلى سفر الأسفار ، غير أن البحث العلمي والابتكار النقدي كان لم يخط بعد خطوة إلى الامام . فالأساليب الدينية الجديدة التي بنيت على أساس النصوص الدينية ، والاختلافات الدينية التي حدثت في العالم أبعدت

العهد القديم كشرعية عن مجال الفكر التلمذي، وبدلاً من علم العهد القديم حل لاهوت العهد القديم. وتعد الحركة التي قامت حول المجادلات والمباحثات هامة جداً بالنسبة لموضوعنا في مجال البحث الخارجي للعهد القديم، أي بحث النص.

وأظهر لوثر وزفنجلي وكالفن رأيهم بأن تشكيل الكتابات المقدسة من عمل أبراهام بن عزرا ونيقوليوس مليرا والياهو لويتا، ولذلك سيطرت الحيرة حول الحقائق المقررة. ومن ناحية ثانية خرج فلقيوس أحد عظماء المفسرين الإصلاحيين وأكد أن هذا التشكيل قديم وسليم. غير أن هذا الخلاف الذي استمر عشرات السنين لم يأت بشمار مفيدة للبحث العلمي، لكونه خلافاً دينياً وعقائدياً. فالكنيسة الكاثوليكية شنت حرباً ضد نص الماسورا. ورغبت في وضع حد لأقوال الإصلاحيين القائمة على النصوص. وقد قصد يوهان مورين إلى الكشف عن أن النص العبري للتوراة ملئ بالأخطاء ومشوه، وبناء على ذلك فالقولجات أيضاً غير موثوق فيها لاعتمادها على النص العبري، وبفوقها نص التوراة السامرية والترجمة السبعينية التي يمكن استخدام أقوالهما: وظهر مناقضاً له جرهرد، فقرر أن النص العبري قديم وديق وليس به خطأ مقصود، ولم يكتف بوحسبثورف بذلك بل أصدر قانوناً معارضاً لأقوال لوثر وتلاميذه الأتال أنفسهم، وهو الثقة بقديم النسخة العبرية للتوراة، بما في ذلك التشكيل والاختصاصات وأنها واحدة من أسس الدين الجديد.

ويفهم من ذلك أنه كان من المستحيل في ظل هذه الأوضاع أن يتقدم بحث العهد القديم في إطار الكنيسة اللوثرية، واستمر هذا الطلب مرفوضاً استجابة للمفسرين الكاثوليك.

ب- النقاش حول تشكيل أندرياس مزيرس وزملائه

بدأ المثقفون اليسوعيون في كشف الطابع المتعدد للعهد القديم وأعربوا عن الرأي أنه داخل العهد القديم أقحمت بعض الإضافات المتأخرة ووجدوا دعماً لهم في أقوال أندرياس مزيرس (نتي - ميس) أحد المثقفين الهولنديين الذي تمكن من تحديد الزمن الذي رُتبت فيه التوراة، وللإجابة عن سؤاله توجه إلى المصادر التي حفظت في الأدب العبري القريبة إلى تلك الفترة، وبدأ أبحاثه بالبرائتا المعروفة في (بابا باترا ١٤:٢) بشأن ترتيب الكتابات المقدسة وزمن تأليفها، ونفس هذه البرائتا ساهمت في بحث العديد من الباحثين في العصر الوسيط من اليهود أو من الأمم ويقال فيها - من بين ما قيل - "كتب عزرا سفره، ونسب أخبار الأيام له" ويفسر أبرينثيل أن عزرا لم يخرج من تلقاء نفسه لينسب أخبار الأيام لنفسه بل كانت أمامه قوائم عديدة كتبت

بواسطة الكتبة أبناء ذلك العصر، في غضون العصور السابقة له ومن بين هؤلاء الكتبة القدماء أنبياء المملكة وحكامها ووزرائها . وهذا التفسير الذي يبدو بمثابة شهادة كان قريباً من تفسير صاحب البرايثا في تخمين زمن إقرار العهد القديم، وقد افترض مزْيوس رأيه عن تاريخ بناء أسفار التوراة القصصة فكما أن عزرا كتب الأسفار التاريخية الموجودة في العهد القديم على أساس قوائم قديمة، كذلك كتب موسى أسفار التوراة على أساس لفائف قديمة كانت منتشرة بين الشعب وأعلنت من جيل إلى جيل.

ج - سيكستوس مسينا

وجود زملاء مزْيوس هذا الرأي صواباً ، وانطلقوا بقوته لتفسير التوراة . وكان تأثيره في حينه كبيراً على الباحث سقسطوس مسينا الذي كان يهودياً إيطالياً ثم تنصر ، وأصبح درمينيكيا وأدت به يهوديته إلى معرفة عميقة بعلم اللغة العبرية ، فالكف مقدمة عامة ومفصلة للفرلجاتا.

غير أنه حان الوقت لأن يخرج علم العهد القديم من هذه الدائرة - لإعادة بنائه من جديد - ويعد باروخ سبينوزا رائد المنهج الاستنباطي ، والذي بدد بشجاعته العملاقة الغيوم، ومهد طرقاً جديدة لعلم العهد القديم . ولا شك فإن طرق بحثه وخصائصها النقدية ليست كلها جديدة كلية، بل إن معظمها مستمد من أرشيف الباحثين السابقين له، غير أن النتائج التي استنتجها في عصره قوضت أي قلعة تفسيرية، وبقوتها ووضوحها أجازت البحث والتأمل وكانت النتائج متسقة مع الحقائق العلمية للعصر .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل السادس

باروخ سبينوزا وآراؤه في العهد القديم

١ - رأى أصحاب الماسورا حول مؤلفي العهد القديم

يقول سبينوزا في "رسالة في اللاهوت والسياسة" : كما أنه لا يمكننا فهم قوانين الطبيعة قبل أن نوضح لأنفسنا أحداث الطبيعة ، فكذلك لا يمكننا أن نصل إلى الرأي النهائي لأقوال العهد القديم قبل أن نكشف لأنفسنا أحداث تطوره . وبدأ هو نفسه يكشف أمامنا تاريخ العهد القديم إلى أقصى درجة عقلية . واستهل بحثه بالسؤال : بواسطة من ألفت أسفار الكتابات المقدسة؟ ومتى ألفت؟ وما هي صحة رأى الماسورا التي تنسب كتابة كل سفر من الأسفار إلى البطل الرئيسي الذي يتحدث عنه السفر؟.

وقد عرف سبينوزا إلى أي مدى أن معرفة مثل هذه الموضوعات غير مرغوبة ، وأنها في نظر العديد تعنى الهرطقة، وعرف أيضاً بأنه لم يكن أول من ألقى شكوكاً حول أقوال الماسورا، بل سبقه العديد من المفسرين القسماء . وأخذ سبينوزا هذا الباحث الأصلي للبحث من ابن عزرا . فطبقاً لرأى سبينوزا أن أبراهام بن عزرا كان أول من ثار ضد الماسورا، غير أنه لم يجرأ على التعبير عن آرائه بوضوح ، وقصد إلى استخدام لغة نظرية ورمزية لم تكن مفهومة للعديد من أبناء عصره، أو الأجيال التي جاءت بعده، إلى أن جاء هو - سبينوزا - وفسرها ، وهاهو سبينوزا يتابع ويوضح أقوال ابن عزرا المذكورة في تفسيره لسفر التثنية (١:١)، حيث يكشف سر "الاثنا عشر" وكتب موسى و"الكتعاني آنذاك في الأرض" و"في جبل يهوه يرى" و"ها هو ذا عرشه عرش حديد" ثم يفسر قصد ابن عزرا من قوله "عندئذ تلهم الحقيقة" ، وقد ناقش هذه الصعوبات يتأمل ليظهر بأن موسى لم يؤلف أسفار التوراة الخمسة وأنها لا تعود إلى عصره .

٢ - تفسير سبينوزا لرموز ابن عزرا

ومن أجل تدعيم رأى ابن عزرا وتعزيزه أكثر ، استمر سبينوزا وأحصى أدلة جديدة من ثانياً أقوال العهد القديم التي يمكن أن تستخدم كحجر أساس "وشهادة معززة له" . فالتوراة لم تتحدث بشأن موسى في أي موضع بلسان المخاطب ، بل تتحدث عنه كثيراً بضمير الغائب، كما تسرد أحداث من المستبعد أن يقولها مؤلف عن نفسه "وكلم يهوه موسى" ، "وكلم يهوه موسى وجهاً لوجه" (الخروج ٣٣:١١)، وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض (العدد ١٢:٢)، "فمسحط موسى على وكلاء الجيش" (٤:٣١)، موسى رجل الله (التثنية ١:٣٦)، "ومات هناك موسى عبد الرب" (٢٥:٣٤) .

وعلى العكس من ذلك ورد في بداية سفر التثنية عند حديث النص المقدس عن أقوال الشريعة التي شرع موسى في توضيحها لبني إسرائيل . تحدث الجميع بلسان المخاطب مؤيدين إياه " وكلمتكم ... فأجبتهموني... فأخذت ... وجعلت ... وأمرت ... فتقدمتم إلى ... فحسن الكلام إلى ... وعصيتكم قول الرب ... وقال يهوه إلى ... وتوسلت إلى الرب " (التثنية الإصحاح الأول والإصحاح الثاني وغيرهما) ، إلى أن أتم موسى تفسير كل الشريعة ، عنئذ بدأ النص المقدس يتحدث بشأن موسى مرة ثانية بضمير الغائب . والأكثر تمييزاً من هذا ذلك القسم الأخير الذي يسرد كيف مات وكيف دفن وكيف نب من قبل بني إسرائيل . وعلاوة على ذلك فإن النص يشبه موسى ببقية بني إسرائيل وليس بينهم من هو أفضل منه ، ولم يرق كما يشهد النص المقدس "بني بعد في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه يهوه وجهاً لوجه (التثنية ٣٤ : ١٠) " وأنه "حتى هذا اليوم" لم يعرف رجل قبره .

ويضيف سبينوزا أن "شهادات كهذه لا يمكن أن تشهد بأن قائلها واحد من تلاميذ موسى الذين جاؤا بعده . بل إنه شخص عاش بعده بمئات السنين " . وهو قصد بذلك - كما يبدو - حجب الرأي التلمودي الذي يرى أن يشوع هو الذي كتب القسم الأخير من التوراة . وعلاوة على ذلك ، وجد سبينوزا في ثانيا التوراة أسماء متأخرة لم تكن موجودة زمن موسى . وكذلك روايات تناقض عصوراً متأخرة . فيقال في قصة إبراهيم "وتبعهم إلى دان " (التكوين ١٤: ١٤) وكما نعرف من القضاة (٢٩: ١٨) أن اسم هذه المدينة لم يكن معروفاً من قبل ، بل عرف فقط بعد أن استولى عليها بنو دان ونحوها من جديد فأطلقوا عليها اسم دان . ويقال في قسم المن "وأكل بنو إسرائيل المن... حتى قدومهم إلى أرض مسكونة أكلوا المن حتى قدومهم إلى نهاية أرض كنعان" ، وأصر على ذلك فعلاً المفسرون العبريون في العصر الوسيط ، كما أصروا أيضاً على برهان آخر أبرزه كثيراً سبينوزا وذلك بشأن عبارة : "هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أموم قبل أن يملك ملك لبني إسرائيل (التكوين ٢٢٦: ٣٦) ، ويتضح من كل هذا وضوح الشمس - كما يقرر سبينوزا - أن موسى لم يكتب التوراة ، لكن كتبها شخص آخر عاش مئات السنين بعد موسى . "

٣ - موسى مؤلفاً

غير أن سبينوزا لم يبتكر أن موسى لم يكتب الأسفار بصورة عامة . ولذلك يبحث في ثانيا التوراة ويجد في قسم العماليق "كتب هذا تذكاراً في الكتاب " (الخروج ١٧: ١٤) ، ذلك يسأل سوياً مع ابن عزرا ، في أي الأسفار كتب موسى قسم

الحرب؟ فيجيب "فى سفر حروب يهوه" الذى يسرد عنه فى سفر العدد (١٤:٢١) "كما لو كان سفراً قديماً ومعروفاً" على ذلك يقول فى سفر حروب يهوه وأهب فى سوفه وأوبية أرون". وعلى ما يبدو كتب فيه موسى تنظيم حملات بنى إسرائيل الخارجين من أرض مصر (العدد ٢:٢٢) ويتحدث سفر الخروج (٤:٢٤-٧) عن "سفر العهد" الذى قرأه موسى على مسامع الشعب وعلى ما يبدو كتب فيه موسى "كل أقوال يهوه وكل الأحكام" التى ترد فى سفر الخروج (٢٠-٢٣) .

وبما أن موسى كتب كل هذه الأقوال المتضمنة فيه فى يوم (ويكر فى صباح الغد من هذا اليوم وبني المنبح ، وغير ذلك ، وقرأها كلها مرة واحدة ، وسمع الشعب كل الأقوال وقالوا نعمل ونسمع . يبدو أن سفرًا كهذا لم يتضمن فى وسطه سوى هذه الأحكام التى ذكرت هنا ولا أكثر من ذلك .

ومرة ثانية نعرف من سفر التثنية أن موسى أراد أن يفسر الشريعة فى عبر الأردن (التثنية ٥:١) وقطع هنا عهداً أيضاً "بل مع الذى هو هاهنا معنا واقف اليوم ... ومع الذى ليس هنا معنا اليوم (١٤:٢٩) : ويعد ذلك كتب موسى كل هذه الشريعة التى فسرهما على مسامع الشعب ومنحها الكهنة وكتب فيها أيضاً الأنشودة ليعلم بنى إسرائيل، ووضع "سفر تورا الرب" فى التابوت، واستمر بعد ذلك يشوع يكتب فيه أقوال العهد الذى قطعه لشعب إسرائيل (يشوع ٢٤:٢٥ وغير ذلك) . وبما أننا لا نعرف سفرًا مثل هذا السفر الذى يتضمن فى داخله تلك العهود، يتجم عن ذلك أن هذا السفر فقد من عندنا كما فُقدت العديد من الأسفار الأخرى فى عصر العهد القديم.

ويقول سبينوزا فى "رسالة فى اللاهوت والسياسة" ، الفصل الثامن: "وبما أننا لا نعرف ما يتعلق بالأسفار الأخرى التى كتبها موسى ، وبما أن موسى أراد فقط أن يضع سفر العهد مع الأنشودة التى أضافها فى تابوت العهد لتعلن إلى الأبد ، وبما أن العديد من المواضع فى التوراة لا يمكن أن تكون كتبت بواسطة موسى ، يفهم بدون تردد افتراض أن موسى ألف كل أسفار التوراة ينقصه الدليل ومناقض للعقل" .

٤ - أسفار الأنبياء مصدرًا تاريخيًا

وهكذا وضع سبينوزا أن سفر يشوع لا يمكن أن يكون قد كتب بواسطة يشوع حيث توجد فيه فقرات مشابهة لتلك الموجودة فى التوراة : "وكان الرب مع يشوع وكان خبره مع جميع الأرض" (يشوع ٦: ٢٧) ، "لم يهمل - يشوع - شيئاً من كل ما أمر به موسى" (١٥: ١١) . وعلاوة على ذلك مكتوب فى السفر بالتفصيل "ومات يشوع بن

نون عيد يهوه ... ودفنوه في حدود إرثه"، "وعبدت إسرائيل يهوه كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع" (٢٩:٢٤ وما بعدها) .

و فيما يتعلق بنظام تقسيم الأرض يعلن السفر أن بنى إفرام لم يرثوا الكنعاني ويضيف الكاتب "وسكن الكنعاني في وسط إفرام حتى هذا اليوم" (يشوع ١٦:١٠) ، وفي الرواية المكتوبة بشئز الشمس في جبعون ها هو يوضح : "ولم يكن مثل هذا اليوم قبله ويعدّه" (يشوع ١٤: ١) . كل هذا يظهر لسبينوزا بوضوح أن السفر لم يكتب بواسطة يشوع ولا في عصره .

وكما يتضح أيضاً فإن سفر القضاة لم يكتب بواسطة القضاة ، بل إنه ألف كله بواسطة مؤلف واحد ، وهو ما استنتجته بوضوح من أقوال السفر "في تلك الأيام لم يكن هناك ملك في إسرائيل . كل واحد عمل ما حسن في عينيّه" (القضاة ٢١:٢٨) وانظر أيضاً (١:١٨ : ١:١٩)

ووجد ما يشابه ذلك في أسفار صموئيل والملوك التي تشمل في داخلها روايات عديدة تتعلق بشاقول وداود حدثت بعد موت صموئيل بزمان طويل ، ويظهر من النص "سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند فهايه ليسأل الله . هل منذهب إلى الرائي . لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً (في عصر صموئيل) الرائي" (صموئيل الأول ٩:٩) إلى أي مدى كان مؤلف هذا السفر بعيداً عن عصر صموئيل ؟ وسفرا الملوك طبقاً لشهادة السفرين ذاتهما هما أجزاء واختصارات لأقوال مأخوذة من أسفار أخرى مثل "سفر أخبار الأيام للملك إسرائيل" (الملوك الأول ١٤:١٩) ، و "سفر أخبار الأيام للملك يهوذا" (٢٩:١٤) . ويستنتج سبينوزا من خلال كل هذه الأقوال الافتراض التالي : أنها كلها كتبت في عصر متلفر وأن كل الأحداث المروية فيها بمثابة أحداث حدثت من قبل في إسرائيل .

٥ - سفر الإقراء

ويعد أن تعمق سبينوزا في تتبع تسلسل الروايات وترتيب أسفار الكتابات المقدسة اكتشف سر الشريعة . وقرر سبينوزا أن الأسفار المتفرقة والفريدة لم تجمع في مجموع واحد ، غير أن بدأ واحدة تظهر في كل الأسفار ، من أولها إلى آخرها ، وهذه اليد الواحدة هي التي رتبت وجمعت ، وجعلت تلك الأسفار الفريدة مترابطة في سلسلة واحدة ، وحدث ذلك بعد أن تم فعلاً كتابة كل الأسفار المقدسة . وتظهر الأقوال أن الجامع أراد أن يطن للأبد تاريخاً كاملاً وشاملاً منذ تكون بنو إسرائيل كشعب

وحتى السبى البابلي وفى سفر واحد ينهى إحصاء الروايات المتعلقة بموسى ، وأثناء انتقاله إلى يشوع يضيف المقدمة الرابطة "وكان بعد موت موسى عبد يهوه فقال يهوه إلى يشوع ، وينهى يشوع ويبدأ سفر القضاة ويضيف "وكان بعد موت يشوع وطلب بنو إسرائيل من يهوه قائلين : من يصعد علينا ؟ " وبعد ذلك يضم إلى هذا السفر سفر روث الذى يبدأ بالحديث "وكان فى أيام حكم القضاة ، فكان جوع فى الأرض: ويشبه ذلك بداية سفر صموئيل الذى ينتهى بموت شاول ولذلك يبدأ الحديث فى صموئيل الثانى فيقول : وكان بعد موت شاول وعاد داود من ضرب العماليق " وينتهى سفر صموئيل الثانى بليام دارود الأخيرة ، وبها يبدأ أيضاً سفر الملوك الأول ، وينتهى سفر الملوك الأول بأحزيا ، ويبدأ به سفر الملوك الثانى .

والمظهر الخارجى لهذه الأسفار لم يكن دليلاً على تمييزها فحسب ، بل يدل على ذلك - أيضاً - الفكرة العامة والمميزة السائدة فيها ، والهدف العام الشامل المشترك فيها . وكتب المؤلف الأحداث حسب ترتيبها ، كيف ومتى وأين عرض موسى التوراة على بنى إسرائيل ، وأظهر للجماعة الطريق الذى تسلكه والأحداث التى تحدث لها ؟ وقد تحققت وعود موسى وورث بنو إسرائيل أرض كنعان ، غير أنه فى أعقاب عدم حفظهم الأحكام والقوانين التى أمر بها يهوه موسى ، أخفى يهوه وجهه عنهم . وبعد ذلك طلب بنو إسرائيل أن يكون لهم ملك ، ويضيف ليصف عصر الملوك وحكمهم سواء سلباً أو إيجاباً ، مقارنة بأعمالهم سواء حفظ الملوك توراة موسى أو عملوا الشر أمام يهوه ، أو أخطأ الشعب أمام يهوه ونكث عهده ، ولذلك تركهم يهوه فسبب لهم ضوائق عديدة وسينة إلى أن سبوا من أرضهم ، وقد حذر موسى بنى إسرائيل من كل هذا . وكان المؤلف يهمل بقية الأحداث التى ليس لها صلة أو علاقة بهذا المخطط العام ، لأنها غير مهمة بالنسبة له . ثم يعرض متتبعا مصدرا آخر ، وكان الهدف العام لرؤية المؤلف الذى أثاره لهذا العمل الكبير هو جمع هذه المادة ، وجمعها وربطها سوياً من أجل إظهار إلى أى مدى كانت قوانين موسى هامة وصحيحة ، وإلى أى مدى تتلذذ بواسطة الحياة نفسها .

٦ - عزرا مؤلفا

غير أنه على يد من وكيف ومتى عمل هذا العمل الأدبى الضخم؟ أو على حد تعبير سبينوزا " : من هو مؤلف كل هذه الأسفار ؟ " . لم يستطع سبينوزا الإجابة عن سؤاله بالضبط وبالتأكيد ، لقد عرض آراءه فقط . وندهش لقوة حسنه العبقري الذى تجاوز كل العصور والأجيال ، وكشف أسرار المستقبل ، لتظهر فقط بعد مئات السنين

من البحث والشرح، من خلال مسائل البحث وأساليب النقد الأخرى التي لم تكن معروفة في عصره كلية .

وبما أن الرواية الأخيرة في هذه الأسفار - يشوع حتى الملوك الثاني - تبحث ما يتعلق بيهوياكين في بابل، في عصر حماقة مردوخ بن نبوخذنصر ملك بابل، وفيها يسرد توظيفته وظيفة دائمة تعطى له من عند الملك أو كل يوم بيومه كل أيام حياته (الفقرة الأخيرة من سفر الملوك الثاني) - يستنتج من هذا أن المؤلف الذي كتب هذه الأقوال، من الواضح أنه هو أيضاً مؤلف كل الأسفار التي سبق ذكرها . ولا يمكن أن يكون في عصر سابق لعصر عزرا .

ونحن لا نعرف من ذلك الجيل اسماً آخر يناسب هذه الشهادة سوى عزرا نفسه، وبما أنه يروى عن عزرا بالتفصيل أنه "هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وإيعام إسرائيل فريضة وقضاء" (عزرا ٧: ١٠)، ويقال في نحميا: "وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى..." (نحميا ٨: ٨)، يقول سبينوزا لذلك "لأنني أفترض أن عزرا هو مؤلف كل هذه الأسفار" (رسالة في اللاهوت والسياسة، الفصل الثامن) .

٧ - قِسم سفر التثنية

غير أنه كيف كان ترتيب أسفار العهد القديم المكتوبة بواسطة عزرا ؟ لم يجب سبينوزا على هذا السؤال إجابة أكيدة، بل واصل أبحاثه التي بدأها، فيجد تعديلات وتفسيرات إضافية عديدة للغاية في سفر التثنية. فعلاوة على الإضافات التي كشفها من قبل ابن عزرا، يجد سبينوزا إضافات وشروحا أخرى محدودة العدد. ففي التثنية (١٢: ٢) يسرد النص بشأن الحوريين الذين قطنوا من قبل في سعير ما يلي: "وبنو عيسو طربوهم وأبلوهم من أمامهم وسكنوا مكانهم"، ويضيف الكاتب بهدف التوضيح والمقارنة، ما يلي "كما صنع إسرائيل بأرض ميراثهم التي منحها يهوه إياهم". وبهذه المقابلة يمكن أن تظهر بمثابة دليل للقول بأن كنعان هي أرض ميراث إسرائيل، على الرغم من أن الأرض كانت مسكونة بواسطة شعوب أخرى قبل قدوم العبريين، ألم يكن حقاً سكن الحوريين أيضاً في سعير وورثهم بنو عيسو "لأنني لميسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً" (٢٧: ٢). ولذلك يقول سبينوزا: "إنني أخمن أن سفر التثنية هو نفسه "سفر ترواة الرب"، الذي قرأه ووضحه وفسره وعدله عزرا (نفس المصدر السابق) .

وبما أن سفر التثنية يشمل في داخله القوانين النبوية الضرورية جداً للشعب، وبما أنه يعبر بصورة مختصرة عن كل قرار تاريخي للأسفار التي تم إقرارها ، وبما أن هذا السفر لم يعتمد على أي سفر آخر ولا يعتبر استمراراً لأي سفر ، بل إنه قائم بذاته ، حيث يبدأ بـ : "هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل ... كناثما الكل من البداية، ولذلك يقول : "إني أعتقد - ينهى سبينوزا استنتاجاته - أن هذا هو السفر الأول الذي كتبه عزرا " . ويعد أن أنهى عزرا كتابه هذا ، وعلم الشعب تورا شريعة الرب ، اتجه إلى تأليف تاريخ كامل وشامل لحياة بني إسرائيل من خلق العالم حتى خراب أورشليم، وأدخل داخل هذا الكتاب الكبير كتابه الأول - أي سفر التثنية - في مكانه المناسب.

وعندما وصل عزرا بعد ذلك لتسمية الأجزاء المختلفة لكتابه الأساسي اختار أسماء على أساس الأبطال الرئيسيين وآباء بني إسرائيل ومنذ ذلك الحين سميت الأجزاء الخمسة الأولى التي تعالج الفترة المتعلقة بعصر موسى باسم "تورا موسى" ، والسفر السادس الذي يحكي بشأن يشوع ، عرف باسم "سفر يشوع" ، والسابع "القضاة" وهكذا .

٨ - زمن تأليف الأسفار المختلفة

وينفس الطريقة تأمل سبينوزا أقوال الماسورا عن مؤلفي الأسفار وزمن كتابتها، وهكذا وأصل أبحاثه بشأن بقية الأسفار المتضمنة داخل الكتابات المقدسة، وتوصل إلى رأى عام ، وهو أن المزامير جمعت سوياً في سفر المزامير زمن الهيكل الثاني، وطبقاً لشهادة فيلون السكندري بنى الإصحاح (٨٨) قيل بعد أن وضع يهوياكين في السجن وأُجلب إلى بابل، وقيل الإصحاح (٨٩) بعد أن أُعتق هذا الملك كذلك ينسب سبينوزا لنفس الفترة تأليف سفر الأمثال .

وكما يبدو فإن سبينوزا بعد أن تخصص أسفار الأنبياء وجد أن النبوءات التي ورثت في هذه الأسفار مستمدة من أسفار أخرى، لأن كل النبوءات لم تصل إلينا، وأن تلك التي وصلت إلينا لم تصل كلها بنفس الترتيب الذي قيلت به . وطبقاً للحقيقة، فإن أسفار الأنبياء الموجودة عندها ليست سوى بقايا أسفار الأنبياء خفي سفر أخبار الأيام الثاني (٢٢:٣٦) يرد أن "بقية أقوال عزيا هو ...كتب إشعيا بن أموص" ، ولم يبق عندها حقاً من هذه أي شئ مطلقاً . وطبقاً لرأى سبينوزا فإن المادة التاريخية المتنوعة والموجودة في سفر إرميا مأخوذة من مصادر تاريخية مختلفة وأن الجزء النبوي فيه مستمد من نفس لفيفة السفر التي كتب عليها ياروخ بن نيري من فيه إرميا كل نبوءات

إرميا (انظر إرميا ٣٦ : ٤) ويروي يوسف فلافيوس (الأثار ، الكتاب ١٠ ، الفصل ٩) عن نبوءات حزقيال، بأن الملك صدقياهو لم ير بابل، وفي سفر حزقيال الموجود عندنا لا نجد نبوءة مثل هذه ويوافق سبينوزا تخمين ابن عزرا فيما يتعلق بأيوب بأن السفر مترجم من لغة أخرى، غير أنه لم يكن مديناً له في رأيه بأن السفر ألفه وبني.

٩ - تثبيت العهد القديم في عصر التلمود

وهكذا نجد سبينوزا يوضح أن الأجزاء العبرية في سفر دانيال نسخت من لغة أخرى أي الآرامية، وكان سفر دانيال وسفر عزرا في البداية سفرًا واحدًا، وأن الكاتب الذي ألف سفرى عزرا ودانيال هو نفسه الذي ألف سفرى أستير ونحميا، وكما يبدو فقد ألقت هذه الأسفار الأربعة على أساس "أخبار الأيام" التي كتبها الكتبة زمن الهيكل الثاني (انظر نحميا ١٢ : ٢٢، والعشرونين الأول ٢٤:١٥) كما أن أسفار الملوك وصموئيل قد ألقت على أساس من "أخبار الأيام" التي كانت مكتوبة بواسطة كتبة الملوك زمن الهيكل الأول ولم يكن مؤلف هذه الأسفار عزرا أو نحميا بل كان المؤلف معاصرا لليهود المكابي ويستنتج سبينوزا على أساس هذه الأبحاث النتيجة التالية : "حتى عصر المكابيين لم تكن الأسفار المقدسة قد أقرت"، وأن حكماء التلمود (الفريسيين) قد اختاروا هذه الأسفار من بين بقية الأسفار، وذلك زمن الهيكل الثاني، ثم رتبوها ورفعوها لمرتبة الكتابات المقدسة " (رسالة في اللاهوت والسياسة، الفصل الحادى عشر) .

هذا هو رأى سبينوزا باختصار بشأن تاريخ تكوين أسفار العهد القديم وجمعها داخل الكتابات المقدسة وسوف نرى فيما بعد أن بعض استنتاجاته استمرت بعينها بعد مئات السنين من التطور العلمي، غير أنه بنفس الطريقة التي تفوق بها سبينوزا على معاصريه بفضل آرائه لم تترك أقواله الانطباع الملموس في زمنها ولم يكن جيله مؤهلاً لتقبل آرائه بسبب ملاحظاته وتجديداته في نقد العهد القديم ولم يكن صوت سبينوزا مسموعاً وسط الجمهور العبري، وفي داخل النواثر الكنسية لم يكن الموضوع مؤهلاً لمثل هذا البحث، وبقي سبينوزا وحيداً ومنعزلاً، وأقواله ذهبت أدراج الرياح .

١٠ - معاصرو سبينوزا

وحاول القليل من معاصريه أن يقتفوا أثره، غير أنهم استمروا منعزلين في مكانهم، ولم يقدّر العديد من معاصريه، وكذلك أبناء الجيل الذى جاء بعده، على أن

يسيروا في أعقابها، ومرة ثانية توجد شواهد لتدهور بحث العهد القديم حتى عند الباحثين الأكثر تقبلاً في تلك العصور.

وقد اهتم الفيلسوف الإنجليزي هورز واللاهوتي الفرنسي دي - برير، المعاصران لسبينوزا بالبحث في علم العهد القديم مصادفة، وكانت أبحاثهما قليلة بسبب أبحاثهما في المجالات الأخرى. حوِّج هورز أن التوراة لم تكتب بواسطة موسى، وأن سفر يشوع لم يصدر من قلم يشوع، وأن قسماً كبيراً من الكتابات المقدسة، كتب زمن السبي البابلي أو بعد العودة إلى فلسطين (على سبيل المثال مثل الإصحاح (٧٩) الذي كتب زمن انطيوخوس)، وأما دي - برير فقد نقد التوراة من وجهة النظر الأدبية، وتوصل إلى رأى عام وهو : أن التوراة لم تكن عملاً واحداً وكاملاً، بل إنها عمل مركب ومؤلف من أجزاء مختلفة.

وقد ألف الباحث الفرنسي سيمون كتاباً مهماً في تاريخ بحث العهد القديم، وقد جاء سيمون بعد سبينوزا، وقرأ أقواله، وعرف تاريخ التفاسير منذ العصور القديمة كما عرف أيضاً أقوال المفسرين العبريين. وعلى أساس البحث الفيلولوجي المذهب نحض التهمة الكاذبة التي تدعى أن اليهود "عدلوا" عمداً نسخة التوراة في العصر الوسيط، وبذل جهداً ليوضح أن نص الماسورا الموجود لدى اليهود أكثر صحة من النص السامري أو الترجمة السبعينية. وبعد ذلك نقد الترجوميم الكثيرة المتوافرة عندها، واستعرض تاريخ التفاسير العبرية والنصرانية، وأعلن للعالم النصراني الكثير من تفاسير المفسرين العبريين، غير أن سيمون في فهمه العام لتاريخ الكتابات المقدسة وتكوينها لم يصل إلى نفس المستوى الذي وصل إليه سبينوزا بالفعل من قبل. كما يعترف بأن الصورة التي وصلت بها الكتابات المقدسة إلينا هي الصورة التي أعطاه لها عزرا والكتبة. ويرى أن الأنبياء الذين بواسطتهم كتبت هذه الأقوال بصورة أساسية، هم أنفسهم كتبة الملكة الرسميون، الذين كان عملهم جمع قوائم الملكة، سواء التي كتبت بواسطتهم أو التي كتبت بواسطة غيرهم. وطبقاً لرأيه فلأن عزرا والكتبة أقاموا بناءهم الأدبي على أساس تلك المادة التي كتبت بواسطة رجال عديدين وتم جمعها بواسطة الأنبياء.

غير أن هؤلاء الباحثين القليلين والمتفرقين، لم يبلغوا كلية درجة فهم سبينوزا، ولم يستطيعوا الاستمرار في بحث العهد القديم بعيداً عن الطريق المرسوم. وبعد فترة طويلة من البحث الشاق حول أدق التفاصيل وحول التشكيل وشروح أجيال كاملة، أصبح من المحتمل الوصول رويداً رويداً إلى العديد من النتائج.

القسم الثاني
النقد العلمي
الفصل السابع
نظرية المصادر

١ - أستروك وتقسيم سفر التكوين

في منتصف القرن الثامن عشر نشر الطبيب الفرنسي أستروك كتاباً بالفرنسية باسم "النظرية بشأن المصادر التي استخدمها موسى ، كما يبدو ، في تأليف سفر التكوين" . وأهمية الكتاب الأساسية ليمت في طريقة تصورات المؤلف ، ولا في النتائج التي توصل إليها ، ولا في وجهة نظره العامة . فذلك إرث ذلك العصر ، ولم يرث منها العلم أى شئ مطلقاً . وقد كانت رغبة أستروك بحض آراء نقاد العهد القديم السابقين له ، غير أنه بالمصادفة كشف بداية جديدة ، وبواسطته فتحت آفاق جديدة ، ومن هذه البداية استغل نقاد العهد القديم أنفسهم هذا البحث ووضعوا الأساس لنظرية المصادر التي يقوم عليها حالياً علم العهد القديم . وذلك على عكس رغبة أستروك في تنظيم الأحداث .

٢ - المصدران اليهودى والألوهيمى

وقصد أستروك أن يبرهن أن التوراة في صورتها الحالية كتبت بواسطة موسى بخلاف رأى النقاد . غير أنه كان يقر أقوالهم ، بأن موسى نفسه لم يكن شاهد عيان لكل قصص الروايات المروية بواسطته ، طالما أن موسى عاش زمن الوجود العبرى في مصر ولم يكن معاصراً لمصور الآباء وما قبلها . وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف كتب موسى أقواله بشأن خلق العالم والطوفان وتاريخ الآباء حتى عصره ، أى كل ما يرد في سفر التكوين ؟ ، يقول أستروك : إن مصادر قديمة كانت أمام موسى ، ومنها استمد آراؤه وأقحمها داخل سفره . ووجد أستروك عندما فحص جواهر الأحداث في سفر التكوين أن اسم الألوهية ورد في صورتين في سفر التكوين . فمرة يكتفى في النص باسم يهوه ، ومرة باسم إلوهيم . وعندما عزل من داخل سفر التكوين النصوص التي تستخدم الصيغة "إلوهيم" وحدها ، وتلك المستخدمة "يهوه" وحدها ، ظهرت له روايتان مختلفتان ، كل واحدة منهما تمثل رواية كاملة قائمة بذاتها . وعلى ذلك استنتج أستروك قاعدة ، هي أن هذين هما المصدران الرئيسيان ، اللذان ألف منهما موسى التوراة .

وطبقاً لرأى أستروك يضم المصدر الأول (أ) ما يلى :

الإصحاحات ١ : ١-٣ : ٥ : ٦ : ٧-١٠ : ١١ : ١٢ : ١٣ : ١٤ : ١٥ : ١٦ : ١٧ : ١٨ : ١٩ : ٢٠ : ٢١ : ٢٢ : ٢٣ : ٢٤ : ٢٥ : ٢٦ : ٢٧ : ٢٨ : ٢٩ : ٣٠ : ٣١ : ٣٢ : ٣٣ : ٣٤ : ٣٥ : ٣٦ : ٣٧ : ٣٨ : ٣٩ : ٤٠ : ٤١ : ٤٢ : ٤٣ : ٤٤ : ٤٥ : ٤٦ : ٤٧ : ٤٨ : ٤٩ : ٥٠ : من سفر التكوين ، والإصحاحان الأول والثاني من سفر الخروج .

يعود ذلك إلى أن الفترة التي تفصل بيننا وبين موسى كبيرة فقط ، بل لأنه لم يبق عندنا من ذلك الجيل أى شئ باستثناء أسفار التوراة ، ويدين أيشهورن بالفضل لأستروك أيضاً بشأن المصادر القديمة الرئيسية "الأوهيمي" و "اليهوي" اللذين منهما ألف سفر التكوين، واختلف مع اختلافات بسيطة بشأن بعض العبارات التي ينسبها أستروك إلى مصدر وينسبها هو لمصدر آخر ومرة أخرى استعرض سفر التكوين وقسمه قسمين : الأول يستخدم اسم الألوهية "إلوهيم" والثاني يستخدم اسم "الألوهية" "يهوه" ، ووضح بإسهاب الاختلافات اللغوية ، والصورة والخاصية الأدبية لهذين المصدرين الرئيسيين في سفر التكوين ولم يكتف بذلك ، بل واصل أبحاثه على بقية أسفار العهد القديم ، وطبقاً لرأى أيشهورن فإن موسى تعامل بتقديس كبير مع أقوال المصادر القديمة ولم يغير أقوالها إلا عند الضرورة . وكما هو مألوف فإن موسى كان يختار ويدخل في كتابه أجزاء من نفس المصدر ويلقها المصدر بدون أن ينفقها أو يغيرها مطلقاً . وبسبب عدم الوضوح كان يعرض من المصدرين قصة واحدة مرتين في صياغتين . وأما أسفار التوراة الثلاثة الأخرى (الخروج ، اللاويين ، والعدد) فهي ليست سوى تجميع لمصادر صغيرة وعديدة جاءت بنفس ترتيبها ، بدأ موسى كتابتها سوياً على جبل سيناء ، وانتهى منها في صحراء مؤاب في غير الأردن ، وأما سفر التثنية فقد كتبه موسى في نهاية أيامه ، ولخص فيه كل عمله وعمل عصره .

٤ - ملاحظات هيردر الأدبية

وهكذا بدأ سفر الأسفار يتحرر خطوة تلو خطوة من قيود الماسورا ، ويعصف بسحابة غيوم العصر الوسيط التي نسجت حوله وكتب الباحث الانجليزي "لوت" "Lowth" كتاباً بشأن شعر العهد القديم ، وكشف لأول مرة عن طبيعة هذا الشعر بمطابقة الأجزاء التي تكون صورة شعرية (بيوطية) مألوفة كما أن الشاعر والمفكر الألماني (الإشكينازي) هيردر تفحص في ثنايا الكتابات المقدسة من خلال وجهة النظر الأدبية ، ونظر إليها على أنها نتاج فني لبني إسرائيل لا يضاهيه شئ في سحره وحيويته وتعمقت رؤيته من خلال بلاغة المواضع والرموز الواردة في سفر نشيد الأنشيد ، وقرر معالجتها على أنها مجموعة مختارة من صفوة أناشيد الحب في الأدب الإنساني كله ، وتلخص هذه المجموعة روح جماعة بني إسرائيل في عهد الصبا الزاخرة بنور سرى ، وقد أدرك أن الأدب العبري القديم ، هو "الشعر الإنساني في ميلاده" و "تتغلغل فيه روح الطبيعة والحرية والكمال والبراعة" ، ولذلك يسمع فيه

"صوت الرب العائز خلال الكتابات المقدسة". فزال هيردر بهذا قناع القداسة الذي غطى الكتابات المقدسة منذ القدم وأدخلها إلى العالم البنوي، ومع هذا لم تقسد ولم تتدهور عظمتها، بل على العكس برز السحر السرمدي لسفر الأسفار في ضوء جديد.

وظهر جوت في أعقاب هيردر وواصل جهوده وتشجع للوقوف على سر تأليف أقسام كاملة في العهد القديم، فقد قدم الوصايا العشر في سفر الخروج (١٤:٣٤-٢٥) على القسم التقليدي لجبل سيناء في سفر الخروج (١٧:٢٠-١٧) ورأى أن الأولى هي "الوصايا العشر" الأولى والمقدسة.

وبالنظرية التي ألفها أستروك مع تلك الرأى الأدبية تقدم وتطور أيضاً أسلوب بحث العهد القديم وبالفعل قد رأينا من قبل أن أستروك ومن بعده أيشهورن قد قسما التوراة إلى مصدرين أساسيين وعدد من المصادر الصغيرة المرتبطة بها وإلى رأيهما كانت معالم الاختلاف بين المصدرين تعود إلى سببين: الأول خارجي يتمثل في القاب الألوهية المختلفة، والثاني داخلي، يتمثل في ازدواج الروايات وعندما وجد النقاد رواية مكررة للمرة الثالثة في التوراة، نسبوا هذه الرواية لمجموعة جديدة الثالثة في رقعها من المصادر الصغيرة والكاملة بذاتها، وما أن السلطة أعطت للباحث أن يقسم المصادر، فمرة ثانية لم يكتف بهذا التقسيم الأولي وواصل ياحثو العهد القديم المتأخرون عمل الأوائل وكشفوا بنفس القوة مصادر جديدة لم تكن معروفة لأستروك وزملائه.

٥ - إجن والمصادر: اليهودى والألوهيمى الأول والألوهيمى الثانى

يعد ك. د. إجن الأول من بين الباحثين الكبار والأساسيين الذين ظهوروا في أعقاب أستروك. يتوصل إجن إلى رأى عام وشامل أثناء نقده للمصدرين الأولين اللذين عزلهما أستروك من بين الكتابات المقدسة أى "الوثيقة الألوهيمية" و "الوثيقة اليهودية". ويتمثل هذا الرأى فى أن أسماء الألوهية ليست هى التى تميز هذين المصدرين المتوازيين فقط، بل تختلف أيضاً خصائصهما الأدبية وعالمهما الدينى هذا من ذاك، لذلك أصبح من الضروري ترسيخ نظرية المصدرين لتكون بمثابة قاعدة، ويصبح من المستحيل الشك فيها. قام إجن بفحص كل واحد من المصدرين على حدة، وفى الواقع، وجد أن "الوثيقة اليهودية" مجموعة أنبية واحدة وكاملة طبقاً لتجاهها وصورتها، غير أن "الوثيقة الألوهيمية" (التي اعتبرها أستروك وزملائه سفرًا واحدًا بسبب عدم الازدواجية فيها، ولأنها تلتقب الألوهيمية باسم إلهيم)، ليست "وثيقة واحدة" بل تتضمن داخلها مصدرين مختلفين ومتميزين، ليس بينهما تطابق إلا فى

اسم الآلهة فقط، ويوجد بينهما في الواقع اختلاف بينى وأبى يميز بينهما ،وصف
 إلجن بمهارة فائقة وخبرة خبير الصور الأدبية لكل مصدر من المصادر الثلاثة التي
 وجدنا، وأطلق على الأول منها اسم "الوثيقة اليهودية"، وهذا يعنى السفر الذى يلقب
 الآلهية باللقب "يهوه"، والمصدران الآخران "الآلهيمى الأول" و "الآلهيمى
 الثاني"، حيث يستخدمان الاسم "إلهيم" للدلالة على الآلهية.

٦ - مستوى المصادر

فى الوقت الذى يبتعد فيه "الآلهيمى الأول" عن "اليهوى" فى مضمونه
 وصورته ، فإن "الآلهيمى الثاني" قريب فى اتجاهه جداً من "اليهوى" على الرغم من
 اختلاف أسماء الآلهية . وكانت نتائج تلك الملاحظات لإلجن مؤسسة على نماذج أولية
 رائعة وقد أخذ إلجن من المصدر الآلهيمى عند أستروك الإصحاح الخامس "هذا
 سفر مواليد آدم" "وقبلة بقطعة موازية له فى المصدر اليهوى سفر التكوين(٤)
 "وعرف آدم حواء . "ولم تكن فقط أسماء الآلهية التى تميز هاتين القصتين . بل هناك
 بلا شك اختلاف داخلى قوى ثابت بينهما طبقاً لأقوال المصدر اليهوى (الإصحاح
 الرابع) توجد ثمانية أجيال من آدم وحتى نوح. ودعى اسم أبى حنوك قايين، ويشأن
 علاقة حنوك بإلهه لم يقص أى شئ مطلقاً . واسم ابن حنوك عيراد، وكان أبو لامك
 متوشنيل، ووفقاً لأقوال المصدر الآلهيمى (الإصحاح الخامس) فقد كانت الأجيال من
 آدم وحتى نوح عشرة أجيال. وأن حنوك ولد يارد، وسار حنوك فى طرق الرب وأخذه
 الرب ، ودعى اسم ابن حنوك متوشالغ وللمتوشالغ لامك . ليس هذا فقط فحسب ، بل
 إن كل أسلوب الاحصاء مختلف فالمصدر اليهوى يروى عن رجال أحياء أصحاب
 طبائع وأفعال، وأعمالهم منكرة . تفقايين قتل هابيل وخرج هانماً على وجه الأرض،
 وابنه حنوك مشيد مدينة، وكان للامك امرأتان ، وكان ابنه يابال أبى ساكنى الخيام،
 ويوبال ابنه كان أبى كل عازف كمان، وتويال - قايين كان مصقل النحاس، وتعكس
 هذه الروايات ثمار نتاج جيل زاهر بالحياة ونشيط فى وجوده . أما فى المصدر
 الآلهيمى توجد قائمة جافة تتكون من عشر مواد، كل واحدة تشبه الأخرى فى كل شئ
 ومعدة على أساس نظام عمل واحد نوعاش فلان كذا وكذا سنة ولد فلان، وعاش فلان
 بعد ميلاد فلان كذا وكذا سنة ولد بنين وبنات، وكانت كل أيام حياة فلان كذا وكذا
 سنة . يتكرر هذا الترتيب فى صيغة واحدة مرة تلو الأخرى دون أى تغيير وحقاً توجد
 هوة أدبية شاسعة بين هذه القطعة فى المصدر الآلهيمى وبين تلك القطعة الموازية لها
 فى المصدر اليهوى .

ونختار لأنفسنا نمونجا آخر للموازنة نختار على سبيل المثال من "المصدر
 الألوهيمي" المسترود الرواية الخاصة بإبراهيم وأبيمالك في جرار (التكوين ٢٠)
 والقطعة الموازية لها في "المصدر اليهودي" بشأن إسحاق وأبيمالك في جرار (التكوين
 ٢٦). فما هي تلك بعض أسماء الأبطال مختلفة. فأبيمالك هو نفسه، وكذلك جرار، غير
 أن هناك نكر إبراهيم، وهنا نذكر إسحاق (ولا يوجد أى تطابق فى التفاصيل (فهناك
 تحدث الرب لأبيمالك فى الحلم، وهنا "وأشرف أبيمالك...من الكوة"، وهناك أجاب
 إبراهيم أبيمالك على أقواله، أما هنا قلم يجب إسحاق مطلقاً). ومع ذلك لا يوجد
 بينهما أى اختلاف أبى جوهرى وداخلى آخر، باستثناء اختلاف اسم الألوهية، لذلك
 يقول إلجن: إن "المصدر الألوهيمي" قريب فى روحه للمصدر اليهودي وأن المصدر
 الألوهيمي عند أسترون ليس مصدراً واحداً تماماً ومستقلاً بذاته بل يتضمن داخله
 مصدرين: أحدهما يعرف عند إلجن باسم "الألوهيمي الأول" وهو بعيد فى روحه عن
 المصدر "اليهودي"، والثاني يعرف باسم "الألوهيمي الثاني" وهو قريب لليهودى فى
 اتجاهه.

وبهذا احتل بحث العهد القديم موقفاً جديداً بعد النجاح الأول الذى تحقق فى
 عصر أسترون. ومنذ ذلك الحين لم يعد الحديث بالفعل عن مصدرين بل عن ثلاثة
 مصادر أى المصدر اليهودي والمصدر الألوهيمي الأول (أو المصدر القديم) والمصدر
 الألوهيمي الثاني (أو المصدر الأحدث).

ويأتى إلجن إلى تقسيم سفر التكوين حسب مصادره وتحليده الدقيق لمضمون
 كل مصدر من المصادر، وجد أن المصدر الألوهيمي القديمبقى بكامله إلى حد بعيد،
 وحُفظ بدرجة أقل منه المصدر الألوهيمي الأحدث، وأقل منهما المصدر اليهودي. وهكذا
 قسم إلجن سفر التكوين إلى سبع عشرة قطعة مختلفة، عشر قطع منها تدخل فى
 نطاق المصدر الألوهيمي الأول، وخمس قطع فى نطاق المصدر الألوهيمي الثاني،
 وجزءان للمصدر اليهودي. وعند تركيب السفر وضع المصدر الألوهيمي الأول، وعلى
 أساسه نشأت بعد ذلك ويثابة طبقات مميزة بقية أجزاء المصدرين، واقتصر عمل
 مؤلف سفر التكوين على تبويب تلك الأجزاء وضمها سوياً.

ولا يزال إلجن داخل نظرية المصادر ويتوصل إلى أن السبع عشرة قطعة التى
 أحصاها لم ينظر إليها على أنها سبعة عشر مصدراً مختلفاً، بل بمثابة أجزاء لثلاث
 مجموعات استخدمت بكاملها كمصادر لمؤلف التوراة. وطالما أنه كان من الضروري -
 قبل أى شئ- تقسيم السفر إلى أجزاء من أجل الوقوف على ارتباطها بتلك المجموعة

أو بلخرى ، فمرة ثانية اختفت وصارت غامضة نظرية الصورة الذاتية للمصادر الثلاثة الرئيسية لمجموعة الأجزاء . وبما أن علامات التمييز بين تلك القطع لم تكن واحدة بصورة أكيدة عند إلجن ، بل ميز بينهم على أساس الحجم وقوة ترجيح رأيه فحسب ، لذلك كان من السهل التنبأ بأن البحث في تطوره سوف يضيف إلى عدد الأجزاء ، أضعافاً مضاعفاً ، وأن نظرية المصادر الرئيسية تنهض بلا رجعة وتضعف أمام نظرية الأجزاء التي تولد في أحضانها . وبالتأكيد فقد أضاف أصحاب نظرية الأجزاء فكرة تفتت المصادر .

٧ - جديس وفيتز

كان الكسندر جديس الاسكتلندي باحثاً ومفكراً شجاعاً ، كما كان كاهناً كاثوليكياً ، ووجد في نفسه الشجاعة على إعلان أن موسى لم يكتب التوراة ، وأن العهد القديم المتواتر حالياً ليس سوى مجموع أقسام وأجزاء غير مرتبطة مع بعضها البعض ، وأنه نتاج أجيال وأنواع مختلفة جمعت وتظمت سوياً من قبل محرر متأخر . فأعلنت الكنيسة الكاثوليكية مقاطعة ذلك الكاهن "الكافر" ونفته من وظيفته ، كما قاطعت الكنيسة البروتستانتية كتابه . غير أن نظريته - نظرية الأجزاء - اكتسبت تشجيعاً من كل صوب ، وقام أصحاب تلك المدرسة وقسموا وقتوا المصادر إلى درجة كبيرة جداً . وبالفعل رأينا من قبل أن أسترون قد وجد في سفر التكوين اثني عشر قسماً ، وجاء إلجن وأوصلها إلى سبعة عشر . ثم جاء فيتز تلميذ جديس وأوصلها إلى تسعة وثلاثين قسماً . وعلاوة على ذلك ، لم يكتب فيتز يسفر التكوين فحسب ، بل انتقل ليفتت بقية أسفار التوراة الأربعة ، ومن يستطيع أن يحصى عدد الأجزاء التي يجدها فيها ؟ جستننتج من بحث أصحاب "نظرية الأجزاء" : أن التوراة التي أمامنا ليست سوى مجموع أجزاء منعزلة وعديدة منها "الأجزاء الطويلة ومنها القصيرة ومنها الضئيل جداً" ، بدون أن يكون هذا المجموع منسجماً ، أو يكون مرتباً تاريخياً . وعلناً لرأي جديس وفيتز وهرتمان فإن الجامع المتأخر الذي عاش زمن السبي البابلي قد خاف أن يضيع من جماعة بني إسرائيل أى جزء قديم من بقايا النتاج القديم ، لذلك جمعها كلها كما هي وأدخلها بصورتها داخل مؤلفه .

فروايات العهد القديم التي سحرت القلوب بجمالها ، ولم تتوقف طوال آلاف السنين عن إخضاع الأنفس بكاملها ويساطتها ، تحولت إلى كومة أقسام ، وأجزاء مختلفة ومتنوعة جمعت سوياً من مصادر عديدة ، وعصور مختلفة ، وتلك الأقسام كل جزء منها قسم مميز قائم بذاته ، بدون قرابة داخلية أو علاقة جوهرية لجزء مع الآخر .

هل كان من الممكن لمثل هذه النظرية، التي فتتت التوراة بفتيتاً، أن تصمد وتثمر عن نتائج ١٩ فقد كان من الواضح أن هناك تعثراً في أسلوب النقد لا يؤدي إلى ضمان صحة النتائج، وأن تقسيم الأجزاء على أساس الحجم فقط ويؤن قاعدة تاريخية ثابتة ، ونسبته لأي مصدر من المصادر لا يمكن أن يقود إلى "النجاح العلمي".

٨ - دي - فته

حاول دي - فته الخروج من تلك الأزمة ، وعلى الرغم من أنه كان في بداية حياته تلميذاً للفيتز ووفياً لنظرية الأجزاء ، فقد بدأ أبحاثه من جديد ولم يؤسسها على أساس سفر التكوين الذي عمل عليه النقاد منذ أسفروك . سادى ذلك إلى نظرية تعدد الأجزاء في بحث العهد القديم . وبدلاً من البحث عن الاختلافات والتناقضات بين أحداث التوراة : فقد سعى دي - فته لإيجاد مصدر ما كامل وثابت في العهد القديم ، لا يترك مجالاً للشك في وحدته الداخلية . فظهر له سفر التثنية كوحدة واحدة كبيرة متميزة ، تتشابه أقسامه وتتناسب كل قسم مع الآخر، كما أن الطابع الأدبي للسفر يختلف عن بقية أسفار التوراة الخمسة ، ويميزه ليكون بمثابة عالم قائم بذاته . فلفه السفر متميزة ، وأساليب التعبير فيه مختلفة عن تلك المقابلة لها في الأسفار الأربعة الأولى، كما أن المناخ الفكرى في أقواله مختلف بصورة مطلقة . فالاختلاف الجوهرى بين المصادر الثلاثة الأولى في الأسفار الأربعة قد زال واختفى وقُعد في سفر التثنية . باستثناء الإصحاحات الأخيرة التي تتحدث عن موت موسى ووالفعل أدرك القدماء وحدة سفر التثنية وتميزه ، ويكفى أن نذكر من ذلك ملاحظات وافتراضات أيشهورن وسبينوزا، كما نجد إشارات إلى مثل هذه الملاحظات في التلمود . علاوة على ذلك فإن الماسورا ذاتها تميز "تثنية التوراة" عن الأسفار الأربعة الأولى، كما أن التوراة حددت إعطاه في موضع خاص ، وزمن متأخر ، أى في صحراء مؤاب ، وبالقرب من عصر موت موسى.

٩ - مصدر التثنية : خصائصه وزمنه

ولكى نوضح لأنفسنا مدى صحة الرأى الذى يُخرج سفر التثنية من داخل حدود العهد القديم ، وجعله مصدراً خاصاً قائماً بذاته - هذا الرأى الذى ظهر عند باحثين سابقين له - دي - فته ثم ظهر في صورة قوية في عصره وعلى يديه ، حتى صار إرثاً ثابتاً داخل نتائج علم العهد القديم . فيجب أن نشير إلى مضمون هذا السفر باختصار . فالسفر يبدأ بعقمة موجزة بتحديد المكان والزمان (١-٥) أين ومتى

ابتدا موسى يشرح هذه الشريعة قائلا ، "وفي أعقاب ذلك يأتى خطاب موسى" (٦:١) - (٤ : ٤٠) ويصف موسى باختصار شديد أمام سامعيه كل الذى حدث لهذا الشعب منذ أن تحدث يهوه "فى حوريب" حتى قدومهم إلى عبر الأردن "فى الجواء مقابل بيت فغور" ، وتوجه بدعوته إلى الشعب ليسمع "القرائض والأحكام" "لكى تحيوا وتمتلكوا الأرض" وليعملوا "قرائضه ووصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم.

وتحدث وقفة قصيرة عبارة عن ثمان عبارات (٤ : ٤١-٤٩) ، تتحدث عن المدن الثلاث التى عزلها موسى جريد مقدمة قصيرة لشريعة موسى "التي وضعها ... أمام بني إسرائيل" "فى عبر الأردن فى الجواء مقابل بيت فغور" . يبدأ الخطاب الثانى لموسى والذى يتضمن كل القرائض والأحكام "التي أتكلّم بها فى مسامعكم اليوم" (الإصحاحات ٥-٢٦) ، وذلك بعد ذكر أحداث تاريخية قصيرة . وقد لاحظ القديس فعلا الاختلاف بين (٦:١-٩) وبقية أقوال الشريعة ، فهذه الفقرات تؤدي إلى خلل فى اكتمال الأقوال تدركه عينا الناقد ، وينتهيها تسير الرواية هنا بدون ازواج أو تناقض . فالفقرة مرتبطة بالفقرة . وتمس القوانين نفسها بعض أسس الحياة والحاجات المختلفة لشعب استقر على أرضه ، وعلى أساسها كلها تفرق الروح ، لأن إسرائيل "شعب مختار" . وتتركز الحياة ذاتها حول "الموضع الذى يختار يهوه إلهك ليسكن اسمه هناك" وبعد أن أنهى موسى خطابه الطويل أعلن قائلا : "قد واعدت الرب اليوم أن يكون لك إلهًا ... وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعبًا خاصًا" .

ثم يقص السفر ما يتعلق بوظيفة موسى ، وهى أن يكتب : كل أقوال الشريعة هذه على حجارة كبيرة وأن ينصب هذه الحجارة فى جبل عيبال (٢٧: ١-٥) وبينى هناك منبجًا ليهوه وأن يقيم بعد ذلك ستة أسباط من إسرائيل على جبل عيبال ، وستة على جبل جرزيم ، ليبارك الشعب إذا سمع لقول يهوه ، ولعنه إن لم يسمع لقول يهوه " احفظوا جميع الوصايا التى أنا أوصيكم بها اليوم" ، وينهى قائلا : " تلك أقوال العهد التى أمر يهوه موسى أن يقطعه لبني إسرائيل فى أرض مؤاب ، غير العهد الذى قطعه معهم فى حوريب" .

وبذلك ينتهى التيار الأدبى المتواصل والطبيعى والمتواصل من بداية السفر . أما الإصحاحات (٢٩، ٣٠) فتعود إلى أقوال الخطاب الثانى ، والإصحاحات (٢٩-٣٢) تحكى عن وفاة موسى وإعلان القيادة ليوشع وأنشودة موسى ويركته قبل موته وفى هذه الإصحاحات الأخيرة نجد مرة ثانية ازواجيات كثيرة وأصداء تناقضات ، فالرواية الخاصة بموت موسى تكررت مرة ثانية وثالثة فى تلك الإصحاحات . هذا يجعلنا نلاحظ مرة ثانية فكر وطابع المصادر الثلاثة الأولى التى وجدت فى أسفار العهد القديم . يفهم

من ذلك بصورة مباشرة ، بأنه لم يستطع أى مصدر من المصادر تجاهل حدث كبير مثل حدث موت موسى.

هذا السفر لم يكتمل ويثبت على أساس مضمونه فقط . بل مستقل - أيضا - على مستوى بيئته التاريخية عن بقية الأسفار الأربعة . فالقوانين الكثيرة الخاصة بالقرابين والكهنة وخدمة اللاويين وعمل الهيكل ، والتي يزخر بها سفر اللاويين لا وجود لها فى سفر التثنية . والأقوال المتأثرة عن "الكهنة واللاويين" فى السفر ليست ذات قيمة بالنسبة للمضمون الأساسى للسفر . فالقوانين فى سفر التثنية ليست موجهة للكهنة أو أبناء هارون ، كما يوجد فى بقية الأسفار . بل موجهة للشعب نفسه ، ومرتبطة بصورة واضحة وقطعية كالمزى رسمى - وإذ ذلك يقول دى - فته أن سفر "تثنية التوراة" مصدر كامل ومتميز فى حد ذاته باستثناء الإصحاحات الأخيرة وبعض الفقرات فى مادة السفر .

وهكذا نجح دى - فته فى أن يجد داخل تعدد الأجزاء فى التوراة مصدراً واحداً كاملاً متميزاً فى حجمه ، ومهما فى مضمونه مستخدماً بيئة قائمة بذاتها . وعلى إثر ذلك تقرر دى - فته من تعليقات الأجزاء فاتحا بذلك طريقاً جديداً فى تطور مستقبل علم العهد القديم .

١٠ - إصلاح يوشياهو . واكتشاف "سفر العهد"

حتى إذن ، وبواسطة من ألف هذا المصدر الكامل؟ . ربما ننجح فى إيجاد أساس راسخ فى تاريخ إسرائيل عن زمن تأليف هذا السفر ، وعلى هذا الأساس الثابت ، ربما تصبح هناك إمكانية لاستمرار عمل هذا العلم إلى أبعد من ذلك ، وذلك بمقارنة بقية الأجزاء بهذا المصدر . لتحديد أيها أقدم ولعرفة علاقتها الداخلية المشتركة التى تربط بينها وبينه ؟ . يوجد دى - فته لهذا السؤال إجابة وافية بعد سلسلة من المحاولات الطمعية المختلفة التى حدثت أساساً ثابتاً لتوضيح ترتيب زمن كتابة مصادر العهد القديم .

فى سفر الملوك الثانى (٢٢-٢٣) وصف تقصيلى عن عصر يوشياهو ملك إسرائيل . فى السنة الثامنة عشرة من حكمه ، جاء حلقيا هو الكاهن إلى داخل هيكل يهو لتقوية دعائم الهيكل وجد هناك "سفر الشريعة" "فمزق ملابسه" "لأن عظيم غضب يهو .. أنه لم يسمع أبائنا أقوال هذا السفر ويعملوا كما هو مكتوب علينا" . وذهبوا ليسألوا خلدة النبية فقالت : "هكذا قال يهو ها أنا جالب شر على هذا المكان وعلى سكانه كل أقوال السفر الذى قرأه ملك يهوذا" . فخاف الملك وخضع أمام يهو

وأرسل وجمع : كل شيوخ يهوذا وأورشليم ، وقرأ على مسامعهم أقوال العهد المكتوب في هذا السفر وبخل كل الشعب في العهد ، وقطع عهداً أمام يهوه ليذهبوا وراء يهوه ويحفظوا وصاياه وشهادته وقوانينه ... لإقامة أقوال هذا العهد المكتوبة في هذا السفر وبخل كل الشعب في هذا العهد وأبعد عن الهيكل ، كل الأنواء المعمولة للبعل والسارية ، وحرقها خارج أورشليم ، وجعلها غباراً وهدم بيوت المليونيين التي عند بيت يهوه ونجس المرتفعات، وهدم مرتفعات الأبواب وكسر التماثيل وقطع السراري ونجس المذابح ، وأباد السحرة والعرافين والقرافيم والأصنام وجميع الرجاسات التي ظهرت في البلاد، وأمر بعمل الفصح في أورشليم كيقيم كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن في بيت يهوه .

إذن ما هذا السفر المبهم المعروف بـ "سفر الشريعة" الذي وجده حلقيا هو هيكل يهوه والذي على أساسه نظم الملك تلك الثورة الجوهريّة في الحياة الدينيّة والعقديّة للشعب ؟

من البديهي أن النص هنا لا يتحدث عن أسفار التوراة الخمسة . لأنه من المستحيل أن كل أسفار التوراة المشتعلة على قرابة ستة آلاف فقرة تقرأ من أولها وحتى نهايتها "كل أقوال سفر العهد" مرتين في يوم واحد - مرة بواسطة شافان أمام الملك ، ومرة من قبل الملك على مسامع الشعب . لكن من المستحيل أيضاً تصور أن سفر العهد هذا سفر آخر وجد آنذاك مصالفة ، وفقد مرة ثانية ولم يصل إلينا . ألم يدعى "سفر العهد" وعلى أساسه قطع الشعب عهداً أمام يهوه ، وقرأه كل الشعب من الصغير وحتى الكبير "، لذلك من المستحيل أن الأمر الذي تمسك به جماعة إسرائيل تتناساه بعد ذلك ، في الوقت الذي اقترت فيه من جمع كتاباتها المقدسة . ومنذ ذلك الحين يعتقد أن هذا السفر ليس سوى أحد أجزاء التوراة المتضمن داخل أسفار التوراة الخمسة .

إلا أن هناك تساؤلات عن نما هذا السفر؟ وعن أين موضع "سفر العهد" الذي وجد في زمن يوشياهو - داخل الأسفار الخمسة ؟ وعن أي أجزاء التوراة يتحدث النص ؟

١١ - سفر الشريعة وتوراة الكهنة

يتضح من ثنايا الرواية أن السفر يتضمن في داخله لعنة قاسية على المكان وسكانه إن لم يحفظ الشعب الأحكام المذكورة فيه، لذلك ارتجف الملك ومزق ملابسه،

كما كانت أقوال خلدة النية قاسية إلى حد كبير - نعرف من خلال أعمال يوشياهو أن "سفر العهد" أمر بإزالة المرتفعات والمذابح المنتشرة في يهوذا والسامرة، وتركيز العبادة في هيكل يهو في اورشليم وعمل فصيح ليهوه . تلك هي الأسس الثلاثة التي اتبعت في عصر يوشياهو "من أجل إقامة الشريعة المكتوبة في السفر الذي وجده حلقيا هو . وفي أى أقسام التوراة توجد تلك الإشارات؟ . فسفر العهد القديم (الخروج ٢٠-٢٣) يؤكد بصريح العبارة أن "في هذا المكان الذي يذكر اسمه أتى إليك وأباركك"، والروايات الموجودة داخل المصدرون "اليهوي" و"اللاهيمي" تُحدد وتكرر : بأن الشعب سلك في تقديم القرابين خارج اورشليم وبنى مذابح وأقام نصباً ، ولم يعتبر هذا الأمر فيهما خطيئة .

وعندما بدأ دى - فته فحص المصدر الجديد الذي ظهر داخل أسفار التوراة - سفر التثنية - وجد فيه كل تلك الإشارات التي أحصاها العهد القديم في "سفر الشريعة" الذي وجده حلقيا هو . ويمثابة حجر الأساس لكل القوانين التي قررها عند قدومه ليقرأ أمام الشعب "الأحكام والقوانين التي تحفظونها لتعملوها" ، يؤكد موسى ويشدد "إلى المكان الذي يختار يهوه لكم من كل أسباطكم ليجعل اسمه فيه سكناه تطلبون وإلى هناك تجيئون" (التثنية ١٢: ٥ ، ١١ : ١٤) ، ويتباد تماماً الأماكن المقدسة الموجودة باستثناء الهيكل المركزي . ويقص بالتفصيل "وتهدمون مذابحكم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريتهم بالنار وتكسرون تماثيل ألهتهم وتمحو أسمهم من ذلك المكان" (١٢: ٣) .

وأقام يوشياهو تلك الوصايا حرفياً (الملوك الثاني ٢٣: ٤-١٥) ويرد هنا بإسهاب وتفصيل ما يتعلق بشأن بقية القانون "لعمل فصيح ليهوه" ، وتنبح ذبيحة الفصح في الموضوع "الذي يختار يهوه إلهك ليسكن اسمه هناك" (التثنية ١٦: ٦) ووصية ذبح الفصح في الهيكل المركزي ، لم يرد عنها أى خبر مطلقاً في أحداث الفصح سواء في سفر العدد (٢٨: ١٦-٢٥) أو في سفر الخروج (١٢: ١٤-٢٠) .

وفي سفر الملوك الثاني يرد بإسهاب في الرواية عن يوشياهو "لأنه لم يعمل فصيح كهذا للرب منذ عصر القضاة ... لكن في السنة الثامنة عشرة لملك يوشياهو عمل هذا الفصح ليهوه في اورشليم" (الملوك الثاني ٢٣: ٢٢ - ٢٣) ولم يكن مجاناً ارتجاف الملك يوشياهو من أجل "غضب يهوه الذي اشتعل علينا" ، بل إن سفر التثنية يتضمن في داخله تأنيباً وتهديداً شديداً "إن لم تسمع كلام يهوه إلهك" (التثنية ٢٧-٢٨) ، ولم يكن مصادفة أيضاً أن السفر الذي وجده حلقيا يكتب باسم "سفر العهد"

(٢:٢٢ ، ٢١) لأن يتكرر في سفر التثنية بإسهاب أن يهوه قطع عهداً * معنا نحن الذين هنا اليوم جميعاً أحياء * (التثنية ٥:٥) انظر أيضاً (١٧:٢٦-١٨) .

وتدعم الأدلة الجانبية المستمدة من أنب ذلك العصر الرأي بأن سفر التثنية نُشر في عصر يوشياهو . فنقرأ في سفر إرميا "هكذا قال يهوه إله إسرائيل أنا قطعت عهداً مع آبائكم .. قائلًا في نهاية سبع سنين تطلقون كل واحد أخاه العبراني الذي بيع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حرّاً من عندك * (إرميا ١٦:٣٤-١٤) فمن يدري أن أقوال إرميا هذه معدة لتؤكد القانون في سفر التثنية * : إذا بيع لك أخوك العبري أو العبرانية وخدمك ست سنين ، ففي السنة السابعة تطلقه حرّاً من عندك * (التثنية ١٥:١٥) ، وليس لتأكيد القانون الموازي في سفر الخروج والذي ينص : "إذا اشترت عبداً عبرانياً * (الخروج ٢١:٢) .

وفي الرواية عن أمصيا الذي عمل المستقيم في عيني يهوه يصف سفر الملوك الثاني (١٤) مفصلاً : ولكنه لم يقتل أبناء القاتلين حسب ما هو مكتوب في سفر شريعة موسى "حيث أمر يهوه قائلًا: لا يقتل الآباء من أجل البنين، والبنون لا يقتلون من أجل الآباء. إنما كل إنسان يقتل بخليته (يموت) موتاً". ويعني ذلك اقتباساً دقيقاً ملخوفاً حرفياً من سفر التثنية (١٦:٢٤) .

ونسنتج من هذه الأقوال أن "تثنية التوراة" التي لاحظنا أنه مصدر منفصل ومتميز ومستقل هي نفسها سفر العهد الذي وردت الإشارة عنه في سفر الملوك الثاني، وأنه ظهر في السنة الثامنة عشرة لملك يوشياهو . أي تقريباً حوالي (٦٢٣ ق.م) .

١٢- تدهور نظرية تعدد الوحدات

وعندما نجح دي - فته في استخلاص وحدة أحد أسفار التوراة ، وتحديد مجاله وزمن تأليفه بدأ الانتصار على نظرية تعدد الأجزاء في بقية أسفار التوراة وإيجاد نظام يربط بين الأجزاء والأقسام العديدة التي أحصاها من قبل أصحاب نظرية تعدد الوحدات .

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل الثامن

تحديد المصادر الأربعة

١ - دى - فته ومدرسته

بما أن دى - فته قد توصل للاعتراف بشأن سفر "التثنية" داخل تاريخ نظم العبادة في إسرائيل ، فقد سمى مرة ثانية لأن يجد في مسيرة الحياة الدينية مادة لبقية أبحاثه بشأن تاريخ العهد القديم ، وتشجع في أن يوضح بنفسه أسلوب تطور العبادة ونظام الطقوس ، ودعم ذلك على أساس الصورة التاريخية في نقده للعهد القديم ، ولذلك كشف دى - فته الاختلافات الداخلية بين سفرى أخبار الأيام وأسفار صموئيل والملوك ، مشيراً إلى أن هذا الاختلاف لا يظهر في فقدان التطابق بين تفاصيل الروايات فحسب ، والذي توصل إليه بالفعل العديد من الباحثين السابقين ، بل إن صور الطقوس متأخرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى كما هي موصوفة أمامنا ، وناجمة عن أقوال مصدرين مختلفين ، ويعيدين هذا عن ذلك في الزمن والهدف .

والمعالجة التي عالج بها دى - فته سفر التثنية على أنه كله ذو أسلوب واحد ، وتسود في أقواله لغة الأنبياء الثرية والمتعددة ، لذلك استمر بإحساسه النقدي في ثنايا الكتابات المقدسة ولم يهتم فقط بالتناقضات والتكرار وفقدان المطابقة فحسب ، بل ليجد في العديد منها الوحدة الأدبية الفنية الموجودة بالفعل ، مع التسليم والقبول بالنقص الموجود أحياناً ، وقد ثار بصفته ناقدًا ثقة وخبيراً على علم أسانته وابتعد عن نظرية الأجزاء العقلانية في مجموعها ، والمتطرفة ، والباحثة عن أدق التفاصيل وانضم لدعمه سريعاً مجموعة من الباحثين الشباب ومرة ثانية دار الحديث عن أقوال مؤلفات كبيرة في حجمها ، أى المصدر الألوهيى القديم والمصدر اليهودي المتأخر .

وعلاوة على ذلك فقد فاق دى - فته وتلاميذه بالوحدة الأدبية الكاملة أصحاب نظرية المصادر الأوائل (أستروك ، إلجن ، وغيرهما) السابقين على أصحاب نظرية الأجزاء . وقد لاحظ الأوائل أن التوراة كما هي مؤلفة من مصدرين - وقالوا بعد ذلك من ثلاثة مصادر - خاصين ومنعزلين الواحد عن الآخر ، ليس بينهما أى صلة ، وبمجا سوية بصورة متكلفة . أما أصحاب مجموعة دى - فته فقد قرروا ثأن التاليف "اليهودي" ليس تاليفاً مستقلاً ، بل إن "اليهودي" جاء للارتباط بأقوال "الألوهيى" السابق له وليكملها ، وذلك ابتدعت نظرية المصدر التكميلي .

٢ - إيفالد وتوخ

اهتم إيفالد الذى انضم إلى مدرسة دى - فته بإظهار أن سفر التكوين ، للذى

فتتة أصحاب نظرية الأجزاء ، لا يمكن أن يكون تأليفًا ميكانيكيًا من مصادر متعددة فحسب، لأنه رغم كل ذلك نشعر بوحدة أبنية في مجموعته ، وأن كل المادة العديدة والوفرة المجموعة فيه ، تتخذ صورة أبنية واحدة.

أما توخ الذى ظهر بعد إيغال ذلك فقد قرر فى تفسيره لسفر التكوين قاعدة : أنه يوجد بالفعل أمامنا مؤلفان متميزان . غير أن المتأخر منهما زاد وتم أقوال المؤلف السابق له ومن أجل ذلك فإنه يلقب "المصدر الألوهيمي" باسم "المصدر الأساسى" و"المصدر اليهودي" باسم "المصدر المتمم."

٣ - اكتمال سفر التثنية

وطبقًا لرأى أصحاب هذه النظرية ، فإن المؤلف الأول "للمصدر الأساسى" كان أحد الذين عاشوا فى عصر شاقول . وأما "المصدر المتمم" المتأخر فقد عاش كما يبدو ، فى عصر سليمان . وبعد أن رسخ أصحاب تلك النظرية وحدة سفر التثنية والوحدة الأبنية لسفر التكوين . لم يكتفوا مرة ثانية بهذين السفرين فحسب ، بل حاولوا توسيع سيادة تلك النظرية على كل أسفار العهد القديم ويجدوا فيها كلها يدًا واحدة ، أعلنت وأكملت ونظمت المادة الأساسية القيمة بناءً على أسلوب دينى معروف وثابت.

ويذكر أن علم العهد القديم مرة ثانية بعيداً عن عصر الأجزاء المبتدع مزوداً بوسائل بحث جديدة ومكاسب إضافية .

وليس من اهتمامنا عرض كل سبل صراع تطور علم العهد القديم ، وتفصيل تفاصيل ارتقائه وهبوطه لكن الهام هنا تلك الحركات العلمية التى قادت علم العهد القديم حتى ساد ونمت ثروته . لذلك نتجاهل طرق البحث التى بذلت جهداً فى التأمل النظرى بين نظرية المصدر المكمل القائمة ، وبين ملحق نظرية الأجزاء وازدهار النظرية الجديدة للمصادر ، لنصل إلى العصر الذى ظهر فيه هوفلد الذى ارتقى بعلم العهد القديم لدرجة جديدة .

٤ - المصدر الأساسى والمصدر المكمل

لم يحقق الفكر النقدي الطمأنينة بسبب العثرات الموجودة فى "الألوهيمي" عند نظرية المصدر المكمل وعلى أساس نظرية المصدر المكمل تضاعفت قيمة اليهودى بصفته مؤلفاً ، ونسبت إلى المصدر المكمل وظيفتان جديدتان ومميزتان ، هما : مهمة المحرر

ومهمة المكمل ، وضخموا الوظيفة الأولى وطوروا في الثانية حيلولة على ذلك ابتعد أصحاب نظرية المصدر المكمل برأيهم عن أقوال الباحثين السابقين ، الذين اضطروا لتقسيم المصدر الألوهيمي لمصدرين (إلجن)، وتحثوا عن "المصدر الأساسي" ، بمثابة مؤلف واحد وكامل ، كما لو كان كله "قطعة متجانسة" .

٥ - خلل نظرية المكمل

وعندما بدأ هوبفيلد في إظهار نظرية أصحاب المصدر المكمل إلى حين التنفيذ، والتمييز بين الطبقة الإضافية لليهوى المكمل وبين المصدر الأساسي للإلهيمي توصل على الفور لعيوبهما سوياً فغد وجد داخل الجزء المكمل مادة جديدة ليس لها أى إشارة داخل المصدر الأساسي ، لذلك من المستحيل الحديث عنها ، لأنها ليست مكملة فقط وليست مؤلفاً قائماً بذاته . وإلى هذا الحد لا يمكن تصور أن اليهوى مكمل فحسب . ويظهر ذلك النموذج بوضوح في قسم الطوفان في سفر التكوين (٦-٨) . فقد كان أصحاب نظرية المصدر المكمل يتبعون في هذا القسم التمييز بين المصدر الأساسي والمصدر المكمل على هذه الصورة، يئن هذا الحدث وجد في المصدر الأساسي، وأن المكمل اليهوى أضاف عليها فقط ١٠-٨ : ٧-١ : ١٠-١٦ : ٢٠-٢١ .

٦ - هوبفيلد وتجديداته

إلا أنه عندما جاء هوبفيلد وبدأ فحصى ذلك وجد أن أقوال اليهوى تشمل في داخلها رواية كاملة ومميزة وغير مرتبطة كلية بالمصدر الألوهيمي، ولذلك قرر :

للمصدر الألوهيمي

الإصحاح السادس

٩- هذه مواليد نوح . كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله . وسار نوح مع الله .
١٠- وولد نوح ثلاثة بنين ساماً وحاماً ويافثاً .
١١- ولقدت الأرض أمام الله ولمعالت الأرض ظلماً .
١٢- ورأى الله الأرض فإذا هي قد لستت . إذ كان كل

للمصدر اليهوي

٥- ورأى الرب أن شر الإنسان قد

كثر في الأرض . وأن تصور كل أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم .
٦- فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض . حزن في قلبه .
٧- فقال الرب لمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته مع بهائم وديابيات وطيور السماء . لأنى حزنت أنى عملتهم

بشر قد لشد طريقه على الأرض .
 ١٣- فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد
 أنت لأمسى . لأن الأرض امتلأت فلما
 منهم فيها أنا مهلكم مع الأرض . ١٤ -
 اصنع لنفسك فلما من خشب جفر .
 تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل
 ومن خارج بالقار . ١٥ - وهكذا تصنع
 ثلاث مسحة فزاع يكون طول الفلك
 وخمسين فزاعا عرضة وثلاثين فزاعا
 ارتفاعه . ١٦ - وتصنع الفلك وتكمله
 إلى حد فزاع من فوق . وتصنع باب
 الفلك في جانبها . مساكن سفلية
 ومنوطة وعلوية . تجعله . ١٧ - فيها أنا أت
 بطوفان للماء على الأرض لأهلك كل جسد
 فيه روح حياء من تحت السماء كل ما في
 الأرض يموت . ١٨ - ولكن تقسم عهدي
 معك لعدخل الفلك أنت وبترك وامرائتك
 ونساء بنيتك معك . ١٩ - ومن كل حي من
 كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى
 الفلك لاستبقائها معك . تكون ذكرا
 وأنثى . ٢٠ - من الطيور كاجناسها ومن
 البهائم كاجناسها . ومن كل دبابات
 الأرض كاجناسها . اثنين من كل تدخل
 إلى الفلك . ٢١ - وأنت فخذ لنفسك من
 كل طعام ياكل واجمعه عندك . ليكون

٨- ولما نوح فوجد نعمة في عيني الرب .
 الإصحاح السابع :

١ - وقال الرب لنوح ادخل أنت
 وجميع بيتك إلى الفلك . لأنني إياك رأيت
 بارا الذي في هذا الجيل . ٢ - من جميع
 البهائم الظاهرة تأخذ معك سبعة سبعة
 ذكرا وأنثى . ومن البهائم التي ليست
 بظاهرة اثنين ذكرا وأنثى . ٣ - ومن طيور
 السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى .
 لاستبقاء نسل على وجه الأرض .
 ٤ - لأنني بعد سبعة أيام أيضا لأطمر على
 الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة .
 وأحمو عن وجه الأرض كل قائم عملته .
 ٥ - ففعل نوح حسب كل ما أمره به
 الرب . ١٠ - وأحدث بعد السبعة أيام .
 ١٢ - وكان المطر على الأرض أربعين يوما
 وأربعين ليلة . ١٦ ب وأخلق الرب عليه .
 ٢٣ - فمحا الله كل قائم كان على وجه
 الأرض ، الناس والبهائم والدبابات وطيور
 السماء . فانمحت من الأرض . وبقي نوح
 والذين معه في الفلك فقط .

الإصحاح الثامن :

١ - وأحدث من بعد أربعين يوما .
 ٧ - وأرسل الغراب فخرج مترودا حتى
 نشفت المياه عن الأرض . ٢٠ - وبقي نوح
 مذبعا للرب . وأخذ من كل البهائم

لك ولها طعاما . ٢٢ - لفعل نوح حسب كل ما أمره به الله بحكنا فعل .
الإصحاح السابع

٦ - ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض . فدخل نوح وبنيه وامراته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان . ٨ - ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور ومن كل ما يذب على الأرض . ٩ - دخل الثان الثان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى . كما أمر الله نوحا . ١٠ - إلى مئة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الفجر العظيم وانفتحت طاقات السماء . ١٣ - إلى ذلك اليوم عينة دخل نوح وحام وسام وبالث بنو نوح وامراته نوح وثلاث نساء بنيه معه إلى الفلك . ١٤ - هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تذب على الأرض وكل الطيور كأجناسها كل عصفور ذى جناح . ١٥ - ودخلت على نوح إلى الفلك الثنين الثنين من كل جسد فيه روح حياة . ١٦ - والدخلت دخلت ذكرا وأنثى من كل ذى جسد كما أمره الله . ١٨ - وتماظمت المياه وتكاثر

الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة . واصعد محرقات على المذبح ٢١ - فتقسم الرب رائحة الرضا . وقال الرب في قلبه لا أعود أئمن الأرض لبعثها من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثة . ولا أعود أبضا أئمت كل حي كما فعلت . مدة كل أيام الأرض من زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال .

جدا على الأرض . فكان الفلك يسير على وجه المياه . ١٩- وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الأرض . فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء . ٢٠- خمسة عشر ذراعا إلى الارتفاع تعاظمت المياه . فتغطت الجبال . ٢١- لمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض . من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التى كانت تزحف على الأرض وجميع الناس . ٢٢- كل ما فى أنه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مات .

الإصحاح الثامن :

١- ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التى معه فى الفلك وأجاز الله وبها على الأرض فهبت المياه . ٢- وانسدت ينابيع القصر وطاقات السماء . فامتع المطر من السماء . ٣- ورجعت المياه عن الأرض وجوعا متواليا . وبعد مئة وخمسة يوما نقصت المياه . ٤- واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أواراط . ٥- وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر . وفى العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال . ٦- وفتح نوح طاقة الفلك التى كان قد عملها . ٨- لم أرسل الحمامة من عنده

ليرى هل قلت للمياه عن وجه الأرض .
 ٩- فلم نجد الحمامة مقرا لرجلها .
 لرجعت إليه إلى الفلك . ١٠- فلبث أيضا
 سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من
 الفلك . ١١- فأتت إليه الحمامة عند
 المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها .
 فسلم نوح أن للمياه قد قلت عن
 الأرض . ١٢- فلبث أيضا سبعة أيام آخر
 وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أبدا .
 ١٣- وكان في السنة الواحدة والست مئة
 في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه
 نشفت عن الأرض . فكشف نوح الغطاء
 عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد
 نشف . ١٤- وفي الشهر الثاني في اليوم
 السابع والعشرين من الشهر جفت
 الأرض . ١٥- وكلم الله نوحا قائلا : ١٦
 - اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك
 ونساء بناتك معك . ١٧- وكل الحيوانات
 التي معك من كل ذى جسد والطيور
 والبهائم وكل الدبابات التي تدب على
 الأرض أخرجها معك . ولتولد في الأرض
 وتكثر وتكثر على الأرض . ١٨- اخرج نوح
 وبنوه وامراته ونساء بنيه معه . ١٩- وكل
 الحيوانات كل الدبابات وكل الطيور كل ما
 يدب على الأرض كأنواعها خرجت من
 الفلك .

أمامنا روايتان كاملتان غير مرتبطتين الواحدة بالأخرى مطلقاً، وتفاصيلهما ولغة أقوالهما مختلفة ؛ ففي الرواية الأولى أدخل اثنين اثنين من الأحياء والبهايم والطيور ، وفي الثانية سبعة سبعة من الطاهرة واثنين من غير الطاهرة . وفي الأولى نزل الطوفان منة وخمسون يوماً ، وفي الثانية نزل المطر أربعين يوماً . وفي الأولى أرسل الحمامة وفي الثانية الغراب . وفي الرواية الأولى الأعداد والسنوات دقيقة ومسببة، متى بدأ الطوفان يهبط؟ ومتى تزايدت المياه؟ وكيف تزايدت؟ ومتى بدأت في الانحسار ؟ ومتى هبطت السفينة وأين؟ ومتى ظهرت رؤوس الجبال؟ ومتى انغمرت الأرض ؟ ومتى يبست ؟ والكل بالتحديد في اليوم والشهر والسنة . أما في الرواية الثانية فليس هناك أى إشارة لأسلوب هذا العمل، وبدلاً منه نجد تفصيلاً بشأن سبب تكون المطر وقرار يهوه "إبادة الإنسان" ، حيث تزايد شره . وعن القرايين التي قدمها نوح وعن المذبح الذي بناه، وعن وعد يهوه لنلا يضرب بعد ذلك كل حي "لأن خلق قلب الإنسان شرير من شبابه" . هل يوجد بعد ذلك ضرورة في الأمر لإظهار إلى أى مدى تختلف بيئة هذين المؤلفين . لذلك لا يمكن الاعتقاد أن "اليهوي" مكمل فقط ، والذي لم يأت فقط لإعداد المصدر الأساسي وتعديله، بل عليتا ، أن ننظر إليه كمؤلف متميز لا يرتبط كلية "بالأوهيمي" وأن أحداثه تستخدم مصدراً قائماً بذاته.

٧ - هوبفلد وإلجن

علاوة على ذلك ، فإن مادة "المصدر الأساسي" الذي طبقاً لرأى أصحاب نظرية المكمل جاء المحرر اليهوي ليكملة . ليس كما اعتقدوا قطعة واحدة، بل يشمل مصدرين مختلفين الواحد عن الآخر . كما لاحظ إلجن ذلك في عصره . ربما أن جوهر اختلاف المصادر لم يحدث إلا لإظهار الروايات المزبوجة ، وبما أنه لا تزال في "المصدر الأساسي" أو "الأوهيمي" تكرارات عديدة باقية ، يفهم من ذلك أن هذا المصدر لا يزال يخضع للتقسيم . وهكذا وأصل هوبفلد مستعرضاً أقوال إلجن وأحصى الروايات المتكررة داخل المصدر الأوهيمي في سفر التكوين فقط . وعلى سبيل المثال قابل الروايات هذه مقابل تلك وفقاً لاختلاف أسماء "لوز" "لييت إيل" (التكوين ٢٨ : ٩ ؛ ٣٥ : ٧) و"يعقوب" "إسرائيل" (٣٢ : ٨ ؛ ٣٥ : ١٠) ؛ أو يقول في موضع واحد : أن إبراهيم طرد إسماعيل ابن الأم (٩:٢١) وفي موضع آخر يجد عند موت إبراهيم كان لا يزال إسماعيل معه (٩:٢٥) وغير ذلك . وإذا وجد في المصدر الواحد تكرار وغموض، فما هي فائدة التعديلات التي قام بها العلماء ؟ يجيب هوبفلد قائلاً : يوجد

هنا مصدران ، وصديق إلجن في حديثه بشأن "الألوهيمي القديم" و"الألوهيمي الأحدث" . "استمر هوفلد موالياً للتمييز المذكور سابقاً الذي أطلقه إلجن لهذين المصدرين ، وواصل وقسم "المصدر الأساسى" إلى مصدرين.

٨ - المصادر الأربعة

وبعد مائة سنة من البحث والدراسة والمباحثات التي انقضت من عصر أسترون وحتى عصر هوفلد ، عاد مرة ثانية علم العهد القديم واقترب من نظرية المصادر ، ولكن ماهى كان ثمار عمل تلك الدراسة لمدة مائة عام ؟ مرة أخرى لم يتم البحث عن نظرية مصدرين فقط ، كانا أمام موسى كاتب التوراة ، وزمنهما غير معروف والاختلافات بينهما على أساس أسماء الألوهيمية فحسب ، بل أصبح الحديث بوضوح مطلق بشأن أربعة مصادر متميزة ، يمثل المصدر التشوى أحدها ونشر زمن الملك يوشيا ، أما الثلاثة الأخرى فهي "اليهوي" و"الألوهيمي ١" و"الألوهيمي ب" ، ولم يحدد زمن تأليفهم بعد ، غير أن الطابع الأدبى ظاهر ووحدتهم أكيدة . لكن لا تزال توجد شواهد عن تقدم وتدهور متنوع لعلم العهد القديم ، غير أن هذه النتيجة بشأن المصادر الأربعة الأساسية باقية على ما هى عليه . فانسازها تتغير وحجمها يتبدل غير أن هذه النتيجة تبقى فى جوهرها بمثابة قاعدة ثابتة فى بحث العهد القديم حتى عصرنا .

وبدأ علم العهد القديم يكشف القطاء لإنجاز الهدف الأكثر صعوبة . بتوضيح زمن تأليف المصادر الثلاثة . ربما أن زمن تأليف المصدر التشوى قد اتضح بالفعل فقد منحت الفرصة مرة ثانية للتمسك به بمثابة أساس ثابت ، والانطلاق منه بواسطة المقارنة والمطابقة والبحث بشأن تشكل بقية المصادر وتحديد زمنها .

٩ - فانكى وجيورج ورويس

وعلاوة على الاعتراف بأنه باستثناء سفر التشية توجد مادة باقية فى التوراة للمصادر الثلاثة المتميزة التي ألفت فى عصور مختلفة . هذه الحقيقة لم يتم التعرف عليها فى علم العهد القديم من خلال مقارنة الروايات المزوجة أو من خلال البحث الواقعى ، بل إن البيانات المختلفة والبعيدة الواحدة عن الأخرى قد برزت أمام الدارسين المتمسقين الذين تحرروا من الآراء التقليدية وعمقوا فى ثانيا الكتابات المقدسة ويتوصل هؤلاء الباحثون من خلال بحثهم التاريخى لمعرفة صدق الفترة التاريخية التي يتناولها كل مصدر من المصادر .

ولم يكن مصادفة أن توصل في فترة واحدة ثلاثة من الباحثين إلى نفس الرأي رغم تباعد كل واحد منهم عن الآخر في المكان والهدف، وهؤلاء الثلاثة هم "فاتكي"، و"جيورج"، و"رويس".

تخرج الاثنان الأولان من مدرسة هيجل، وتأثرت كتبهما بنظريته الفلسفية وأساليبه المنطقية، ولم تترك أقوالهما في حينهما الانطباع المناسب بسبب لغتهما المحلية. وكانت النتيجة الجوهرية لأقوالهما أن تورا الكهنة (المصدر الكهنوتي) تحتل مكانة هامة إلى حد كبير في أسفار التوراة الخمسة، وتتضمن في داخلها قوانين القرايين، وقواعد العبادة، وترتيب الكهنة. يستنتج من هذا أنه من المستحيل أن تكون قد كتبت في زمن موسى أو حتى زمن الهيكل الأول، بل تم تأليفها زمن السبي البابلي، وربما بعد العودة من بابل، وتوصل رويس لنفس النتيجة قبل عام من ذلك.

١٠- منهج رويس في النقد

وضع رويس اثنتي عشرة قاعدة لتلاميذه لخص فيها منهجه في علم العهد القديم، وهي:

١ - عدم خلط القسم الروائي في التوراة مع القسم القانوني فيها، فكل واحد منها يحتاج إلى بحث قائم بذاته.

٢ - كل واحد من هذين التمثلين الأدبيين كان موجوداً عند اليهود قبل تدوينه في كتاب. والروايات التي تشهد بالشرعية التي أمر بها موسى، وأعلنت من جيل إلى جيل لا تبرهن على أن الأسفار الخمسة التي لدينا كانت موجودة في ذلك الزمن. فوجود أنماط القوانين المعلنة من جيل إلى جيل أمر احتمالي عند جماعة ليس لها شريعة مكتوبة بالمرّة.

٣ - الماسورا الروائية عند اليهود أقدم من الماسورا القانونية، كما أن الصياغة الأدبية للأولى أقدم من الصياغة الأدبية للثانية.

٤ - الوظيفة الأساسية للمؤرخ هي توضيح زمن تكون القوانين، وهذه المهمة تمكن من التعرف على الحقيقة الأكيدة، وللبدء في هذا البحث من الضروري للمؤرخ أن يستفيد من آراء أبناء العصر.

٥ - تتناقض الروايات التاريخية الواردة في أسفار القضاة وصموئيل وبعض

روايات سفرى الملوك تناقضاً مطلقاً مع القوانين الموجودة فى التوراة ، وينتج عن ذلك أن هذه القوانين لم تكن معروفة زمن تدوين تلك الأسفار التاريخية المذكورة آنفاً ، وبالتأكيد لم تكن معروفة فى تلك العصور التى ترد روايات عنها فى تلك الأسفار.

٦ - الأنبياء الذين عاشوا فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد لم يعرفوا مطلقاً أى شئ بشأن توراة مكتوبة.

٧ - إرميا أول نبي يتحدث بشأن القوانين المكتوبة، وأقواله مرتبطة بسفر التثنية.

٨ - القسم الوسيط فى سفر التثنية هو نفسه "سفر الشريعة" الذى وجده الكهنة طبقاً لأقوالهم فى هيكل يهوذا فى عصر الملك يوشياهو وهذا القسم من القوانين أقدم أقسام القوانين المكتوبة فى التوراة.

٩ - يقسم التاريخ العبرى القديم من وجهة نظر تاريخ الثقافة القومية إلى مرحلتين أساسيتين: قبل عصر يشياهو وبعد عصر يوشياهو.

١٠ - النبى حزقيال سابق على عملية الانتهاء من تحرير تعاليم العبادة وظهور القوانين المنظمة لسلطات الكهنة.

١١ - سفر يشوع ليس أحدث من أسفار التوراة الخمسة وكما يحتمل فإنه يشبهها ظاهرياً.

١٢ - موسى أبو الأنبياء ليس هو محرر أسفار التوراة الخمسة .

وعلى كل حال، قرر رويس أن القوانين بشأن العبادة وترتيب الكهنة ألقت بعد عصر حزقيال (القاعدة رقم ١٠) أى فى نهاية سبى بابل، أو فى بداية عصر العودة.

١١ - جراف

وهاتان النتيجةتان: أى النتيجة التى توصل إليها إجن وهوفلد بشأن تقسيم المصدر "اللوهمي" إلى مصدرين ، والنتيجة الأخرى التى توصل إليها فاتكى وجورج رويس بشأن وحدة واستقلال سفر القوانين الذى يبحث أمور الكهنة ونظام العبادة، ضمهما سوياً له جراف أحد أهم الباحثين فى علم العهد القديم .وقدر جراف أن "المصدر اللوهمي" الذى عرف عند أصحاب النظرية التكميلية باسم "المصدر الأساسى" بلا شك مركب من مصدرين متميزين، غير أن أحدهما يشمل فى وسطه

روايات موازية لروايات "المصدر اليهودي" وهو نفسه "اللاهيمي الأحدث" عند هوبلدا.

١٢- القسم الروائي والقسم القانوني في التوراة

يعتبر بحث جراف مهما وقد نال قبولاً داخل علم العهد القديم في عصرنا كقاعدة ثابتة . ولأن جراف كان تلميذاً للويس فقد اتخذ أساساً لأبحاثه سفر الأحكام الموجود في سفر التثنية الذي يعتبر زمن تأليفه معروفاً وواضحاً بدرجة كافية (القاعدة ٨)، وبواسطة مقابلة بقية الأسفار بسفر الأحكام أراد أن يصل إلى أي من الأسفار الأخرى الموجودة في العهد القديم عرفها صاحب سفر التثنية ، وأى منها لم يعرفه مطلقاً ؟ .

توصل جراف بعد بحث طويل وموازنة دقيقة إلى رأى عام هو : أن قوانين يهوه التي ذكرت في سفر الخروج (١٣ : ٢٠ - ٢٣ : ٢٤) هي القوانين الوحيدة المعروفة لصاحب سفر التثنية ، أما بقية القوانين الموجودة في "المصدر اللاهيمي" الكبير لم يعرفها ولم يلاحظها . وينجم عن هذا ، أن القوانين في المصدر "اللاهيمي" متأخرة وتنسب إلى العصر البابلي أو عصر العودة . مرة ثانية نعلم من ذلك ، أنه من الضروري التمييز بين القسم الروائي والقسم القانوني في المصدر "اللاهيمي" . وربما القسم الأول سابق على سفر التثنية (على كل حال ، ليس هناك ما يمنع السبق) والقسم الثاني متأخر عنه.

١٣- نقد ريهيم لنظرية جراف

وهذا التقسيم الذي وضعه جراف بين القسم الروائي والقسم التشريعي في مصدر واحد أثار ضده معارضات شديدة بين زملائه الباحثين . وقد تمكن "ريهم" المحافظ من الرد على هذه الاعتراضات . فثبت "ريهم" بإدلة واضحة أن نفس الروايات التاريخية التي عزل منها جراف قوانين الكهنة ، تسيطر عليها روح هذه القوانين وليس هناك أى احتمال للفصل بينهما . فالقوانين تكون سوياً مع الروايات وحدة واحدة، ولذلك لا يمكن قبول نظرية جراف الذي يؤخر زمن إعطاء تلك القوانين حتى عصر العودة.

١٤- مصدر توراة الكهنة

كانت أئمة "ريهم" وزملائه قوية وحاسمة بما فيه الكفاية ، حتى أن جراف رأى أنه من الواجب الالتزام بها والموافقة عليها . غير أن النتيجة التي تم الوصول إليها من هذه الأدلة كانت مختلفة كلية عن تلك التي قصد "ريهم" إلى استنتاجها ، وحققا فإن القسم الروائي والقسم التشريعي - في المصدر "اللاهيمى القديم" الذى عرف باسم "الأساسي" عند أصحاب النظرية التكميلية ، أصبح يطلق عليه "توراة الكهنة" فى شكل وحدة يمكن الفصل بينها ، إذ أن القسم القانونى فيه قد ألف ، كما يبدو ، زمن السبى البابلى ، ويظهر تلقائيا أن الجزء الروائى لهذا المصدر قد ألف زمن السبى البابلى .

١٥- المصادر: اليهودى واللاهيمى وتوراة الكهنة

والنظرية التى وضعها هوفلد بشأن المصادر الثلاثة للأسفار الخمسة - باستثناء سفر التثنية الذى هو مصدر قائم بذاته ، اتخذت حالياً أساساً جديداً عند جراف ، حيث ساد الحديث عن المصادر "اليهودي" و "اللاهيمى" و "توراة الكهنة" . وعلى أساس استنتاج دى - فته بأن سفر التثنية ألف فى عصر يوشياهو ، أقام جراف نظريته بأن "اليهودي" و "اللاهيمى" سابقان لعصر يوشياهو ، وأن مصدر "توراة الكهنة" ألف بعدهما .

علامة على ذلك فقد حُدد فى عصره وبواسطته مضمون وحجم كل مصدر من المصادر التى ركبت منها الأسفار الخمسة للتوراة - وتزيد الباحثون ، فثضافوا وحذفوا وأنخلوا من عندهم - ويوصف الجدل التالى تلك المصادر التى أسسها جراف مصدراً مصدراً ، وكما هى مقبولة - كثيراً أو قليلاً - فى العلم حالياً ، وذلك باستثناء المصدر التثنوى الذىبقى بمثابة وحدة واحدة .

غير أن هذه الرؤية بشأن تاريخ أسفار التوراة ونظام نشأتها الذى قبل حالياً بوصفه قانوناً بعد اختلافات "ريهم - جراف" ، ليس سوى ثمار ملاحظات نظرية داخل العهد القديم . وقد وجدنا من خلال مضمون وصورة السفر نفسه مكانه فى تاريخ الأدب ، وعلاقته بسفر التثنية الذى كان زمنه محدداً غير أن التطابق المتبادل بين السفر والحياة لا يزال بعيداً عن البحث . غالب العهد القديم كان يرفرف على نظم الدولة وثقافة الجماعة ، وعلم العهد القديم لم يدركها بعد فى اتصالها بالموضوعات الاجتماعية والدينية لموضوع الحياة .

جدول المصادر

الكهنوتى	الإلوهى	اليهوى
٣١-١:١ ١٤-١:٢		العكرين ٢٥: ٢ ٣ ٤ ٢٩: ٥ ٨-١: ٦ ١٦٦, ١٢, ١٠-٧, ٥-١: ٧ ٢٣, ٢٢, ١٧, ٢٢-٢٠, ١٢-٦: ٨ ٢٧-١٨: ٩ ٣٠-٢٤-٢١, ١٩-٨: ١٠
٣٢-٣٠, ٢٨-١: ٥ ٢٢-٩: ٦ ١١٧, ١١٦, ١٣, ١١, ٦: ٧ ٢٤, ٢١-١٨ ١٩-١٣, ٥-١: ٨ ٢٩-٢٨, ١٧-١: ٩ ٢٣-٢٢, ٢٠, ٧-١: ١٠ ٣٢-٣١ ٣٢-٣١, ٢٧-١٠: ١١ ٥, ٢٤: ١٢ ١٢-١١, ٦: ١٣ ١٤	١٥	٣٠-٢٨, ٩-١: ١١ ٢٠-٦, ١٤-١: ١٢ ١٨-١٣, ١١-٧, ٥-١: ١٣
١٦-١٥, ٣, ١: ١٦ ١٧		١٤-٤, ٢-١: ١٦ ١٨ ٢٨-٣٠, ٢٨-١: ١٩
٢٩: ١٩	٢٠	٢٣, ١٢-١: ٢١ ٢٤-٢٠, ١٨-١٥: ٢٢
٥-٢: ٢١	٣٤, ٣٢-٦: ٢١ ١٩, ١٤-١: ٢٢	٢٤ ١٨, ١١, ٦-١: ٢٥ ٣٤-٢٧, ٢٦-٢١ ٣٣-١: ٢٦
٢٣		
١٩, ١٧-١٢, ١١-٧: ٢٥ ٢٦, ٢٠, ٣٥-٣٤: ٢٦	٣٠, ٢٨-٢٥	

	- ١٦: ٥٤: ٥١: ٢٧ ١٩: ٥١٨: ١٦: ١٢ ٢٤- ٢٢: ٢٨: ٢٢- ٢١	١٤: ١٠- ٥: ١٤- ٢: ١١: ٢٧ ٢٠: ١١٨: ١٧: ١٥ - ٢٥: ٢٢- ٢٩: ٢٧- ٢٤ ٤٥ ١٩: ١٦- ١٢: ١٠: ٢٨
٩- ١: ٢٨	٢٠: ١٨: ١٢: ١١: ٢٨ ٢٢-	
٢٩: ٥٢٨: ٢٤: ٢٩ ١٢٢: ٢٠	٢٢- ١٥: ١: ٢٩ ١٨: ٩: ١٢- ١: ٢٠ ٢٢: ١٢٢: ١٢- ١٧	٢٥- ٢١: ٤- ٢: ٢٩ ١٦- ٩: ٧: ٥- ٥٢: ٢٠ ٤٢- ٢٤: ٢١: ٥٢٠
١٨: ٢١	٢٤ ١٩: ١٧- ٤: ٢: ٢١ ٤٩: ٤٧: ٤٥- ٢٨: ٢٦ ٥٢٢: ٥٠ ٢٢- ٥١٤: ٢- ١: ٢٢ ٢٤	٤٦: ٢٧: ٢٥: ٢: ١: ٢١ ١٥٢- ٥١: ٤٨
١١٨: ٢٢	٢٠- ٥١٨: ١١: ٢٢ ٢٤	٢٢- ٢٥: ٢٢: ١١٤- ٤: ٢٢ ١٧- ٥١١: ١٠- ١: ٢٢
٢٩ ٢٢: ١٥- ٩: ٢٥	٢٠: ١٨- ١٦: ٨- ١: ٢٥	٢٢: ٢١: ١٩: ٢٥
٤٢- ٤٠: ٢٠- ١: ٢٦ ١: ١٢- ١: ٢٧	٢٩- ٢١: ٢٦ ٥١٢: ١٠- ٥٢: ٢٧ ٢٠- ٢٨: ٢٢: ١٨: ١١٤ ٢٦ ١٧: ٦: ٢٩ ١٥: ٤: ١٢- ١: ٤٠ ٢٢- ٦	١٧- ٥١٤: ١١٢- ١١: ٢٧ ٢٥- ٢١: ٢٧- ٢٢: ٢١- ١٩ ٢٨ ٢٢- ٥٧: ٥- ١: ٢٩ ٥٥: ٥٢: ٥١: ٤٠

٤٦:٤٦	٥٧-٤٧، ٤٥-١:٤٦	٢٨، ٢٨، ٢٧:٤٢
	٢٧-٢٩، ٢٦-١:٤٢	، ١٢٣-١٥، ١١-١:٤٣
	٢٢٣، ٢١٤:٤٣	٢٤-٢٤
		٤٤
	، ١٢-٥، ١٤:٢١:٤٥	، ١٤، ١٣، ٢٤، ١:٤٥
	٢٧-١٥	٢٨
٢٧-٢٥:٤٦	١٥-٢١:٤٦	٣٤-٢٨، ١:٤٦
، ٢٢٧، ١١-٧، ١٩، ٥:٤٧	١٢:٤٧	، ١٢٧، ١٣، ٢٦، ٤-١:٤٧
٢٨		٣١-٢٩
٧-٣:٤٨	٢٢-٨، ٢، ١:٤٨	٢٧-٢١:٤٩
٣٣-٢٨، ١٩:٤٩	٢٦-١٥:٥٠	١٤، ١١-١:٥٠
١٣-١٢:٥٠	المخرج	المخرج
المخرج	، ١٢٥-١٥، ١٢-١١:١	٢٢، ٢٥، ١٥-٨، ٦:١
١٤، ١٧، ٧، ٥-١:١	٢١	
٢٥-٢٣:٢	١٥-١:٣	١٢٣-١٥:٢
	، ١٥-٩، ٦، ٤:٣	٢٠-١٦، ٨، ٧، ٥، ١٤-١:٣
	٢٢، ٢١	
	٤	•
		١:٦
٣٥-٢:٦	٢٤، ٢١، ٢٥:٧	٢٩-٢٥، ١٨-١٤:٧
، ١٢٥-١٩، ١٣-١:٧		
٢٣-٢١		

<p> 10-11: 3: 8 12-8: 9 10-9: 11 18: 137, 28, 20-1: 12 01-22: 21 20: 2-1: 12 19: 18, 16: 2-1: 12 10: 11 -11, 12-2, 3-1: 12 18 11: 12 12-1: 12 20-20 12-1: 21 20-22: 21 20-20 </p>	<p> 20-20: 9 22-20: 10 2-1: 11 22-12, 22-21: 12 12-12: 12 18-2, 12-2: 12 12: 12, 12-12 22-28, 22, 22-22 22-22: 10 12-11: 12 22-12: 18 12-10: 12 18-12: 21 18: 21 12, 11-12: 22 22-10 28-1: 21 </p>	<p> 20-12, 11-2: 8 12-12, 2-1: 9 22, 28, 12-1: 10 8-2: 11 22, 20, 22, 22-21: 12 22-21: 12 12, 12-11, 10: 12 22, 20, 22, 21, 12 21-20 12-12, 20, 2: 12 120, 21-18 12-1: 18 20-20, 2-12: 12 22-20 22, 11-1: 21 22 12, 12, 12-1: 22 </p>
--	--	---

اللاويين العدد	العدد	اللاويين العدد
٢٧-٩	٣٦-٢٩:١٠	
٩-١	١٢-١٦	
٢٦:٢٥، ٢١: ١٧-٩: ١٣	٢٤-٢٢، ٢٠-١٧: ١٣	
١٣٢،	٢٣-٣٢، ٣١-٢٧	
١٠، ٧-٥، ٢: ١: ١٤	٢٥-٨، ٤-٣: ١٤	
٢٨-٣٤، ٢٩-٢٦	٤٥-٣٩، ٣٨-٣٠	
١٥		
٣٥، ٢٢: ١٦، ١١-٨: ١٦	١٥-١٢، ٧-١: ١٦	
	٣٤-٢٣	
١٩-١٧		
٢٩-٢٢، ١٣-١: ٢٠		١٤-١١: ٢٠
١٠-١١: ٢١	٣٥-٣٢، ٩-١: ٢١	٣١-٢١: ٢١
	٢٤-٢٣	
١٩-٦: ٢٥	٥-١: ٢٥	
٣١-٢٦		
٣٣ ١٩١٨-١٦: ٣٢	١٧، ٢٧، ١٥-١: ٣٢	
	٤٢-٣٤	
٣٦-٣٣		

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل التاسع

فلها وزن ومدرسته

١- ثلاث فترات فى تلوخ الطقوس

لقد أتم يوليوس فلهاوزن - زعيم جماعة الباحثين فى عصرنا - بقدرة فائقة أسلوب البحث التاريخى فبدأ بقانون التطور التدريجى الثابت والسائد فى كل المناهج التاريخية . وقد كان واضحاً له من الأساس ، بقاءه من المستحيل للحياة الاجتماعية والدينية للأمة أن تكون متجمدة وثابتة بدون تغير أى كان .

ومن المستحيل أن يكون الانطباع عن تلك التغييرات محدداً داخل قوانين الفترة المطلوب أن تكون العين يقظة والأذن صاغية . من أجل توضيح ولخص وثائق كل نص من النصوص المقدسة . وقد اختار لمجال هذا البحث بداية الحياة الدينية ونظم الطقوس ، تلك الحياة أفسحت لـ دى - فته الوصول لكشف زمن تأليف سفر التثنية ، ومن هذا المجال نفسه وضع فلهاوزن ثقته فى أن يستنتج أموراً بشأن التطور الأدبى للجماعة .

أى الأماكن عبد فيه بنو إسرائيل يهوه بناءً على شواهد النصوص المقدسة ؟ . إن الروايات المتوافرة معنا منذ عصر القضاة وعصر صموئيل لا تحدد لنا مطلقاً موضعاً محدداً معترفاً به ، بل فقط هناك العبادة المطلقة . وعلى العكس ، ليس هناك مدينة كبرى فى فلسطين إلا ربهما منبع قائم . وقد قرب بنو إسرائيل القرايين ليهوه فى : الجبال وشيلوه وعفرة والرامة والثوب وبيت إيل كما كانت العبادة مباحة خارج المدن الكبرى ، عندما يحين الأمر . يحدث فى أى موضع وأى وقت . ولما انتهت الحرب مع الفلسطينيين وتعبد الشعب بعد أن ضرب "من مخماس إلى إيلون" وقال شاول "لخرجوا إلى الآن حجراً كبيراً .. تقدموا إلى كل واحد ثوره وكل واحد شاته واذبحوا هاهنا واكلوا .. يبنى شاول منبجاً ليهوه " (صموئيل الأول ١٤ : ٢٣-٢٥) .

وحقاً لم تكن كل المرتفعات متمساوية فى قيمتها ، فالأكثر قدماً والموجودة فى المدن الكبرى المأهولة بأعداد كبيرة من السكان هى الأكثر شهرة ، غير أن العبادة لم تكن مرتبطة بموضع ما . إن توقف المكان المرتفع من أن يستخدم كمركز وانتقلت العبادة إلى مكان مرتفع آخر . فإن تغيير المكان لا يؤثر مطلقاً على الحياة الدينية ، ولم تتغير نظم العبادة على هذا الأساس فهاهى شيلوه قد استمرت بدرجة عالية ، واشتهر كاهن شيلوه فى البلاد واندفع الشعب إليها . غير أنه عندما سقطت شيلوه ، انتقل كاهنها إلى ثوب ولم يمس ذلك مطلقاً جوهر الديانة . فتغيير المكان لم يؤد إلى إثارة روحانية أى كانت . فعبادة يهوه كانت مطلقة وكل الأرض موضعها ، ومطبقاً لرأى النص

المقدس لم تكن عبادة إسرائيل في الأماكن المرتفعة قسداً ، ولا توجد أية إشارة لوجود قانون يحدد عبادة يهوه في أى موضع كان حتى أن صاحب الرواية في سفر الملوك الأول لم يعتبر مطلقاً عبادة الأماكن المرتفعة إثماً وعلى العكس من ذلك ييرر بإسهاب الحكم ويوضح : "إلا أن الشعب كانوا يتنجسون في المرتفعات لأنه لم يكن بيت لاسم يهوه إلى تلك الأيام" (الملوك الأول ٣: ٢) ويعنى ذلك أنه بعد أن بنى الهيكل في عصر سليمان تركوا المرتفعات الموجودة في أنحاء المملكة وصعدوا إلى أورشليم، غير أنه قبل ذلك لم يكن هناك قانون معروف بتحديد العبادة في مكان واحد .

وبالفعل قد تركزت الملكية والحياة السياسية في أورشليم، ولذلك تدفق الجمهور إلى هذا الهيكل، إلى بيت يهوه المبارك ، إلا أن العبادة في الأماكن المرتفعة لم تتوقف أيضاً . فالشعب نجح ذبائحه في مدن بئر سبع والجلجال وبيت إيل ودان وشكيم والسامرة وفنوتيل والمصفاة، وذلك علانية ويترخيص حتى بعد أن شيد "بيت يهوه" في أورشليم ، ولم يحرم أحد من غيورى يهوه الحرب على ذلك بما في ذلك إيلياهو واليشع . وعلى العكس من ذلك، فإن إيلياهو بنى مذبحاً ليهوه على جبل الكرمل (الملوك الأول ١٨: ٣٢) . وذبح إليشع زوج بقر في الحقل حينما كان يحرق (١٩: ٢١) . وإذا كان إيلياهو واليشع قد قربا قربابين في أى موضع ، فإن هذا يعنى أن القانون الذى يحرم تلك القربابين - أو أن هذا القانون له ضرورة أخلاقية تعارضه ذلك - لم يكن قد نشأ بعد في بنى إسرائيل في تلك العصور.

غير أنه قد سادت الظلمة سماء السامرة ، فانتفع العدو من آشور ووقع فزعه من بعيد وظهر داخل بنى إسرائيل الأنبياء الكبار، وبدأت معهم فترة جديدة في تاريخ الديانة . وكان الشعب لا يزال يتوجه إلى بيت إيل ويأتى إلى الجلجال وينتقل إلى بئر سبع، غير أن الأنبياء سخرُوا من هذا العار وعبروا عن ذلك للشعب وتنبأوا شرا لكل المدن التى تبدو في نظر الشعب مقدسة ومرغوبة ليهوه . لكن من الخطأ تصور أن قصد كلام الأنبياء كان ضد المرتفعات ذاتها . فلم يشنوا حرباً ضد العبادة أو على الرؤية المألوفة بشأن العبادة . فالشعب يعتقد في براعة ويمصعداته وتقدماته وكثرة أناسيده وغناه قبيثاً .هـ . وينجز واجباته لإلهه . ولذلك هدأ في صهيون وأمن في جبل السامرة ، وتلك هي الرؤية التى وجه النبي ضدها سهامه اللاذعة ويعلن باسم يهوه ذاته لارتباك قلب الشعب، لأنى "بفضت كرهت أعيانكم واست ألتذ باعتكافانكم" ، وواحدة هي إذا عيستم أعيانكم سواء في الجلجال أو في أورشليم، فالخطيئة ليست مرتبطة بالمكان

بل فى نظام العبادة ، فالرب لا يطلب من شعبه "محرقات وتقدمات" ولكن يطلب منه "ليجر الحق كالنياه والبر كتهنر دائنم" (عاموس ٥ : ٢١-٢٤) . ولم يتخل الشعب بعد أن سمع كلام أنبيائه عن طريقه ، واستمر فى تقرب قربائه وعيد أعباده فى الأماكن المحببة إليه منذ القدم.

وسقطت السامرة وأبيدت المرتفعات المقدسة المنتشرة فى مدن إسرائيل ، وتحدثت حياة الجماعة فى يهوذا الصغيرة . ولم تستطع فعلاً فى هذه المنطقة من الأرض أن تتألف المرتفعات الصغيرة "هيكل يهوه" المبجل والمحترم فى أورشليم العاصمة . ولذلك فضل الشعب أورشليم على بقية المدن ، غير أنه حتى ذلك الوقت لم تتوقف العبادة كلية فى المرتفعات . ولم ينكر إشعيا مطلقاً أن عبادة الإله فى أورشليم فقط وأن العبادة فى بقية المدن ممنوعة . وكان تشير الأنبياء قليلا .

ولم يمنح الشعب قوة لأن يبطل نهائيا العبادة القائمة، غير أن أقوال الأنبياء قد أبطلت بشكل ما من الأشكال، وهذا أيضاً لم يكن ممكناً . وكانت النتيجة الوحيدة والمباشرة لهذه المواجهة الدائمة تكمن فى الإصلاح، هذا يعنى تجديد طرق العبادة وإصلاح ترميم الهيكل ولكن يظهر أمر هذا الإصلاح إلى الوجود . وتقدم له الأسس، كان من الضروري قبل أى شئ ترك المقدسات فى كل المملكة، والتي وجدت لها حصناً سهلاً من قبل قادة الأمم الأجنبية المجاورة . وذلك بهدف تنظيم وتركيز العبادة فى مدينة مركزية واحدة .

ويظهر من ذلك ، أن مثل هذه المدينة لم تكن حبيرون أو بيت إيل أو بيت شمش، التي كانت تمثل الأماكن المقدسة فى يهوذا، بل أورشليم العاصمة، المدينة التي استقر فيها داود ، وبنى فيها سليمان هيكل يهوه المتألق فى روعة . وهكذا حدث الإصلاح الكبير فى عصر يوشياهو (تقريباً عام ٦٢٢ ق م) . أى زمن إعلان القانون الذى يمنح العبادة خارج أسوار الهيكل فى أورشليم.

ولكن ما مدى قوة "المرتفعات العالية" و"الأشجار المزدهرة" . "فحتى قبل موت يوشياهو كانت لا تزال هذه المرتفعات تظهر مرة ثانية ومعلمو الشعب يعلمون بشأن القانون الذى يمنح العبادة خارج أورشليم ويحذرون الشعب من ذلك، غير أن الشعب لم يستطع التخلّى عن طريقه المقدسة فى نظره منذ القدم . ويوقف إرميا النبى مرة ثانية ويعلن : "لأنه على عدد مدنك صارت ألتهك يا يهوذا (إرميا ٢٨: ٢٨، ١١: ١٣) .

وعلى كل حال ترك الشعب فى النهاية تلك الأماكن المحببة إليه كنتيجة لتركه الأرض كلها .

وحدث سبى يهوذا إلى بابل، وولد جيل جديد فى الغربة، وقد كان بعيداً بالفعل عن العادات الثابتة لجيل السبى وومرور اليوبيل الذهبى (بمرور خمسين سنة)، أعطيت هذه الجماعة الصغيرة الفرصة لترك السبى والعودة إلى فلسطين . وكانت تتجه جميعها نحو اورشليم . فبدأوا ببناء الهيكل، ولم يخطر على بال أحد فكرة البحث عن الأماكن المقدسة فى بئر سبع وبيت إيل وصارت وصية بيت واحد ويهو واحد ، هى القضية المفهومة من ذلك الحين ، التى وضعت الأساس للرؤية الروحانية والتاريخية لهذا الجيل.

تلك هى الفترات الثلاث التى أحصاها فلهاوزن لتاريخ الديانة فى إسرائيل فى عصر العهد القديم . والحدثان اللذان يفصلان بين تلك الفترات الثلاث هما : ظهور الأنبياء الكبار والسبى البابلي . ولم تنشأ مطلقاً فى جماعة بنى إسرائيل وحتى ظهور الأنبياء الفكرة بشأن تركز العبادة فى مكان واحد ، وكانت كل البلاد موضعاً لها . ويتأثر من الأنبياء ظهر الطلب لتركيز العبادة فى اورشليم، غير أن عامة الشعب لم يستطع الانتصار على سلوكياته الثابتة . واستمر يذبح فى الأماكن المرتفعة خارج اورشليم، رغم حصره الأنبياء وزعماء بنى إسرائيل . وبعد العودة من بابل، أى زمن الهيكل الثانى ، لم توجد الأماكن المرتفعة مطلقاً، وعبد كل الشعب إلهه فى اورشليم، فى هيكل بيت يهو، كما لو لم تكن الأماكن المرتفعة قائمة منذ الأزل.

٢ - تاريخ القوانين : سفر العهد . سفر التثنية . تورا الكهنة

من وجهة النظر السابقة توجه بعد ذلك فلهاوزن لفحص الأسفار القانونية الموجودة فى التورا، كما رتب جراف عصورهم وفى ضوء الأسس التى قامت بشأن عصور تطور الديانة، ظهر له أيضاً طبقات أدبية ثلاث هذه المجالات، طبقة طبقة لكل فترة فى تاريخ الديانة.

وأكثر أسفار القوانين قديماً "سفر العهد" الموجود فى المصدر اليهودي، الذى يقول "مذبحة من تراب تصنع لى وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك .. فى كل الأماكن التى فيها اصنع لاسمى ذكرأ أتى إليك وأباركك" (الخروج ٢٠ : ٢١) فالنص لا يقصد هنا مذبح فى ممكن، لأن هذا المذبح كان مصنوعاً من "خشب السنط"

(١:٢٧)، كما أن النص لا يتحدث أيضاً عن الهيكل في اورشليم بحيث كانت هناك دوجات، ويقال صراحة "في كل الأماكن" : إن وجدت تل تراب فيكون هذا لك مذبحاً ، تقرب هناك ذبائحك ومحرقاتك ، مذبح يوجد ليلة ويباد ليلة.

وتتأصب هذا القانون الروايات بشأن الآباء الموجودة في المصدر اليهودي والمصدر الألوهيمي غابراهم بني مذبحاً في شكيم وفي حبرون، ويبنى إسحاق مذبحه في بئر سبع ، وأقام يعقوب نصباً حجراً في بيت إيل، لأنه كان من الممكن عبادة يهوه في أي موضع والفكرة بشأن تركيز العبادة في مكان واحد لم تكن قد ظهرت بعد. الكل - كما رأينا - في نظم الحياة في زمن الفترة الأولى السابقة لظهور الأنبياء.

غير أن الأوامر في سفر التثنية مختلفة كلية. خالقوانين بشأن نظم العبادة ليهوه تبدأ هنا بقضية المكان، كما لو كانت هذه القضية هي القضية المهمة القائمة في مركز عالم الطقوس في ذلك العصر. خالقانون يكرر ويعيد ثم يقرر بشدة على الأماكن المقدسة التي عبد فيها الشعب إلهه بعيداً عن "المكان الذي يختار يهوه إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه" : احتز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه بل في المكان... (التثنية ١٢: ٤-١٤) .

ويبين تلك التحذيرات والتحريمات نسمع بتفصيل الكلمات "لا تعملوا كل حسب ما نحن عاملون هنا اليوم" . (٨:١٢) غلّت ترى الشعب وهو بعيد في الأماكن المرتفعة ويقترب قرايبه "على الجبال المرتفعة وعلى الجبعة وتحت كل شجرة مزدهرة" ، كما عمل أبائهم وأباء آبائهم منذ القدم ، وطبقاً للقانون المسلم به لدى الجماعة . وفي مقابل ذلك يشور ويحارب المشرع الذي جاء لإبادة الثابت ويقتلع الطرق المتبعة ويغير وجه العصر وكان العصر عصر يوشياهو وهذا القانون هو من شار الأنبياء وجاء لتجديد الإصلاح الكبير جنوياً ، ويوجهها توجيهاً جديداً داخل الحياة البيئية للامة . وتختلف وجهة نظر الطقوس السائدة في المصدر الثالث، أي تورا الكهنة عن تلك الرؤية في المصدرين اليهودي والنشوى سورياً .

فتورا الكهنة لا تأمر بتمركز العبادة كما أنها لا تذكر شيئاً بشأن العبادة في الأماكن المرتفعة خارج الهيكل الرئيسي ، كما لو كان ذلك غير قائم منذ الأزل ، ولا توجد ضرورة للحكم عليهما . فتورا الكهنة ترى جماعة بني إسرائيل تتجول في الصحراء وتنتقل الخيمة أثناء المسيرة "لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهارة" وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم

(الخروج ٢٨: ٤٠) ، وكان الرجل عندما يقرب قربانه ليهوه فيأتي به أمام منخل خيمة الاجتماع . وأمام خيمة الاجتماع تجتمع كل الجماعة ، وهناك يتكهن الكاهن الأكبر ، وهناك يجتمع يهوه مع موسى بهذا الهدف الذي يصبر إليه مشرع تورااة الكهنة موجود هنا بالفعل بمثابة وضع قديم جصقة أمر قومي منذ ذلك الوقت ، ومن قبل ذلك ، ولا توجد ضرورة للدفاع مطلقاً ، ونهاية العمل في العقيدة بدايتها ، ففي البداية كان الطموح إلى هذه المركزية ، وبعد ذلك بمثابة نتيجة لها فحدثت المركزية وصارت حقيقة واقعية وسلوكاً مطبقاً ، حتى أنه محا من قلب تابعيه أى ذكر لطرق العبادة الأخرى ، باستثناء أسوار البيت المقدس والمسلم به لذلك يرى فلهاوزن أن تورااة الكهنة مصدر متأخر عن مصدر التشية ويسمع فيها صدى صوت الفترة الثالثة فى تاريخ الطقوس ، أى فترة العودة والهيكل الثانى .

وهذه الفترات الثلاث الأساسية التى كشفها فلهاوزن فى تاريخ تطور رؤية مكان العبادة ، كشفت أيضاً بقية القضايا المرتبطة بالحياة الدينية ، وعلى غرار هذه الفترات فى الحياة الدينية ، يظهر أيضاً فى أدب القوانين ويعبر فلهاوزن بحسه التاريخى عن القرايين والأعياد والكهانة وعبية الكهانة ، ويكشف لنا تطور كل واحد من هذه الأفكار الدينية ويبرز فيها التجديدات التى طرأت فى تطورها بواسطة الأنبياء الكبار فى نهاية تاريخ السامرة ، وبواسطة السبى البابلي ويبرز خلال هذه الأرضية للحياة الدينية المتغيرة وجود ثلاث طبقات لإعطاء القوانين أقدمها (سفر العهد) والذى فى جوهره طبقاً لراى فلهاوزن يمثل مجموع السلوك فى الحياة وكان معترفاً به ومنتشراً شقوياً ، وهو ثمار نتاج بنى إسرائيل القديم ، الذى لم يسمع فيه بعد أقوال غضب الأنبياء الكبار ولم يعرف المطالب الأخلاقية التى نشأت قبله .

أما الطبقة الثانية (مجموعة القوانين فى سفر التشية) فهى أول مجموعة قوانين قضائية لجماعة بنى إسرائيل ، وفكرتها ونشأتها كانت فى يهوذا زمن سقوط السامرة ويعددها بتأثير من أقوال الأنبياء عندما اتجهوا لتجديد وجه الجماعة وإصلاح مجتمع بنى إسرائيل على أساس مطالب يهوه إله العدل .

أما قمة أدب الأسفار الخمسة فيمثل الطبقة القانونية الثالثة ، فتلك القوانين والأحكام التى سردت كروايات تاريخية زمن الهيكل الثانى مع عودة الذين سبوا إلى بابل لتأسيس المملكة على الأسس القديمة للهيكل الأول . فمنعنا تقلقل الذين سبوا فى عصر عزرا داخل ظلمة الماضي ، وعندما حاولوا أن ينتجوا لأنفسهم صورة من الحياة

الدينية والطقوس في العصور القديمة، ظهرت لهم مظاهر صور حياتهم هم تمثل بيت يهوه القائم شامخاً في جبل يهوه في أورشليم، وجماعة الكهنة المستمرة للخدمة في الهيكل وكانوا هم أنفسهم زعماء الجماعة ومعلميها، فالخوف على قداسة الهيكل والكهنة والذي كان سائداً وسط تلك الجماعة الجديدة التي تسالت للعودة إلى أورشليم، أظهر بزورغ نور تنظيمات تلك الحياة وتسلسل في أعماق الأعماق عبر طبقات الأجيال إلى الماضي البعيد. جازت منذ ذلك الحين على الأحداث التاريخية القديمة، فانبثق لهم الهيكل وخيمة الاجتماع و "جماعة الجمهور"، وكل ذلك على أساس صيغة الهيكل الثاني.

أما الطبقة القانونية الأولى - سفر العهد - فقد أدخلت داخل المصدرين اليهودي واللاهومي حيث إن اسم الألوهية مختلف فيهما، وأنها قريبان في الزمن والهدف، وأدخلت الثانية داخل سفر التثنية والثالثة داخل تورا الكهنة، وذلك بعد أن جمعت وامتزجت سوياً مع القسم الروائي لكل مصدر من المصادر.

وهكذا لاحظ فلهاوزن أسفار العهد القديم من وجهة نظر تطور حياة جماعة بني إسرائيل وثقافتهم، وتشعبت تدريجياً بمرور العصور، وأسفار التورا الخمسة الأولى في ترتيب أسفار العهد القديم تبحث العصور الأولى للأمة، ثم تأجل تأليفها للوقت المناسب في العصور المتأخرة التي لم تذكرهم الأسفار الخمسة، ووضعت القاعدة: "إن أساس مسيرة التاريخ القديم التي تروى عنها الأسفار الخمسة لا تعتمد إلا على دعم الأسفار الخمسة" (المقدمة الطبعة الخامسة - ص ٤).

٣ - مدرسة فلهاوزن

وأُسست نظرية جراف - فلهاوزن - جيلاً كاملاً من الباحثين والمؤسسين، الذين اجتمعوا لتأييدها ومتابعتها وتوسيعها، وتطويرها، فالذين جاؤا بعدهما نشروا بقوتهم؛ وبقوة قوتهم فصلوا علم العهد القديم لموضوعات بحث متنوعة، وسار كل واحد منهم وارتفع إلى درجة نظرية علمية مميزة قائمة بذاتها، فلهاولندي أبراهام كوين الذي كان مشاركاً في نتاج جراف - فلهاوزن في إدراك تورا الكهنة، تصب نفسه داخل السلسلة الأولى لمعارضة المدرسة الجيدة، وبقدرة فائقة وبوضوح عقلى صقل أدوات بحث العهد القديم وميز بين الشك واليقين، وطور أسلوب النقد ورفعته إلى درجة نظرية عامة لها أساليب ثابتة ومبادئ أساسية.

وكما كان كوين بالنسبة للهولنديين وقلهاوزن بالنسبة للألمان ، كان ويليام روبرتسون سميت بالنسبة للإنجليز ، فقد حارب معرضاً نفسه للخطر ضد قدسية قاعدة التطور الحديث في تاريخ الديانة ومحاضراته الـعشرة عن تاريخ الكتابات المقدسة أثارت ثورة روحانية بين باحثي الكنيسة في إنجلترا فهو في كتابه "ديانة الساميين" - ويعدّه روبرتسون سميت وقبلهما توهم في بحثه عن الأنبياء - يعتبرون من أوائل أعضاء تلك المدرسة الذين وضعوا حجر الأساس لتاريخ ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم.

وقد وضع كل من الباحث الإنجليزي شموئيل رولس ورايفر والباحث الهولندي ج. فليد بورر، وهما من مدرسة قلهاوزن الأساس لتاريخ أدب العهد القديم كنظرية علمية قائمة بذاتها .وأما برنهارد شتاده وهرمان جوته فقد توجها لتأسيس صورة تاريخية لبني إسرائيل في عصر العهد القديم، طبقاً لأسلوب جراف - قلهاوزن.

وبلا شك لم يعتق كل باحثي العهد القديم العلميين في ذلك العصر هذه النظرية فظهر خمسة معارضون لها وهم تروهم، شتراك ، ويلمان وآخرون . كما لم يقبل كيتل وكونج كل أقوالها، وأصدر كلوتسمرمان حولها شكوكاً وتزايدت الخلافات فالكتور هوغمان خرج ليقوض افتراضاتها الأساسية، غير أن آراء العديد منهم كانت موجّهة ضد تفاصيل الأحداث، والبعض اعترف لها بالفضل، بعد أن أدخلوا عليها تعديلاتهم، وتم قبول هذه النظرية كمساعدة في عناصرها الأساسية المحددة لأقسام التوراة ونظم تأليفها، وهي التي سادت في عالم العهد القديم منذ الثمانينيات وما بعدها.

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل العاشر

تأثير الحفريات

١ - مدرسة قلهاوزن وقضية بداية التاريخ

استمر قلهاوزن وتلاميذه في كشف معالم تطور جماعة بني إسرائيل خلال عصرها الأدبي، وبخاصة مع اكتشاف لفائف النقوش وأقوال السجلات، وتم التعرف من خلال الكتابات عن كل جيل، وتحديد الأسس الحقيقية الواقعية للعصر نفسه، وهكذا اختفى لديهم الخيال الذي حدد موقفهم للعصور الأولى السابقة على الكتابات الموجودة لدينا غتلك الفترة "السابقة على الأدب" اختفت من رؤاهم وأصبحت كما لو لم تكن وأشار بـ شتاده - تلميذ قلهاوزن المتميز - الذي ظهر في أعقاب معلمه، وعلى أساس نظريته لإزاحة قناع تاريخ جماعة بني إسرائيل - إلى قاعدة: أن تاريخ الشعب يبدأ في نفس اللحظة التي بدأ فيها الشعب نفسه يصنع التاريخ، ويقول: إن تاريخ الجماعة العبرية يبدأ من يوم تملك ملك في إسرائيل ويرى أن أسباط بني إسرائيل استقروا في أرض كنعان بدون أي رابطة بينهم وبين المشاركة في الثقافة، ويختلفون عن بقية شعوب بني عابر الذين تجولوا حولهم، وعلى هذا الأساس فقد استوعبوا داخل أرض كنعان وداخل ثقافة تلك الأرض المفعولة بالسكان وأمنوا بيهوه إلههم ولم يرتبط سبط بسبط آخر، كما أن بيوت الأباء داخل كل سبط ليست منمنجة معاً سوى للضرورة المؤقتة فحسب ولم تنتظمهم ماسورا واحدة، ولم يكن في فكرهم ذكريات لمصير واحد، ولم يتواجدوا في مصر، ولم يقفوا على جبل سيناء بل قدموا من عبر الأردن وتوغلوا في كنعان وكان إتمام احتلال كنعان أحد الأسباب الرئيسية لاتحادهم. وعندما عرقل جيرانهم تقدمهم، اضطرت أسباط بني إسرائيل إلى الانتقال من الدفاع إلى الصراع، وقالوا: تنتصب علينا ملكاً يخرج على جيوشنا، وقضية الملك هذه، هي التي قلبت هذه الأسباط المبعثرة إلى مملكة وشعب ويرد إلينا صدى قديم لأول محاولة لتوحيد بعض الأسباط في أسماء باراك ودبوراً بشأن إرث فيشون، وتحكي أنشودة دبوراً عن هذا الحدث الأول في تاريخ بني إسرائيل والتي تمثل أقدم وثيقة للإسرائيليين.

وخرج لمساعدة يهوه ضد الجبابرة سبعة أسباط فقط من أسباط إسرائيل، حتى إن هذه الأسباط تشنت مرة ثانية مع انتهاء الحرب غلم نتجج التجربة بحيث كانت الزرية قبل الجمل (الناقة قبل الجمل)، وخرجت المحاولة الثانية من بيت منسي، ففي عصر يريغال من عفرة رفعت الراية من جديد ضد جنود مدين، ويموت ابنه أنزلت مرة ثانية. ويعد الإصحاح التاسع من سفر القضاة وثيقة قديمة وحقيقية لصدى هذه

الحادثة. وبرزت للمرة الثالثة حركة ملك من بيت بنيامين ، وذلك زمن تغفل أسباط عمون لجلعاد ، وزاد الفلسطينيون من ظلمهم وهذه الحرب الضارية ضد ظلم الفلسطينيين هي التي أصعدت كرمى مملكة شازول ، وهي التي أجبرت الأسباط على الوحدة وتكوين شعب . من هنا بدأ تاريخ إسرائيل . وقبل ذلك لم يكن لها موضع ؛ لأنه قبل عصر كنعان لم يكن ذلك في فكر أى شخص . وهذا التأخير المبالغ فيه لبداية التاريخ العبرى هو الذى أدى إلى مهاجمة النظرية وكشف عيوب عديدة فيها .

٢ - المحفريات فى مصر وبابل

وفى غضون ذلك ظهرت فجوة كاملة بسبب إهمال تلك الكنوز حيث انتقل البحث إلى مجال كليات اللاموت التى تضامل داخلها علم العهد القديم . غير أن مجال المعارف التاريخية اتسع وتقدم . فقد كشفت المحفريات ونتائجها فى بلاد المشرق أمامنا فترات تاريخية قديمة لم تكن متصورة من قبل . وما قد اعتبرناه إرثاً للأسطورة اكتمل مضموناً حيويًا وواقعيًا بوجود وثائق تلك العصور التى أدت إلى فهم جديد لبداية تاريخ بنى إسرائيل .

فقد بدأت فى مصر الأبحاث الأثرية زمن انتصار نابليون الذى جلب معه مجموعة من الباحثين والأثريين . ومع نهاية الربع الثانى من القرن التاسع عشر تم بحث وفحص معابد وقبور قدماء المصريين بزعماء شامبليون وروزليني . ولم تتوقف الحكومة الفرنسية خلال خمسين سنة . وبعد ذلك الحكومة الألمانية . مع الدعم السخى للباحثين الذين وصلوا إلى مصر ونقبوا حقول الماضى فتأسست الجمعية الإنجليزية للمصريات عام (١٨٨٣) وانضم إليها الأمريكيون . وفى عصر واحد تزايدت آثار الماضى القديم وتم الكشف عن الأشياء المطمورة التى ألقت ضوماً جديداً على قديم أرض مصر وتاريخها وديانتها وتأثيرها .

وفى ذلك العصر ظهرت أيضاً اكتشافات البحث التاريخى لبابل وأشور . وفى البداية تركّز اهتمام الباحثين حول هيكل نينوى واكتشف هناك يارد وزملاؤه المكتبة المسمارية للملك آشور نينبال التى تضمنت ثلاثين ألف لوح صلصال . وفى نفس الفترة تعمق باحثون فرنسيون وإنجليز وفى مقدمتهم الإنجليزي رولينسون وبعثته فى جنوب بابل والنين كشفوا قديم أورك ووجدت قوائم سندات بالآلاف فى هيكل الشمس وخرائب الجنوب ، ونشر الفرنسيون من بين خرائب لاجاش بقايا معابد وقصور .

وقد صار فك غموض كتون تلك الكتابات المسماة فرعاً علمياً جديداً ، احتشد حوله جماعة من الباحثين البارزين وينتس القدر الذى تعمق فيه هؤلاء الباحثون للتطفل داخل النصوص القديمة ، فتطورت معرفتنا تطوراً كبيراً واستمر تقدم معرفتنا للحياة السياسية والدينية للشعب والفرد فى بابل القديمة ، وتاريخ قوانينها وعقائدها ونتائجها ، وتقدم عقائدها ونظم حياتها ، وطرق تأثيرها على الشعوب المجاورة لآلاف السنين قبل الميلاد .

٣ - شيردر

وهكذا حان الوقت لباحثى العهد القديم "إطلاق المنجل لحصاد القمح" ، أى مقارنة نتائج هذه الأبحاث بأقوال العهد القديم وفحصها سوياً . وكان إيرهارد شيردر أول من صاغ مهمة باحث العهد القديم ، وهو أيضاً الذى توجه لإتمامها . فمع الأسفار الأربعة والعشرين التى فى حوزته راجع نتائج العناوين الخاصة بهياكل كلج ونيوى ومدينة سرجون ، وخرائب بابل ومقابر أورك . ومن خلال الكتابات المسماة التى على ألواح الطين والصلصال استخرج كل الأقوال الموازية لأقوال التوراة وجمعها سوياً . وقابل هذه السطور بفقرات من التوراة . وذلك على أساس من ترتيب العهد القديم .

وكان شيردر لا يزال حذراً فى بحثه بفترة فائقة ، وقبل أن يسأل من أقدم من من؟ وكيف أخذ هذا من ذلك؟ وماذا عدل الذى أخذ؟ فلم تكن مهمته سوى إقامة جسور بين فرعى البحث القريبين هذا من ذاك على أساس مادة بحثهما ، والذين لم يرتبطا هذا بذاك حتى عصره . وسلك شيردر كل السبل وأحصى كل العلاقات بين الكتابات المسماة وأقوال العهد القديم ، وأصدر كتاباً ضخماً أثار غضباً فى حينه . وابتدأ من خلق الكون ، والإنسان ، وقصة جنة عدن بكل تفاصيلها (الأنهار الأربعة ، الحية والكروبيم ، والحنين للطوفان) . والمدمش فى موازنته تلك الأسطورة البابلية التى وجدها جورج سميث فى خرائب نينوى القديمة (١٨٧٣) وتحتوى على اثنى عشر لوح صلصال ، وقصة البرج الذى يشير له قسم بناء البرج ذى سبعة أذرع والذى كشفه روليتسون (١٨٥٢) حتى أسماء الشعوب والمدن فى قائمة بنى نوح (جوسر ، مداى ، يوان ، تيبال ، ماشك ، ككيم كوش ، مصرام ، بابل ، أورك ، أكد ، كلنه ، رصين ، كلج ، نينوى ، صيدون ، عرقى ، أرودى ، صمرى ، حمى ، غزه ، عيلام ، وآرام) وأسماء الأبطال المتعدين فى روايات العهد القديم (أريوك ملك الأسار ، كبر لعومر ، فرعون ، يوز ، حزن ، هدد ، لوط) وأسماء الأنهار والجبال (النيل ، نهر مصرام ، سنير ، سريون) ، وكذلك الأحداث

التاريخية لعصر الملوك كما يسرد العهد القديم نفسه عن المصادعات مع بابل وأشور، وتشمل الكتابات المسمارية مادة موازية كاملة، بعضها يناسب كل تفاصيل الرواية وبعضها يضيف ويعدل (ياهو بن نعشى، أحاب، حرب حزئيل، عزريا ملك يهودا، مناحم ملك إسرائيل دخول فول إلى فلسطين، سوا ملك مصر) وتنتهى بتفصيل كبير لسلسلة أحداث سفر الملوك الثانى عن تجلات بلاسر، سنحريب، ملوك بيلادن بن بيلادن ونبوخذنصر ملك بابل.

كما وجدت أيضاً صور موازية وتفاصيل مشابهة فى الكتابات المسمارية لتفاصيل متنوعة لتاريخ ثقافة بنى إسرائيل زمن العهد القديم (نقوش صلصال لصورة القسم تشبه أقوال النص "ضع يدك أسفل الخصل (التكوين ٢٤: ٢)، ألقاب الأبطال وتقديس الأعمدة بالقرب من الهيكل مثل ياكين ويوعز، التى هى أسماء أعمدة رواق الهيكل (الملوك الأول ٧: ٢١) وروية مصر بمثابة أرض الفرسان المختارة (التثنية ١٧: ١٥)، كما وجدت كلمات مشتركة بكثرة فى اللغة العبرية والكتابات المسمارية، والمتشابهة على أساس جنورها، وكذلك جمل مشابهة وطرق أسلوبية وتعبيرات مشابهة، وتشهد مئات الشواهد بوجود قرابة بين تلك الشعوب والثقافات وعلى أى حال لا يمكن لأسلوب بحث الكتابات المقدسة والكتابات المسمارية أن تكون فيها هذه غريبة عن تلك أو تكون هذه عالة على تلك.

ولم يقصد هيردر أكثر من ذلك، فكان يعرف بلا شك أن "البحث النظرى والشامل لهذه القضايا يعتبر مفضلاً جداً" غير أنه اكتفى آنذاك بما يعطى الثقة للبناء عليه، وبذلك قام بواجبه مخلصاً منبهاً باحثى العهد القديم - من مبدأ السلامة - بضرورة ربط بحث العهد القديم بالاتجاه الجديد والقريب، وبناءً على ذلك سهل أمام بحث العهد القديم الفحص الدائم للمصادر وأجزاء المصادر داخل العهد القديم وفتح أفقاً جديدة.

وبدا التشكيك فى صحة النظرية التى تؤخر بداية تكوين النجاج العبرى، ومع تطور نظرية المقارنات، زال القناع الذى ساد فى الفترة السابقة، وشيئاً فشيئاً اندثرت هذه الفرضية، وبرز الشك فى قيامها مدعوماً من قبل قلهاوزن ومدرسته، بل من المؤكد أنها لم تنشأ، كما ابتعدت عن آراء شتاده، فأشارت تلك البراهين الأثرية إلى حياة جماعة بنى إسرائيل وثقافتهم خلال مئات السنين قبل أن يملك "ملك فى إسرائيل".

٤ - حفائر تل العمارنة

وينفك القدر الذي استمرت فيه الحفريات ونجحت ، واستخرج من باطن الأرض مقامات كثيرة، استمر البحث في التاريخ العبري واحتل مكانة مهمة .

وفي عام (١٨٨٧) حدث أول انتصار في مجال الحفريات في مصر رسخ أيضاً الحقيقة في بحث التاريخ العبري القديم، حيث تم الكشف في تل العمارنة عن أرشيف أمينوليس الثالث والرابع الذي يعود إلى القرن ١٤ ق.م، وفي هذا الأرشيف توجد ألواح صلصال عديدة مكتوبة بالآشورية ، ومن بينها رسائل متبادلة بين ملوك بابل وأشور وبين ملك مصر، وكذلك رسائل أرسلت من حكام فلسطين لحاكمهم في مصر. وفي بعض هذه الرسائل يروي حاكم أورشليم - عبد حيبه - عن أسباط سام المتجولة، المعروفة باسم "الخبيرو" والمهاجرين من الصحراء إلى كنعان، ويناشده حاكمه الحضور لمساعدة رعاياه المهزومين.

وفي عام (١٨٩٦) كشف بترى رسالة أخرى في خرائب هيكل الموت لمرنبتاح في نواصير ، وتعود هذه الرسالة إلى عام (١٢٢٠ ق.م) وينشد في هذه الرسالة أنشودة نصر لمرنبتاح ملك مصر على الانتصارات التي انتصرها في بلاد مختلفة، ويحصى من بين تلك الشعوب المحتلة أيضاً إسرائيل سويًا مع عسقلان وجازر (إسرائيل هجر - ليس له نسل)، مما يؤكد أنه كان آنذاك يوجد بالفعل في الأرض جوهر لجماعة خاصة اسمها جماعة بني إسرائيل.

وبما أن علماء العهد القديم اعتادوا الانتباه لانتصارات علماء الاستشراق وفحصوا حقائهم على أساس من اكتشافاتهم ، فلم يكتفوا مرة ثانية بتجميع الأحجار فحسب بل أثبتوا أنه توجد بالفعل أدلة لأقوال التوراة في الكتابات المسمارية، فما حكم ما الجانب هذا التشابه؟ ما هو الجانب المتشابه فيها؟ وكيف حدث؟ وعلى ماذا يشير؟ وإذا كانت هناك بالفعل حياة لبني إسرائيل في فلسطين القديمة، فما مضمون تلك الحياة؟ وأين آثارها؟

٥ - جونكل

لقد وضع شيردر الطريق وتقدم به جونكل إلى الامام مزوداً بكل وسائل النقد. فرأى جونكل في قصة الخلق (سفر التكوين ١) لم يسلم مطلقاً برأى فلهاوزن الذي اعتبر القصة مجرد نتاج إنشائي بسيط وحر لمؤلف المصدر الكهنوتي ، أما جونكل فقد

بحث هذه القصة ويبرهن على أن هذا القسم بكل صورته الحسابية والمعدنية يشعل خرافة قديمة ليس مصدرها بنى إسرائيل، وعندما وازن المادة الأسطورية في قصة الخلق مع أسطورة الخلق البابلية، كما هي محفوظة في أقوال الكتاب اليونانيين ولمى النسخة القديمة على خرائب هيكل آشور بنيبال، اتضح له أين ظهرت وازدهرت هذه الخرافة، ولكي يقف على العلاقة بين وصف قصتي الخلق البابلية والعبرية البعيتين هذه عن تلك والموازيتين هذه لتلك، لم يكتف بمقارنة القصتين فحسب بل قارن كل أقوال أدب العهد القديم سواء الموجود داخل أسفار العهد القديم، أو الذى بقى خارجا عنه، واستخرج من داخلها أشعاراً ومزامير وسجلات وصوراً للمادة المتعلقة بنشأة الكون والتي أدمجت فيها وذابت داخلها.

وما هوذا عالم كامل لخرافة أصلها في بابل ومصدرها في أساطير الخلق نشأ في محيط إسرائيل : رهب (إشعيا ٧: ٣٠ : ٩: ٥١ : المزامير - ٤: ٥٧ : ٤٨٩ : ١١ : أيوب ١٢: ٩ : ١٣ : ٢٦ : ١٢ : ١٣ : ٢٧ : ١٤ : المزامير - ١٢: ٧٤ : ١٩ : ١٠ : ٤ : ٢٥ : ١٠ : ٢ : ٨ : ٤٠ : ٢٥ : ٤١ : ٢٦ : ٤١ : يهانم (إشعيا ٦: ٢ : أيوب ١٥: ٤٠ : انظر أيضاً حنوخ ٧: ٧ : ٩ : عزرا ٦: ٤١ : ٤٩ : التثنية (إشعيا ٩: ٥١ : إرميا ٣٤: ٥١ : حزقيال ٣: ٢٩ : المزامير ٢٠: ٤٤ : ٢٠ : ١٢ : ٧ : انظر أيضاً مزامير سليمان ٢: ٢٨ : ٢٨ : الحية (عاموس ٢: ٩ : الحية الهارية (إشعيا ١٢: ٢٧ : ١٠ : ٢٦ : ١٢ : وحش القصب (المزامير ٢١: ٦٨ : ٢١ : بنى الكبرياء (أيوب ٢٦: ٤١ : ٢٦ : أعوان رهب (أيوب ١٢: ٩) - والتي تجمع في العبارة التالية : ليست حصن سلطان يهوه محتجر رهب، صانع تثنية تحطم لويثان، قهر مثل قتل رهب وحطم رؤس التثنية في المياه."

يتكرر في أدب الأنبياء وأصحاب المزامير هذه الأسطورة البابلية القديمة عن حرب الإله ضد الوحوش الضخمة على عتبة الخلق، وذلك بأسماء مختلفة وصيغ متنوعة ولأهداف متباينة استمرت في أعماق بنى إسرائيل وحملت في خيالها، وذلك على الرغم من أنها لم تتبقي من داخل الرؤية اليهودية.

٦ - قصة الخلق

بعد أن جمع جونكل من ثنائيا نتاج مؤلف العهد القديم كل المادة الأسطورية، المطبوعة كلها بطابع الميثولوجيا القديمة وقارنها بقصة الخلق في سفر التكوين (الإصحاح الأول)، وأدرك أن هذا القسم متأخر عن كل المادة المتومة السابقة عليه في

إسرائيل ، وأنه ليس سوى صدى هزيل له ومتصل به والرؤية التنبؤية المقدسة حلت محلها الصفات القديمة وصور الخرافة المنتشرة . وقد ضم صاحب المصدر الكهنوتي نظرية الخلق القديمة إلى قصة الخلق الموجودة عندها . وعندما وصل جونكل إلى السؤال : متى تسربت وجهة النظر البابلية إلى ثقافة بني إسرائيل ؟ ، اتضح له بعد أن فحص كل عصور اتصال هاتين الثقافتين ، أن عمر هذه العلاقة قديم جداً والأسطورة البابلية القديمة عن مريوك ذلك الإله الذى حطم القمر وسيطر على المحيط البدائي وعمل من نصفه سماء ونصفه مياه انتقلت إلى أرض كنعان قبل أن يظهر بنو إسرائيل . والفترة القديمة التى ذكرت فى الرسائل التى وجدت فى تل العمارنة عن زمن نشر الثقافة البابلية سلطانها على بلاد كنعان قد جلبت فى أحضانها الأساطير الدينية البابلية ، وبخاصة أسطورة الخلق التى استخدمت فى تكوين قصة الخلق فى العهد القديم .

ومن خلال هذا المصدر الكنعانى وبواسطة الشعب المستقر فى فلسطين استحدث إسرائيل فيما بعد هذه الميثولوجيا القديمة أيضاً ويقدر ما استمدت هذه الجماعة من تلك الوسائل الكنعانية قامت بتحرير ثقافة بابلية أخرى عديدة وصاغتها طبقاً لهدها . واستمدت منها تشبيهاتها ومثلثاتها وتأثرت بها وتصارعت وتكيفت معها . ولم يحتل يهوه فيها فقط مكان مردوك بل خلصها من كل الميثولوجيا القديمة وسلسلة الأحداث القريبة عن دين الأنبياء ، وامتلات روحاً ومضموناً جديداً لولا أصداء قليلة وقديمة مطبوعة بالطابع البابلى . الذى لا يزال مخيماً عليها مثل الظلمة القديمة بخربة وخالية ، القمر بعثابة اسم ، انقسام المياه ، تنين المياه ، جند السماء ، "نصنع " الإنسان ، ورأى أنه حسن ولم يكن مصدرها البابلى ملموساً ، لأن روحاً أخرى وازنتها ، تلك هى روح الإله الواحد خالق السماء والأرض والمسيطر على الكل .

وإذا كان شيرر قد أشار إلى قرابة مفاجئة ، فإن جونكل غاص فى أعماق المؤلف وحد قاعدة هى : أن هذا الاشتراك لم يكن متلفراً ولم يكن مصادفة ، بل كان موجوداً فى الطبقة الأساسية للثقافة الإسرائيلية . وأن روح بابل تسلت إلى داخل كنعان ، وتاهت فى وسطها خلال عصور عديدة قبل احتلال الأرض بواسطة العبريين ، ويعد أن جاء الإسرائيليون إلى الأرض ، وساروا فى طرق شعب الأرض تشرّبوا الثقافة البابلية من هذا الوسيط الثانى .

ومنذ ذلك الحين ، أى بداية من عصر سنوات التكوين ولنتهاء بسنوات التصادم الجديدة مع بابل - خلال عصر سلطان آشور فى القرن السابع قبل الميلاد عندما كانت

يهودًا تنفع الجزية لأشور، وكذلك في عصر السبي في القرن السادس قبل الميلاد - لم تتوقف الثقافة الإسرائيلية طوال تلك العصور عن الصراع مع الثقافة البابلية، وذلك بمحاربتها والاقتباس من داخلها.

٧ - رواية الطوفان

منذ ذلك الحين صارت المهمة الرئيسية لعلماء العهد القديم الوقوف على زيف ذلك الصراع واستخراج العناصر البابلية في العهد القديم وأسطورة الطوفان هي الأكثر ارتباطاً مع قصة الخلق في الميثولوجيا القديمة وكانت لا تزال بعض أجزاء سفر بيريوسوس كما من بيل البابلي الذي كتب باليونانية في القرن الثالث ق.م، محفوظة عند أتباع الكنيسة. وقد اشتهر بسبب أساطير الطوفان البابلية ومع اكتشاف الكتابات المسمارية تم الكشف أيضاً عن ملحمة جلجاميش ، تلك الملحمة البابلية القومية، المضمنة في داخلها فصلاً عن الطوفان وعندما سارحطل الملحمة لينتشد الحياة تقابل مع السرمدى أوتنبيشتم جد أبائه (كسينزورس في نسخة بيريوسوس) الذي يسير مع الآلهة في أقصى الغرب ، وسمع منه قصة حياته ، وكيف أنه حاز تلك العظمة؟. ويمشورة إله الأرض قرر مجلس الآلهة قراراً نهائياً لإبادة مدينة شوريك التي على ضفة نهر الفرات بالمياه. ثم جاء أيا إله الحكمة في الحلم ليلاً إلى أوتنبيشتم حبيبه وكشف له عن قرار الآلهة ، وتحدث له بأن يصنع لنفسه سفينة ، ويخل فيها هو وأسرته وكل ماله ويخل فيها من كل الحيوانات وعندما كان يسأله أهل المدينة عن عمله هذا ، فيخبرهم عن الغضب الشديد للإله عليه ولذلك فهو يفر من أمامه إلى طرف البحر ويصنع أوتنبيشتم كل الذي أمره به أيا، وشيد السفينة طولها مائة وعشرون ذراعاً ، وجعل ارتفاعها ستة طوابق ، وطلاها بالأسفلت ويخل هو ورجاله ونسائه وحيوانات العقل ، وأدخل معه كل ماله ونعبه وأغلق فتحة السفينة، ووصل إلى البحر الميت وكانت المياه ستة أيام وست ليال على الأرض وعندما جفت المياه هبطت السفينة على الجبل وفي اليوم السابع أرسل أوتنبيشتم الحماية ولم تجد موضعاً للبقاء فعادت إلى السفينة ، ثم أرسل العصفور وعاد أيضاً، فأرسل الغراب ولم يرجع، فخرج أوتنبيشتم من السفينة هو ورجاله ونسائه وكل من معه وقرب قريانا ، فاجتمعت كالذباب حول النبيحة واشتمت الآلهة رائحة الرضا وكان أيا خائفاً وغاضباً لئلا تتحقق رؤيته وأن يبقى هارياً عند الإنسان ، غير أن حكمته عادت إليه وبارك أوتنبيشتم وزوجته ووضعه مع الآلهة، وأسكنه جنة عدن في منحدر النهرين.

ويلا شك توجد فجوة واسعة بين هذه النسخة البابلية وبين صيغتي الطوفان المحفوظتين في التوراة، ففي الأولى تقرّر الإلهة إبادة الأرض بلا سبب بدون أى علاقة مع أعمال البشر، أما في الثانية فقد حلت المصيبة في أعقاب أعمال البشر بفساد ملوكهم وامتلاء الأرض ظلماً وفي الأولى أنقذ أوتنبشتم لأن أيا يحبه، أما في الثانية فلنقذ نوح لأنه كان باراً في أجياله وفي الأولى إله يحطم وآخر ينقذ، أما في الثانية فوحدة الألوهية كاملة في كل تفاصيل الحدث وفي الأولى ارتجلت الإلهة ذاتها من عمل أيديها وندمت بشدة لإبادة مدينتهم، أما في الثانية فإن الإله الأعلى مسيطر ومتكبر وينقذ أمره ويفتقد الظلم الشديد وفي الأولى تنتهي القصة بضم أوتنبشتم إلى مجمع الآلهة، وفي الثانية تنتهي القصة بعهد ثابت للإله بالآبئيد أي بشر إلى الأبد لأن قلب الإنسان شرير من شبابه، وحدد قوانين للأرض والطبيعة بالآبئيد مرة ثانية .

ومع ذلك فإن جوهر القراية بين أساليب الروايتين لا تحمل أدنى شك . وكذلك اختلاف التفاصيل مثل تلك بدلاً من سفينة: وغراب حمامة ثم حمامة . بدلاً من حمامة ثم عصفور قفراق: وثلاثة مائة ذراع طولها بدلاً من مائة وعشرين ذراعاً . وكان الطوفان أربعين يوماً بدلاً من ستة أيام . غير أن هذا لا يضعف احتمال الانطباع بأن هذه صيغ مختلفة لرواية واحدة أمامنا ، ومثل هذه الاختلافات توجد أيضاً بين نسخ القصة داخل التوراة ذاتها . غير أن جوهر القضية يكمن في إبادة الأغلبية وإنقاذ اللرد . خاصية الإبادة وخاصية الإنقاذ ، إرسال الطير رسو السفينة على الجبل ، وتقريب القرايين ، وكذلك نسمة الرضا التي اشتتمها الإله (الآلهة) ومباركة المنقذ . كل ذلك يؤكد من حيث الجوهر بأنه ليس أمامنا سوى رواية واحدة في صياغتين . وعلاوة على ذلك فإن الرواية التوراتية تركيب متلخر مركّب على أساس النسيج القديم الذي جاء من بابل .

٨ - قوانين حمورابي

ولم يستوعب علماء العهد القديم كما يتبقى الوثائق المطابقة للكتابات المقدسة التي ظهرت من خلال الحفريات في مصر والاكتشافات الأثرية ، وفجأة اندفع من مخابئ الماضي في بابل مصدر جديد ، مدّش في قدمه ومطابقته لمصادر الكتابات المقدسة .

ففي نهاية عام (١٩٠١) وجدت البعثة الفرنسية تحت إدارة "مورجن وشيل "

فى أعماق الأرض فى سومر العاصمة نصبا حجريا ، والذي كما ييلو أخذه ملك
عيلام غنيمة من بابل وعليه نحت سفر القوانين الذى منحه الإله شمش للملك حمورابى
الذى ملك على بابل عام (٢١٠٠ ق.م). وفى هذا السفر قوانين وأحكام عديدة تشهد على
درجة عالية من التطور فى هذا العصر القديم، وذلك سواء بين الفقرات المتشابهة
تشابهاً كاملاً لفقرات سفر العهد أو بين الفقرات المختلفة عنها ،والتي تظهر بوضوح أن
هذه القوانين والأحكام كانت معروفة للمشرعين فى بنى إسرائيل وترجم شيل بنفسه
هذه القوانين إلى الفرنسية وأذاعها على الملا هوكان الباحث العبرى "دافيد هينرش
مولر" أول من ترجمها للعبرية وطابق قوانين حمورابى بقوانين سفر العهد ، كل قانون
مقابل قانون وقد أحصى يوهانس يرمياس أربعة وعشرين حكماً فى سفر قوانين
حمورابى التى تؤكد الاعتراف بوجود علاقة قوية قائمة بين الرئى القانونية فى بابل وبين
تلك الموجودة فى سفر العهد (قوانين العبرية والأسرة، ظلم الإنسان وسرقة البقر،
السرقة الناطح، والسرقه فى السر، أحكام الربيعة وأحكام سرقتها، أحكام المضاجعة
واحترام الأب) . ونشأت أيضاً تشابهات فى صورة القوانين والصياغة، وتشابهات فى
بعض الأقوال التى تتسع هذه وتلك .

وبلا شك اكتشف مع هذه القرابة الاختلاف العميق بينهما ولم تميز الحياة
الاقتصادية والسياسية والطبوس بين هذين السفريين القانونيين المتطابقين فحسب، بل
تختلف أيضاً رؤاهما الأساسية والروح السائدة فيهما فالمعقوبات فى سفر حمورابى
قاسية للغاية بمقابل المعقوبات فى التوراة . أما حماية الضعيف والفقير فى التوراة
فتفوق كثيراً فى تماسكها وتفصيلها قوانين حمورابى، كما أن قوانين حمورابى لا
تعرف مطلقاً حب الصديق وحماية الأجنبي، والاختلاف الجوهرى بينهما هو أن نقض
القانون لا يعتبر فى قوانين حمورابى إثماً تجاه الإله وحقاً فإن الإله شمش هو الذى
منح القوانين لعمورابى، كما أن يهوه هو الذى منح ألواح العهد لموسى بغير أنه أعطى
واختفى غم يخطئ عنده شخص لإلهه إن لم يقم النص المكتوب، والإله لا يعتبر ذلك
شراً فالبيانة تستخدم خلفية وأساساً لكل أقوال القوانين فى سفر العهد، وهذا ليس
مقحماً فى مخطوطة قوانين حمورابى أحكامها ، وليس مزوداً بها . غير أنه مع كل هذه
الاختلافات العميقة - اختلاف الزمن واختلاف الثقافة واختلاف السمات القومية - فإن
قضية القرابة الأساسية التى بينهما هى قرابة مادة وشكل لا تحتل أى شك، وواضحة
للجميع وطالما أنه اتضح أن مجموعة القوانين المدونة مركبة ومفصلة بالفعل فى الواقع

حوالى (٢٠٠٠) ، وأن هذه المونيات كانت أمام المشرع فى بنى إسرائيل ، فقد انهيار
الرأى الذى أخر الوثائق الأولى للأدب العبرى إلى القرن الثامن ق م .

٩ - الزامير

وقد قام "ياسترو وتسيميرن "بتحقيق المؤلفات الأدبية وتنقيتها فى الكتابات
المسمارية ونظروا فى ترانيم الزامير، والتضرعات وأناشيد التسابيح المجموعة فى
داخلها . فقد كان هدف باحثى العهد القديم أن يجدوا فى لغتها وأسلوبها - وتتابع
هذهها وصورها - مجموعة غنائية مطابقة للعديد من مزامير سفر الزامير فى العهد
القديم، على الرغم من أن هذه سابقة على تلك بمئات بل آلاف السنين.

وبما أن الحاجز الذى كان يفصل بين علم العهد القديم وعلم بابل قد سقط، وبدأ
بينهما التأثير المتبادل ، لم يكف الباحثون بتحديد المطابقات فحسب بل تغلغل هؤلاء
الباحثون مزويدين بوسائل البحث عن الأكومية والطقوس وما شابه ذلك إلى داخل
الكتابات المسمارية وأعماق الماضي، وتسابقوا فى أن يجدوا أيضاً داخل بابل القديمة
عالمها الروحاني . وجدت محاولاتهم الكبيرة أيضاً هذه المرة فقد نسجوا قناعاً كاملاً
لرؤية العالم القديم عن طريق ترتيبهم واحدة بواحدة ورمزاً برمز . وتظهر هذه الرؤية
العالم ومصير الشعوب ورجاله ، وما هو قد خلق على صورة السماء فتتحققت الآلهة
فى جند السماء وبرزت إرانتهم فى ترتيب السماء ونظم الأحداث فخرمز الكواكب فى
سبلها لطرق العالم ، وعالمنا فى مجموعه عالم صغير داخل العالم الكبير . كما أن كل
فرد من البشر على الأرض عالم صغير قائم بذاته ، ومصيره فى السماء العليا . فقط
يمكن بحث تاريخ الشعوب ومصير العالم على أساس بحث خطة السماء فالتقويم
وترتيب العصور تلك علامات السماء وأعدادها، تلك هى لغة الآلهة، فالأعداد التى على
أساسها يقسم الزمن هى الأسس المقدسة والقوة والمفتاح فيها لكشف الغامض.
ولأنها ترمز إلى النظام فى العالم والتوافق فى الأحداث الموافق للتناغم السائد فى
الدوائر العليا والتوراة هى العربية، وجند السماء مفسروها، والرائون المنجمون هم
الحكماء عارفو الدين والمصير وفاهمو إرادة الآلهة والحكمة هى بحث إحصاء السنين ،
وخاصية السنين وترتيب الأعداد، وعلى أساسها يصمت العالم، لأن صورة العالم ليست
سوى صورة دقيقة لصورة السماء.

وعندما انتقل الباحثون لتوضيح تفاصيل هذه الرؤية وطرق تأثيرها على الشعوب

أدركوا أنها قد تظفلت تغفلت عميقاً داخل الثقافات الإنسانية وتصلت فيها آلاف السنين ، وأن الشراكة البابلية غنية بالقيم ومتعددة الصور ، مفسرة على أساس تتابع التكايف المرتبطة بالعهد القديم ، ولغتها جميعها متضمنة في داخلها.

١٠- فينكلر

لم يكتف هوجو فينكلر مبتدع الأسلوب البابلي الشمولي في بحث العهد القديم بتلك القرابة للأعداد المقدسة وصور الأوامر بإحصاء الأزمنة وأسماء الشهور ، تلك القرابة التي توصل إليها بالفعل القدماء ولم يكتف أيضاً بتلك المقابلات الثقافية والمؤلفات التي أحصيناها والموجودة داخل أنب الكتابات المسمارية ، وكذلك في العهد القديم ، بل خرج ليقرر أن كل الأساطير والروايات الموجودة في العهد القديم بداية من روايات الآباء وانتهاءً بانقسام الملكة بعد سليمان بكل ذلك مؤسس على أساس الميثولوجيا البابلية. وحتى الأحداث التاريخية للأبطال الذين عاشوا حقيقة نُمقت على إطار المؤلفات في روايات الخرافة البابلية التي أساسها في علم التنجيم القديم. فإبراهيم من أور الكلدانيين هو ابن إله القمر. وأساسه في الخرافة البابلية تموز أخى زوجته عشتروت، وكان سكته قرية أريج. وبعد تملك داود في حبرون نسب صاحب الأسطورة لهذا المكان. ويعقوب أبو الأسباط الإسرائيلية في الشمال، هو أيضاً ابن إله القمر في بيت إيل. وإبراهيم هو إله الاتجاهات الأربعة (قرية أريج) والأيام السبعة (بئر سبع) ويعقوب أبو الاثنى عشر شهراً (الآباء - الأسباط) . فالأول يرمز للقمر بنسبه للشهر ، الأخير بنسبه لفصل السنة وإبناء يعقوب الاثنان وسبعون ولداً لخمس نساء (أيضاً تحسب زوجة يوسف عند الإحصاء لأنها أم سبطين) مثل عدد أيام السنة (٧٧٢ x ٥ x ٣٦٠) وذلك على أساس إحصاء الفصول في الكتابات المسمارية .

ويرى أثر خرافة إله القمر في يابل على كل الروايات بشأن عشيرة يعقوب. اسم حماه لابان (قمر) ولينة التي "عيناها لطيفة" ما هي إلا القمر في انبعاثها (الطف بدون لمعان) وواحد "حسن الصفة" هي القمر في اكتماله، وأعطت جارية لكل واحدة منهن، إذن هي الفصول الأربعة للقمر ، التي منهن ولد الاثنى عشر ابناً - الشهور . فولدت لينة ليعقوب ستة أبناء وبنت واحدة بهذا يعنى آلهة السبعة أيام في بابل الذي أحدها (إله اليوم السادس) امرأة حينه هي المولود الأخير للينة ، لأن اليوم السادس هو الأخير في الأسبوع. وها هو ذا رأوين يقابل إله اليوم الأول وفيما يتطرق بـ نزحل

قيل: "لأنك صنعت على مضجع أبيك حينئذ دنست" (التكوين ٤٩: ٤) وهو ما يطابق
 الأسطورة عن زحل وأبناء ليلة سبعة وعشرون (١٢: ٤٦-١٦) وهو ما يطابق عدد أيام
 الشهر البابلي الناقص (٢٧ يوماً ، وسبع ساعات وأربع وثلاثون دقيقة وخمس ثوان)
 أبناء زلفة صارية ليلة أربعة عشر (التكوين ١٦: ٤٦ ، ٢٧) أبناء بنيامين عشرة وأبناء
 بلهة خمسة وهما سويا تسعة وعشرون ، وهو يطابق عدد أيام الشهر الكامل (تسع
 وعشرون يوماً ، واثنان عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة) وبنيامين أصغر أخوته "بن
 أوى" هو الشهر الأخير من السنة . أما "ثلاث مائة فضة" التي أعطيت لبنيامين فهي
 الثلاثون يوماً لشهر شيلو ، وخمس حلل (التكوين ٢٢: ٤٥) هي الأيام الخمسة المحرمة
 فيه ، والمكملة السنة على أساس التقويم البابلي . يوسف هو إله الشمس (الذي يقال
 عنه "وهيأوا الهدية إلى أن يجي يوسف عند الظهور" (التكوين ٤٣: ٢٤) وهو نفسه ابن
 يعقوب إله القمر ، وكما أن يعقوب اتخذ لنفسه بنات لابان (لبنه) نسوة من بلاد آرام ،
 أرض القمر . كذلك هبط يوسف إله الشمس إلى مصر ، أرض إله الشمس واتخذ لنفسه
 زوجة من بيت كاهن الشمس في سلطان هليوبوليس . ويوسف ابنان ، هما نصف السنة
 (الصيف والخريف) . ويعقوب صالِب بيديه لأن في تقويمات الشرق انقسمت النظم
 بولحد من قسمي السنة بداية بالصيف أو الخريف . كما أن تفسير الكلمة تشرى في
 بابل (بداية) هذا يعني بداية السنة على الرغم من أن التقويم البابلي تبدأ السنة فيه
 بشهر نيسان - عيسو (أنوم) هو إله الربيع وهو صائد مثل تموز ويهوه إله موسى في
 حوريب هو إله البرق والرعد مثل حلية - هدد في الميثولوجيا الكنعانية . ويقال عن
 موسى ، "ولم تكل عينه ولا ذهب نضارته" (التثنية ٣٤: ٧) ، مثل تموز الذي يموت مثل
 حرارة اليوم في الصيف . وهكذا سبعة أيام على يعقوب إله القمر ، لكن يقال عن موسى
 فبكى بنو إسرائيل موسى في عريات مؤاب ثلاثين يوماً . فكمكلت أيام بكاء مناحة موسى
 (٢٤: ٨) وهكذا كانوا يبكون تموز ثلاثين يوماً وسموا الشهر باسمه . وميلاد موسى
 يشير لأسطورة سرچون ، والذي أيضاً عند ميلاده وضع وسط النهر في سبط من
 البردي طلى من الداخل والخارج . والته أريعون سنة في الصحراء إشارة إلى تجوال
 جلجاميش في الصحراء ليجد الحياة لأجل صديقه الذي توفي ، ويسمع صداها أيضاً
 في تجوال إلياهو في الصحراء أربعين يوماً .

وهكذا يواصل ويحصي علامات خرافة المنجمين في الرواية عن يشوع (اشتراك

الشمس والقمر في حربه، مثل اشتراك نور الفجر في حرب الجبارين ضد بابل ،
والاثنا عشر حجراً التي أقامها على شاطئ الأرض هي مثل الاثنتي عشرة صورة
للحيوانات المقدسة القائمة على أساس أسطورة بابل على شاطئ مياه العالم في
السماء؛ وفي الرواية عن جدعون (غراباً ونثباً أميرى مدين (القضاة ٧:٢٥) ، تطابق
موضوعات حكام شرقيين كثيرين؛ وأخرج جدعون ضد أهل سكوت سبعة وسبعين من
عظائنها - (١٤:٨) ؛ وهو ما يطابق اثنتين وسبعين يوماً ، خمس السنة في بابل بضم
الخمسة أخماس نفسها؛ وكان لجدعون سبعون ابناً وهم سوياً مع أبيمالك ويوثام
الذين أنقذا، فإن ذلك مرة ثانية يمثل الاثنتين وسبعين يوماً (الخماسية) ، وفي عمل
شاؤول (الرواية عن زيارته في عين دور عند العرافة الساحرة - صموئيل الأول ٢٨ ،
تقابل الرواية عن أوديسيوس الذي يسأل فيها تيريزس الرائي، وزيارة جلجاميش لهيكل
نرجل إلهة العالم السفلي من أجل إبعاد شر الموت، ويطلب مشورته والرواية عن موت
شاؤول ملوثة تفاصيل خرافية عن القمر فليحكي عن شاؤول أنه مات على سهمه ،
وقطع الفلسطينيين رأسه ، أيضاً إله القمر موصوف على أشكال طبرية، بيت شان
وكيرسيا وغيرها مع سيف ورأس مقطوعة في قصة يوناثان (قوسه إشارة لإله
الشمس مثل السيف إله القمر) . وفي الروايات عن حرب داود وجليات (جليات الضخم
يرمز للسنة سريعة الزوال وداود الصغير رمز للسنة وشبكة القنوم، والخمسة أذرع
والشبر لجليات هي الخمسة أيام والربيع المتبقية من الاثني عشر شهراً ذات الواحد
والثلاثين يوماً في نهاية السنة؛ وجليات العملاق يطابق أوريون سيء الحظ؛ سيف
جليات "مثل منوال النساج" يطابق عمود أوريون والحجارة الخمسة التي رماها داود
تطابق الخمسة أيام الكيسة التي فيها ينتصر) .

وفي أسطورة أمنون وثامار (ثامار - عشتورت خبازة الخبز (العجين) نصفها
شابة ونصفها امرأة أجنبيها - أرض الصيف والخريف؛ وأمنون - تموز نصفه شاب
ونصفه زوج وأخ في نفس الوقت، بالمطابقة لشمس الصيف والخريف؛ وفي أوصاف
(صفات) داود (اسمه منبثق من نود ، ألوهية التموز، وهو أشقر مثل مزج خصلات
شعره ترمز إلى قرون الشمس ، ومثله يرمز أيضاً أبشالوم في شعره لبطل الشمس)؛
وفي صفات سليمان (يرمز إلى الشمس الفاتية في نصف السنة الثاني، صورته في
بابل - نبو ، إله الخريف، من هنا حكمة سليمان لأن نبو إله الحكمة والكتاب) .

والأمر باختصار ليس فقط التفاصيل تطابق روايات الخرافة البابلية بل بمثابة أساس لكل روايات الأسفار التاريخية في العهد القديم الموجهة بأسلوب محدد وثابت ، هو أسلوب علم التنجيم البابلي المرتب نظام العالم وطرق الأحداث على أساس قوانين خطة السماء ، وترى فيه فقط علامات وتعبيرات للأحداث السماوية.

١١- يرمياس

ولأن فينكلر وتلميذه يرمياس - الذى لم يعتمد عن أسلوب أستاذه - لم ينكروا وجود جوهر حقيقى لأحداث الأسفار التاريخية في العهد القديم، وكشفا القناع الذى على أساسه حاكى العبرى القديم علم التنجيم البابلي، ووضعها فى نطاق الفلسفة التى توضح الأحداث وتنظمها وسط رؤية العالم المقبولة له من الثقافة البابلية ، فقد ذهب ينسن إلى أبعد من ذلك لحفى كتابه "أسطورة جلجاميش فى الأدب العالمى" رأى أن كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحمة البابلية، وأن كل أبطال التاريخ العبرى القديم لم يوجدوا ولم يخلقوا، بل هم نتاج الميثولوجيا وهم أبطالها بأساليب مختلفة ، حيث تختلف هذه عن تلك على أساس السبب والمكان.

١٢- دليتش

إلى هذا الحد وصل الاتجاه البابلي الشمولى فى نقد العهد القديم فبعد اتجه إلى البحث فى الكتابات السامرية دعماً وتوضيحاً للكتابات المقدسة ، وندش لكثرة وجوه التشابه إلى حد التطابق الكامل وأدى إلى فقدان الإحساس بقوة الكتابات المقدسة ، وأصبحت هذه التداعيات الفكرية الجديدة الباحثين الجدد بالانبهار ، وأثرت سلباً على الوضع المميز للكتابات الأدبية لجماعة بنى إسرائيل وإحياء الرغبة القديمة لدى بعض الدوائر فى نسبة قيمة العهد القديم إلى شعوب أخرى خارج جماعة بنى إسرائيل ، بل ربما خارج الساميين الأمر الذى شجع أيضاً على الابتعاد عن مجالات العالم العلمية وطرح الأسئلة حول العلاقة التاريخية بين العهد القديم وبابل والتى تحولت بسرعة إلى قضية بين هاتين الثقافتين.

وقد تحول فريدريك دليتش فى خطبه العلنية إلى طرح قضية "من أقدم من من ؟" إلى قضية من انتصر على من ؟ وقد كانت الإجابة طبقاً لفهم الساميين أصحاب التأثير فى العالم النصرانى وغير المتحمسين لإسرائيل ، فقد وجد دليتش فى قوانين

حمورابي درجة أخلاقية متسامية أكثر من تلك الموجودة في سفر العهد ، وفي رأيه تعلق قصائد الزامير البابلية قصائد مزامير العهد القديم ، وأنبياء يهوه هم عنده أنبياء العزلة والاستعلاء الذين ماتوا حقداً على الشعوب الأجنبية وبذلك حطوا من قدر القوة الأخلاقية في إرث بابل، كما أن بابل كانت مصدر فكرة وحدة العالم والأخلاق العالمية ، حتى إن أصل الاسم يهوه من هناك ، وكانت هذه إحدى السقطات الكبيرة لبحث العهد القديم الرافض للمنهج العلمي .

١٢ - بنو إسرائيل بين شعوب الشرق

ومع ذلك استمرت مسيرة البحث ، ولم تتأثر بهذا الحدث العارض في تاريخه . وقد أفاد الجدل الشديد الذي نشأ بمناسبة كشف الاتجاه البابلي الشمولي في الوقوف على أهمية الثقافة العبرية وأدبها داخل ثقافة الشرق ، كما أفادت الاكتشافات البابلية سويًا مع الصفات المصرية كثيراً في كشف العلاقة بين بني إسرائيل والشعوب التي عاشت بينها . وقد كتب بيتش ومارتي وسيلين أبحاثهم المختلفة عن تاريخ بني إسرائيل وديانة العهد القديم في ضوء ثقافة شعوب الشرق وكلوا عن رؤية عالم العهد القديم في شكل مستقل ومنفصل عن كل ما حوله . وتم الكشف عن وجه الشرق القديم وانبعثت منه الأشعة المضيئة لتتبع تاريخ بني إسرائيل في عصر العهد القديم ، الذي كان مادة متفاعلة وخلاقة ، تتغذى على معطيات شعوب الشرق وتغذيها .

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل الحادي عشر

الاتجاهات الحديثة

١ - تشعب المصادر

انحصرت مدرسة قلهاوزن في بحث أسفار العهد القديم والتعرف من خلالها على تسلسل أحداثه ، حيث لم تتوقف عند حدود التعرف على طبيعته فقط وكما ذكرنا فقد انتهى البحث بعد عدة أجيال على يد علماء نظرية تقسيم المصادر ، وعلاوة على هذا التقسيم للمصادر فقد أضافوا تشعب المصادر التي اعتبرت كاملة وتامة . وبدأ العلماء يقررون بصورة تدريجية أن كل مصدر من المصادر الأربعة الأساسية مركب من مصادر مختلفة ومن أجزاء مميزة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمصدرين اليهودي والالوهيمي ، اللذين هما طبقاً لرأى هذه المدرسة نتاج مؤلفات شعبية ، ولأجل هذا تكثر فيهما القيم والأساليب، والإشارات للمكان والزمان، وتنقصهما الوحدة الداخلية المميزة أكثر للمصدرين التثنوي والكهنوتي . وبدلاً من المصدر اليهودي الكامل بدأ الحديث عن اليهودي ١ ، واليهوي ب ، واليهوي ج ، إلى آخره (واستخدمت كإشارات لطبقات مختلفة داخل هذا المصدر) وأيضاً بدلاً من المصدر الالوهيمي الكامل افترضوا الالوهيمي ١ ، والالوهيمي ب ، والالوهيمي ج وغير ذلك . فنظرية المصادر تطورت مرة ثانية من جديد من نظرية وحدة المصدر إلى نظرية الأجزاء المنفصلة ، حيث اختفى هذا الاتجاه التقليدي وقلت قيمته العلمية.

٢ - زمن الحصاد

وقد وصل علم العهد القديم بذلك إلى جنى الثمار حيث قام جيل من العلماء بتلخيص النتائج وتحديد الفث من الثمين، لتمهيد الطريق العلمي أمام الاتجاهات المعاصرة وجمع نتائج البحث العلمي لاستفيد منه الأجيال على مر العصور.

٣ - ألوان قوس قزح والعهد القديم

وحاول بويل هوفيت جمع نتائج نقد النقد بتوجيه مع جماعة من الباحثين لإصدار العهد القديم وتحديد المصادر بالألوان المختلفة مستخدماً ألوان قوس قزح المتعددة ، حيث طبع كل مصدر من المصادر بلون والمصادر المنبثقة عن المصادر بلون آخر ليظهر للعين . أما ر . مكيتل فقد جمع النقد النصي وتعديلات النصوص التي تم التحقق منها والتعرف عليها، وذلك في طبعته العلمية لنسخة العهد القديم .

٤ - تفسيرات نوافك ومارتى ودرافير

أما فيما يتعلق بنتائج الحفريات وتوافر الوثائق الأدبية والغنية الموازية للكتابات المقدسة والمساعدة في فهمها، والتي اكتشفت في بابل وأشور ومصر، فقد قام بجمعها ومعالجتها وترتيبها ومقابلتها، كل من هـ جبرسمان مع زميله أ. أوتجناد وهـ رانكه. وأما نتائج علم العهد القديم الكاملة فقد جمعها المفسرون الجدد للعهد القديم، الذين اعتمدوا على أعمال نوافك ومارتى باللغة الألمانية، ودرافير، ويلومر وبريجز باللغة الإنجليزية.

وقد تمت التفاسير الرئيسية لكل سفر من أسفار العهد القديم، وتم شرح كل نص بواسطة مفسر من شيوخ النقد التاريخي، وجمعت كل نتائج البحث التي تحققت بواسطة العلم، وتم التسليم بها كقانون، وأصبح قانون التطور التاريخي الحجر الأساسى لكل معلمى مدرسة فلهاوزن في نقد العهد القديم ولكل الأعمال التابعة لمناهجهم ومدارسهم.

ومع هذا التطور العلمى والفكرى أصبح من السهل للبحث العلمى التغلب على جدل تعدد المصادر الذى ساد نقد العهد القديم في بداية هذا القرن، وأدى إلى تغيير هذا النمط. وقد رأينا بالفعل من خلال الاختلافات بين "الكتابات المسماة والكتابات المقدسة" التصورات الجديدة التى استمرت وفتحت طريقاً جديداً للبحث، فمن خلال الموازنات والمقارنات التى تمت بين كتابات بنى إسرائيل ووثائق بقية شعوب الشرق اتضح أن ثقافة بنى إسرائيل لم تنبعث من وحدتها، بل مرتبطة وملتبقة بالحياة الدينية والاجتماعية لشعوب الشرق، ومتأثرة بتراثهم، ومع ذلك فإنها لم تشوه جوهرها، بل حافظت على قيمتها وقوتها. وفيما يتعلق بأسلوب النقد الذى ساد فى الألب العالمى على مشارف القرن العشرين، والذي توجه إلى البحث النفسى والجمالى (علم الجمال) فى الأعمال الأدبية فقد أصبح على الناقد الحصول على المعرفة القوية والتعرف على البحث الفيلولوجى، كما تتطلب أيضاً معرفة الحالة النفسية المباشرة للمؤلف والروح المسيطرة عليه، وهذا ساعد أيضاً فى تطوير هدف جديد لنقد ألب العهد القديم. كما تطور أيضاً بحث الوثائق الجديدة التى كشفت بواسطة علماء المصريات وعلماء الدراسات البابلية، مثل القصائد الغنائية فى المزامير وأشعار الديح، التى كانت فى البداية تبدو لا قيمة لها عند النقاد، وتسببت فقط فى تدهور قيمة الكتابات المقدسة.

وقد ساعدت هذه الوثائق في تمييز صورة هذه المؤلفات وأساليبها وأنواعها. وبصورة تدريجية نجح نقاد العهد القديم في الكشف عن الوحدة الأدبية والتعرف عليها من بين غبار العصور كاملة وسليمة ، وبمجها في مادة واحدة.

٥ - جونكل وكتابته "تاريخ الأدب"

وبالنظر إلى عمل إيرينيل ، والوقوف على أسلوبه، ومعرفة ما تنبأ به هيردر ولم تصنع له أنن، وما حاول أن يكمله د. كاسل ولم تمنعه قوة، ويمكن القول بأن البحث العلمي الحديث قد شق له طريقا واضحا ، وخطا به جونكل خطوة للامام. فقد عرف من خلال تاريخ أدب شعوب الشرق أن الألب لم يكن من بدايته مليوناً. وقد ابتدأ الأدب بقصائد وأمثال، وفرحة الانتصار. وراث الموتى، ومؤلفات قصيرة، وقواعد قانونية وطبية، وصدى أحداث ورفقاء ، واضطرابات الشعب. كل هذا تم إعلانه مشاهفة عن طريق مغنين أو رواة جيلا بعد جيل. وقد تعقب هذه الأمور داخل نصوص العهد القديم، فوجدما سواء في صورتها القديمة أو في شكل صدى يتم تربيده وكما هي مطمورة داخل المؤلفات الأدبية للأنبياء. فرأى لابان يرافقه يعقوب وبناته "بالفرح والأغاني بالدف والعود" (التكوين ٢٧: ٢١) ووجد النبي يتفاخر لسقوط صور التي يجعلها قيثاره، ويغني لها " "كأغنية الزانية نخذي عود طوقي في المدينة ، أيتها الزانية المنسية ، أكثرى الغناء لكي تذكرى " (إشعيا ٢٣: ١٥-١٦) وكذلك أبطال الخمر، فمن بعد وإيمة كانوا يغنون أغانيهم على كأس ملأته ، وفي سبعة أيام الشرب كان الغتيان يحاجون ألفازهم (القضاة ١٤: ١٢) وعند موت شخص يجتمع حوله الندابون والندابات ليواصلوا عليه النواح بالغناء، وقامت بعبوا بالغناء لبعوة الشعب للحرب (القضاة ٥: ١٢) ، وعن طريق الأغنية هاجم الجيش أعداءه (الخروج ١٧: ١٥؛ العدد ١: ٣٥-٣٦)، وبالأغنية كان البطل يمنح صوته بحبيشه لأعدائه بدلا منه (التكوين ٤: ٢٣) ، وقابلت بنات إسرائيل البطل بالأغنية عند عوبته منتصرا من ساحة المعركة (الخروج ١٦: ٢١، صموئيل الأول ٧: ١٧) وبعض هذه الأغاني القديمة ، أو كلها قليل في كمه، ذو تعبيرات محدودة ولا تزال باقية داخل العهد القديم، وبهذا طعن في بداية أدب بني إسرائيل ولأن أسباط بني إسرائيل القديمة توصلت للمياه أثناء حفرهم بئرا في أرض صحراوية، رفعوا صوتههم مغنيين:

"اصعدى أيتها البئرا : أحيبوا لها.

ينثر حفرها رؤساء،
حفرها شرفاء الشعب .
بصرلجان بعصيم . (العدد ١٧: ١٨-١٨)
ويسبب أخذ تابوت العهد مع الجيش لكى يقف إلى جانب إسرائيل فى خروجهم
لمواجهة العدو، ابتهل الجيش:
قم ، يهوه ،
فليبتد أعدائك،
ويهرب مفضوك من أمام . (العدد ١٠: ٢٥)
وعندما أعيد التابوت إلى الهيكل صرخ الشعب صرخة الفرح فى مقابلته :
ارفعن ، أيتها الأرتاج ، رؤوسكن،
وارتفعن أيتها البوابات الذهبية،
فيدخل ملك المجد . (المزامير ٧: ٢)
وفى رؤية النبی فى نبوة شعوب الأرض فى سيرهم فى نهاية الأيام للسجود
على جبل بيت يهوه، وما هو يسمع أغنية العائدين مقتحمين أيضاً بأصواتهم:
هلم نصعد إلى جبل يهوه،
إلى بيت إله يعقوب . (إشعيا ٢: ٣؛ ميخا ٤: ٢) .
وقدّم الأساطير القديمة والموروثات التاريخية التى كانت منتشرة فى بنى
إسرائيل مثل أقوال الأناشيد، والأقوال المثورة للقضاة وتعاليم الكهنة، وأمثال
الشيخوخة الراسخة فى الأذهان تلك هى الأساطير القديمة عن الخلق وجنة عدن وأبناء
الله الذين جاؤا لبنات البشر والطوفان وجيل الانقسام تلك الأساطير القديمة قصيرة
وكل أسطورة قائمة بذاتها،
ويعد ذلك ترد الأساطير الطويلة والمرتكزة حول شخصيات (موسى، يشوع،
جدعون، عادى وصموئيل داود وسليمان، إيليا هو والأنبياء)، واتصفت الشخصيات
نفسها بقوة عظمتها، والتفاصيل مشوشة، والمعجزات متزايدة ، ومع ذلك استمرت
وتطورت عنها الرواية التاريخية.

أيضاً كانت أقوال يهود ووصاياهم إسرائيلي في حالتها القديمة أقوالاً مأثورة قصيرة وواضحة وحادة ومألوفة في أفواه الكهنة معلمي الشريعة (ربما حفظ منها ما ورد في الخروج ٢٤: ١٤-٢٦) وبعد ذلك ضمت للوصايا العشر (الخروج ٢٠، التثنية ٥) . وكذلك فإن قوانين سفر العهد قديمة في صورتها وقصرها (الخروج ٢١-٢٢)، وبعد ذلك تطورت عنها التعاليم حتى أظهرها رجال الأدب في القرن الثامن قبل الميلاد وأخرجوا الأدب من نطاقه الشعبي وبدأ الأنبياء خطباء فحسب ونقلوا أقوالهم أمام الشعب، وتبنوا في البداية نبوءات قصيرة وقاطعة، ويمرور الزمن فقدت أجزاء هذه النبوءات وتطورت إلى مواضع حتى ظهرت اللغات والأسفار.

٦ - بحث الأجناس الأدبية

وقد انتهت جونكل من دراسة كل هذه الأجناس الأدبية، الشعرية (المثل ، أقوال النبوة، والأنشودة الغنائية) والنثرية (الخرافة، الأسطورة، الحكاية، والرواية التاريخية)، ثم شرح هذه الأجناس واحداً واحداً حسب أنواعها، سواء القصائد الدينية (أغاني السفرة، أغاني الخمر، أغاني الحب، أغاني الزواج، أغاني النصر ، أغاني الملك) أو القصائد المقدسة "الدينية" (التمجيد والتسابيح مراثي الجماعة، والمراثي الشخصية ، المزامير والتضرعات) ويتعمق فيها وفي عالمها الفريد في كل نوع وجنس، وجد الصور الثابتة لكل جنس من هذه الأجناس، وكذلك طرق تطورها من درجة إلى درجة.

وانتهت مدرسته من وضع قاعدة أن الأدب القديم والبدائي كان أكثر ارتباطاً بالأصل الثابت ، والأسلوب المألوف، وحنزراً جداً فيما يتعلق بتجديد صورته والحرية الأدبية وساعد تحديد هذه الأنماط كثيراً في تطور طرق نقد بحث العهد القديم وتطور طرق جديدة للتمييز بين المؤلفات الأدبية المختلفة في العهد القديم واستخراج الصور منها .

وقد عمقت الكتوز الأدبية من الأساطير والتمجيدات التي قدمها علماء بابل ومصر أثناء تنقيباتهم المعرفة بأنماط الكتابات، ووجهت بحث التاريخ الأدبي لبني إسرائيل تجاه فهم تاريخ الأسلوب والصورة. ويبدأ السؤال عن المؤلف وعصره بمثابة خطوة هامشية بسبب تركيز الأسئلة حول الجنس الأدبي والعصر الذي ينتمي إليه الأسلوب والبيئة الاجتماعية التي انتشرت فيها جنود هذه الكتابات.

٧- بوده وجيرسمان

لم يكتف زملاء جونكل وتلاميذه بتقسيم المادة إلى أجناسها فحسب، إنما انشغلوا أيضاً ببحث الأنواع الأدبية ذاتها وقبل جونكل عالج بوده قصائد الرثاء في العهد القديم وأساليب تطورها (من المراثية الجماعية إلى المراثية الفردية، ومنها أيضاً المراثية التهكمية على سقوط العدو) ويبحث بعد ذلك قصائد الزواج في العهد القديم وفي كتابه عن تاريخ الأدب حاول الاستمرار في تلخيص كل هذه الأبحاث. كما أن جونكل نفسه بحث في أسلوب الأساطير في سفر التكوين ووجد جيرسمان، في نشره الأساطير عن موسى ونهاية الأيام وتعبيراته الكاملة، اتجاهًا أدبيًا جماليًا عبر عنه في إصداره الجديد لأجزاء الكتابات المقدسة "مختارات وترجمات لمتقفي العصر، وصدر ذلك بواسطة جيرسمان وأصحابه.

٨ - أدب شعب فلسطين في العصر الحاضر

وهكذا استحدث لنقد العهد القديم أساليب بحث جديدة لم تكن معروفة عند السابقين، وهذه الطرق الجديدة سويًا مع البحث عن المصادر المتعددة أتاح منابع جديدة منها منبع المؤلفات الشعبية في العصور القديمة جدًا، والتي لم تتوقف عن دفع مجالات البحث إلى التقدم والازدهار حتى الآن.

وفي الأونة الأخيرة كشف هذا الاتجاه للنقد الأدبي مجالاً جديداً، وهو أن فهم العهد القديم وإدراكه إنما يتم من خلال حياة أرض فلسطين وسلوك سكانها في هذا العصر.

فرغم آلاف السنين التي تفصل بين عصر العهد القديم وعصرنا، ورغم التغييرات العديدة والاضطرابات لم يحدث تغيير شديد بين زعماء سكان فلسطين، حتى تجمعت واستقرت بعض مظاهر الحياة، ومظاهر الابتكار وبُثت نتاج العصر النسرلجي في بعض الطبقات في مظاهر عديدة فبحث هذه الحياة وبخاصة بحث الأدب صار وثيقة جديدة لكل من أراد الوقوف على كشف السر النهائي لشكل مؤلفات العهد القديم.

٩ - دالمان وليتمان وكنعلن

قام جوستاف دالمان، أحد أفضل باحثي فلسطين في عصرنا، بجمع القصائد

التي يريدها البدو الرحل عبر النهر وبين الفلاحين سكان الريف في فلسطين :قصائد
دنيوية مثل : (القصائد التي تتشد في الحقل، وفي البيت، وفي الصحراء، وبالقرب من
الرمى، وعلى البئر، وعلى النار المحترقة، وفي المقهى، وأغاني الميلاد، وأغاني الزواج،
وقصائد الرقص، وقصائد النهب ... الخ) ، والقصائد الدينية مثل (الحج ، ومراثي
الموتى، ومزامير التضرع ...الخ) . ويعدده أصدر ليمان مجموع الأساطير المتداولة
وسط بدو فلسطين والأغاني المنتشرة بين الفلاحين، وجمع د كتعان الأقوال الماثورة
وسخریات عرب الريف قبل أن تختفى منها علامات الأسلوب القديم .ونشرت مادة
وفيرة استخدمها أولاً وقبل أى شئ باحثو الأشكال الأدبية في العهد القديم.
واستخدموا على وجه الخصوص أغاني الزواج للمادة الموازية في نشيد الأناشيد
واضطروا إلى عقد مقارنات أسلوبية ليس فقط على مستوى المضمون بل أيضاً على
مستوى الشكل واللفظ .

وهكذا استمر المجال واسعا أمام علم العهد القديم ليستمد هذا المنبع الجديد
مادة لهم أساليب الحياة، والحياة الاجتماعية لبنى إسرائيل في عصر العهد القديم.
وعلى الرغم من قدم هذا العلم فإنه كان لا يزال في مهده .وطوال العصور التي كان
فيها بحث العهد القديم إرث كهنة الدين وباحثيه فحسب، لم يتم الانتباه مطلقاً للبحث
الاجتماعي ، ولكن عندما فتحت كنوز شعوب الشرق اتسعت آفاق البحث، وألقي
الضوء أيضاً على حياة الأحداث الاقتصادية والاجتماعية .

١٠- بوهل

وبالفعل لقد تمت بعض الخطوات في هذا الاتجاه ، غير أنها بقيت متناثرة
وقليلة .وعلى عتبة هذا القرن الجديد كان قرانتز بوهل يحاول كشف صورة الحياة
الاجتماعية لإسرائيل في عصر العهد القديم، كما أن مؤلفي الآثار القديمة المرتبطة
بالعهد القديم رفعوا هذا الموضوع إلى مستوى فرع علمي قائم بذاته.

١١- هابر

ومنذ أن أسقط الحاجز بين بحث العهد القديم وبحث الشرق أعطيت الإمكانيات
لنعم الباحثين في تفسير الأحداث .وما أن المجالات قد اقتربت، بدأ الباحثون أيضاً
يتبادلون مهامهم، ويكملون كل واحد منهم الآخر .ويقدر ما اكتشف باحثو العهد القديم
اقترابهم من نقد الكتابات المسماة واتضح رؤيتهم لعالم البابليين، وطرق تطور

الدين في الشرق القديم بقدر ما اقترب مؤرخو الشرق القديم وياحتو النظم الاجتماعية القديمة من مجال حياة بني إسرائيل محترزين بوسائلهم البحثية وخبراتهم، ومتجهين إلى التفاصيل الخاصة بتفسير حياة المنطقة، وتركيب الطبقات الاجتماعية داخل جماعة بني إسرائيل، وعلاقات الطبقات ببعضها في الداخل وكذلك علاقاتها الخارجية. فكل من انوارد ماير المؤرخ العالمي صاحب المنهج الشمولي في دراسة الشعوب القديمة في كتابه "بنو إسرائيل وأسياب جيرانهم" يوعده ليमान - هويت أخرجا تاريخ بني إسرائيل القديم كلية من زاوية المنعزلة، وأخلاه داخل القوى العديدة في الشرق القديم. فلم يكتبها هم ومجموعة من الباحثين الذين انضموا إليهما - يبحث المقابلات الدينية والأدبية بين نتاج إسرائيل والثقافة الدينية لبقية شعوب الشرق فحسب، إنما تأملوا جماعة بني إسرائيل بوصفها جزءاً جوهرياً من جماعة شعوب الشرق، حيث تربطهم خيوط اقتصادية وسياسية كثيرة، وأثرت عناصر مشتركة في تطورهم منذ بداية تكوينهم.

١٢ - كلاينرث وفليبر

فحص باول كلاينرث باهتمام المنبع الاجتماعي، ومصدر الأهداف الاجتماعية لأنبياء إسرائيل، أما ماكس فيبر فقد أقرد كتاباً خاصاً لليهودية القديمة، وذلك ضمن مجموع أبحاثه عن الاجتماع الديني، حيث نظر إليها من خلال وجهة نظر التركيب الاقتصادي والاجتماعي لطائفة الفلاحين العبريين في العصور القديمة، ومن خلال الكتابات الفريدة المتناثرة في ثنايا روايات الأحداث في العهد القديم عن الجنود ورؤساء الجنود والمدن وأبطالها، والشيوخ ورؤساء بيت الآباء، الرؤساء ويسطاء الناس، المعدمين والمتعجرفين، الفقراء والمبغوضين، الأجنبي والمقيم، المرافقين والمواطنين، الملك وعبيده، الزهاد والأنبياء، العهد والقسم، فبرز له في ضوء أبحاثه الاجتماعية داخل كل الطوائف الدينية في التاريخ القديم، صورة شاملة عن الحياة الداخلية وسبل تطورها المثيرة للابتكار العلمي وبفعتها تجاه انتصارات جديدة في بحث تاريخ الثقافة العبرية.

١٣ - نقد النقد

لقد غيرت جماعة المؤرخين المتخصصين في التاريخ القديم والباحثين في الحياة الاجتماعية والثقافية بحث العهد القديم مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الجماعة

أصبحت خبرة بما فيه الكفاية في بحث العهد القديم، وإن لم تمتلك مطلقاً أرشيفات ، وقد كشفت عن أهمية فرعهم العلمي والنتائج التي توصل إليها نقد العهد القديم في تطويره التاريخي، وخرجت مفتقرة لقانون التطور الجوهري الذي وضعه فلهاورن بمثابة حجر الأساس لفهم الكتابات المقدسة سوياً مع تقسيم المصادر، وتحديد ترتيبيها وروحها، وفقاً لما رسمته هذه المدرسة .

وقد تطورت رؤية مدرسة فلهاورن عن تأخير زمن بداية حياة بني إسرائيل بفضل نتائج بحث المصادر مع قواعد البحث التي كانت مأخوذة جميعها من موضوع الأدب المبحوث . وتجددت الرؤية كثيراً مع الوضوح الكبير الذي جاء من خارج نقد العهد القديم والذي أضاع العصور القديمة وأزال الغموض حولها .

وما اعتبر سابقاً مجموعة منفصلة ومنعزلة تطور وتشابك داخل النسيج المتنوع للثقافة العالمية . وما رأوه من قبل فراغاً ، امتلاضجة بحياة مجتمع ونتاج جماعة .

القسم الثالث

النقد عند اليهود في القرن التاسع عشر

الفصل الثاني عشر

علم الدراسات اليهودية في الغرب

١ - مندلسون ومدرسته

عندما تعمق علماء العالم فى بحث أدب العهد القديم، أسسوا مجالات وكشفوا أسراراً . وتقدم الابتكار العلمى من انتصار إلى انتصار، وتحور النتاج المدفح لبني إسرائيل من "انتقال الموروث" التى تكسبت عليه خلال عصور عديدة، وينفس القوة وأصل التقدم فى هذا الجانب .

لرأينا فى العصر الوسيط أكثر من مرة قوة الاستتباط لدى بني إسرائيل ولم تتوقف روحهم الثائرة من أن تمهد طرقاً جديدة فى فهم العهد القديم ولا أكثر من مرة أثر ذلك أيضاً على بحث العهد القديم فى الخارج ورأينا فى عصر سبينوزا ضوما يتلفذ، ويبرز من مخابى التفاسير عند الإسرائيلىين ليضئ طريقاً لباحثى العهد القديم فى ذلك العصر . غير أن فى عصره كان المتبع غامضاً بالفعل . وطريق النقد، لم يتوقف ليصبح مألوفاً وسط كل أدب الماسورا، وداخل الأنب الجدلى وأدب المواعظ (الدراش) وعلم الباطن (السود) .

كما توقف أيضاً تعليم بحث العهد القديم عن احتلال المكانة الرئيسية فى المدارس التعليمية، وأفسح المجال للتلمود . وسيطر التلمود بالإكراه أيضاً داخل المجالات التى خصصت للعهد القديم وسار الشعب بصورة عامة وتأمل فى عصر العهد القديم من خلال زاوية التلمود والمدرش.

واستمر هذا الوضع إلى أن حدث التغيير الأساسى فى الحياة الروحية بين اليهود على عتبة القرن التاسع عشر . فحتى بداية هذه الفترة الجديدة تغيرت القيم أيضاً فى مجال العهد القديم وقد بدأ ذلك فى الغرب وبلغة أجنبية . فشق مندلسون لنفسه ولآرائه طريقاً بين اليهود بواسطة ترجمة جديدة للتوراة ، وعلى أساس من تفسيره لها . وكانت بداية عمله وعمل تلاميذه فصل طبقات المدرش والأسطورة وهو عمل تفوق على العمل فى أسفار العهد القديم ، وذلك بالعودة إلى ربي شموئيل بن مئير وابن عزرا وربي دافيد قمحى.

وتم التخطيط لعمل ترجمة ألمانية للتلاميذ ومعلميهم تكون حافزاً على الارتقاء بالذوق ، وأيضاً لنشر معرفة الألمانية بين اليهود . حتى لا يضلوا أنفسهم أكثر من ذلك وقد صدرت فعلاً الترجمة والشرح بعد أن اشتهرت كتب أستروك وأيشهون ويعد أن تجمع بالفعل حول أيشهون جيل من الباحثين ، غير أن هؤلاء أثروا على الترجمة

والشرح تأثيراً ضئيلاً فلم يذكر الربى موشيه مندلسون أستروك مطلقاً ، وذكر بالثناء "مدخل إلى التوراة" للأشبهين ، وسمح لنفسه أن يقتبس من عنده فقط الأقوال المتصلة بالاختلافات داخل التراجم، وكانت كل مادة البحث عن المصادر المختلفة للتوراة - التي ترسخت في ذلك العصر - لا تزال بعيدة عنه ومن أقوال موشيه مندلسون : "من الآن ليس هناك شك بأن موسى ربيفو عليه السلام سمع كل الأقوال بإرادة الله مع كل التقدير للتشكيل والتنظيم المنسوب إليها سواء في قواعدها أو تعبيراتها، والتي لم يخف منها أمر، وهكذا أعلنها ليشوع ويشوع للشيوخ، وهكذا تسلسل هذا التقليد المتوارث جيلاً بعد جيل ."

٢ - آباء علم اليهودية

وسار على مناهجه تلميذه اللذان اشتركا معه في عمل التفسير وهما : الربى شلومو بوفنا (في تفسيره لسفر التكوين) ونفتالي هيرتس فيزل (في تفسيره لسفر اللاويين) .

وإذا تجرأ مندلسون مرة وخرج في ترجمته ضد المفسرين المعترف بهم ، أسرع تلميذه ، وبقية أعضاء التفسير في البحث عن دعم لأقوال الربى في أسفار المفسرين الآخرين ، لتنقيتها بتلك الوسيلة في نظر القراء وإذا تشجع مرة شلومو بوفنا ويعدج عن المجالات التي حددها الربى واقترب من الأسئلة التي أزعجت الباحثين آنذاك، تغلب على رغبته واكتفى بإعلان ملاحظة أنه لا تزال عنده أقوال (انظر على سبيل المثال تفسيره لسفر التكوين ٦: ١٢ - فقرة "والكتعاني آنذاك في الأرض" فيقتبس أقوال الرب شلومو يتسحاقي ويضيف : "ولا تزال توجد لدى أقوال في هذا، وإذا أطال الله في العمر فسوف أفصل ذلك في موضع آخر) .

وتجنب أقوال مندلسون عن صور الشعر العبرى في العهد القديم وأنواع وزنه الثناء لنفسها فتمنذ ذلك الحين ساد في فكر العديد من باحثي العهد القديم اليهود الاعتراف بوجود وزن لقصائد العهد القديم فقال عزرياً من هانوميم " يقول لي عطلى، إنه يوجد بلا شك قواعد ونظم للأشعار المقدسة التي نكرنا، غير أنها لا ترتبط بعدد الحركات ، سواء في وحدة كاملة أو غير كاملة، مثل القصائد السائدة حالياً عندنا ."

وحاول أيضاً تحديد أشكال القصيدة في العهد القديم مثل "مقال ذو نمطين" يمينك

يهوه - معقزة بالقوة - يميناك يهوه - تحطم العنق (الخروج ٦:١٥) أو نو ثلاثة أنماط (انصتى إليها السموات فانكلم - ولتسمع الأرض أقوال فمى) (التثنية ١٠:٢٢)، وقرر : يجب علينا أن نتق في أن كل القصائد الموجودة في العهد القديم مثل أشوشدة البحر، والبئر ، وانصتوا ، وقصيدة ببوراً ومزامير دلوذ وأسفار أيوب والأمثال والمزامير، تحتوى جميعها على وزن ونظام .

ويدعم مندلسون هذه الملاحظات للرب عزريا ويضيف عليها أيضاً بركة يعقوب وموسى وأمثال بلعام ونشيد الأناشيد والمراثى. وإصحاحات مختلفة في أسفار الأنبياء، ويقسم أجزاء القصيدة على أساس أدوات القصيدة التى كانت منتهجة فى عصر العهد القديم والتى غُثيت على أساسها، وينصت بتنوع هام للوزن الواقع فيها.

وكان مندلسون أول من كشف وحدد وزن الموشية، المسلم به حالياً فى علم العهد القديم ("صياغة منظمة" للسطر ذى الثلاثة أنماط والسطر ذى النمطين مثل "فسقطت عنراء إسرائيل ولا تعود تقوم" (عاموس ٥: ٢) ، أو حسب تعبيره "تحدث بإسهاب وندب باقتضاب") وكذلك وزن أغانى الحب وقصائد المزامير ، وربما كان من ثمار تأثيره أن تلميذه الوفى شلومو بوفنا طبع آنذاك كتابه عن العزف (أسلوب الإنشاد) فى أسفار أيوب والأمثال والمزامير باسم صاحب مؤلف النظرية .

وأصبح العصر عصر هيرودس ، غير أن جوهر القضايا مرتبط بتاريخ تشكل أدب العهد القديم نفسه . ولم يتشجع بعد أنب الهسكالا فى ذلك العصر للاقتراب منها . وكان مندلسون يعرف بلا شك أن "الترجمين النصارى بما أنه ليس لديهم قبول لحكماننا طيب ثراهم ...فهم يتعاملون مع أقوال التوراة مثل التعامل مع سور محطم .. يضيفون ويحذفون ويغيرون فى ترواة يهوه وليس فقط فى التشكيل والنبر بل أحياناً فى الحروف والاختصارات . وعلاوة على ذلك فإنه لم يشجب كلية هؤلاء العلماء " ،لأنه طبقاً لمنهجهم التوراة ليست سوى مصدر "المعرفة الأحداث فى العصور القديمة مثل سفر أخبار الأيام ، غير أنه إذا قبل ذلك علماء الضعوب وتلاميذهم، فإنه ليس مقبولا لدى اليهود . "وهكذا تم تقرير مصير بحث العهد القديم فى مدرسة مندلسون.

٣ - الإصلاح والعهد القديم

كانت العناية بالتفسير الحرفى (البشاط) والارتقاء بالتنوع (النبر) تمثل الخطوات الأولى لحركة الهسكالا فى مجال العهد القديم وعلى مجد شيوخ هذه

المدرسة نشأ جيل من الباحثين دعوا قوتهم بتقويل فروع العلم وطرق البحث المتبعة في عصرهم لتدل على قدم إسرائيل واضطراب ماضيها والآراء العبرية التي تحررت ، صارت من أجل أحقية نشأتها وسيادتها التاريخية لتطبع أثرها أيضاً على القيم المسلم بها والمقدسة ، وكان من الضروري لعلم اليهودية أن يوضح أنه قد شهد حدوث تغيير داخلي في اليهودية أكثر من مرة ، حتى بعد أن أقرت بمصادرها المعترف بها ، بون تجميد لروحها ، أو لروح إسرائيل في السبي.

وباسم هذه الفكرة حملت أفكار حركة الإصلاح في الغرب ، والتي كانت آنذاك مصدر علم اليهودية بتوجهه تجاه عصور ما بعد العهد القديم . وقد كانت بداية مهمة علم اليهودية في ألمانيا تشويه حياة أجيال السبي ، التي تبدو متجمدة وثابتة.

٤ - يوم طوف ليفمان تسوننس

وفي عام (١٨١٨) نشر يوم طوف ليفمان تسوننس ، زعيم هذه الحركة العلمية ورائدها مؤلفه الأول الذي وجه فيه انتباه الباحثين اليهود وغيرهم إلى هذه الشعبة البحثية حتى قبل أن يعرف اسمها ، وقد وضع في مؤلفه قواعد هذا العلم كما وضع الأساس لتصنيف عصور ما بعد العهد القديم . وأطلق على مؤلفه اسم "قضية الأدب الرياني" وذلك بالتركيز على الريانيين وليس على اليهود جميعاً . وفي أحد مقالاته الأولى فسر موضوع : "أنب العهد القديم" بـ"أنه صيغ على أساس من الثقافة النصرانية ، ولذلك كثر الباحثون فيه ، أما الأنبياء المتأخرون فهو إرث اليهود وحدهم . وفي عصره نسي ذلك في بني إسرائيل ومن جيل ذلك الماضي ملزم بالاهتمام بهذا الإرث وبيحه .

وفي نفس الوقت جاهد تسوننس في سبيل وضع نهاية لفكر دي - فته . ووجه تسوننس نفسه لهذه المهمة مدعياً بالفضل لوجود منقذين للعهد القديم "وبناءً على هذا اعتبر تسوننس السماح ببحث العهد القديم بداية علم اليهودية . وتمسك بتلاميذه بهذا الأمر ، فنجد أنونارد جناس رائد الجمعية الأولى لعلم اليهودية التي تأسست (١٨٢١) ، في خطابه عن مهمة هذا العلم ، لا يدخل نقد العهد القديم في الحساب . وكرس تسوننس مؤلفاته لبحث أدب العصر الوسيط ، وعندما توجه بوست لكتابة تاريخ اليهود في كل العصور لم يكشف شيئاً جديداً مطلقاً في عصر العهد القديم . وصدرت

فى السنوات (٢٧- ١٨٢٨) ترجمة ألمانية كاملة للأربعة وعشرين سفرًا المقدسة تحت إشراف تسونس نفسه، وبصورة عامة اعتمدت هذه الترجمة على إرث مندلسون كما كانت مقيدة بالماسورا.

وقبل عام من إصدار الترجمة، أصدر هـ. إرنهيم تفسيراً باللغة الألمانية لسفر أيوب، ولم يسمح لنفسه بالابتعاد عن نص الماسورا. وقد كان إرنهيم أحد مساعدي تسونس الأساسيين فى ترجمته. وقد كان مرنحس مساعد تسونس الثانى وقياً للماسورا، فأصدر ترجمة وتفسيراً لسفر المزامير قبل عام من إصدار ترجمة تسونس، وعرف تسونس بعد ذلك أنه لا يمكن اتباع كل نسخ الماسورا، ومع ذلك فقد اعتمد عليها وكذلك فعل مساعده الأساسيان فى الترجمة، وقد أشى عليه أباء العلوم اليهودية فى ذلك الجيل.

لقد امتدح معظم مؤسسى البحث التاريخى بين اليهود البحث فى العصور المتأخرة، وأما عصور العهد القديم فكان الاقتراب منها غير مرغوب فيه. ومع ذلك فقد امتدح بصورة غير مباشرة، باستثناء بعض موضوعات البحث وبخاصة قصة الخلق فى العهد القديم، وأيضاً حياة الشعب وروحه فى عصر العهد القديم، وأما الموضوعات التى انتشرت بشكل واسع فهى تاريخ العهد القديم منذ تخطيطه، ومضمون هذا الأدب المقدس ومستقبله، والنسخ والتراجم وتفسيرها. وتم الاهتمام بالأسفار المتأخرة ذاتها مثل أسفار الكتابات وأخبار الأيام واستهل تسونس بحث هذه الأسفار فى تأليفه الكبير: "تاريخ المواعظ (الدارشانون)"، وبعامه نشاطها وقوة نتائجها. وحل تحت مجهر النقد سفر المزامير، ووجد فيه العديد من المزامير التى وضعت زمن السبى البابلى، وبعضها وضع بعد العودة بوقت طويل وبعد توضيح مفصل وضع قاعدة وهى: أن الترتيب الأخير لسفر المزامير بدأ فى عصر واحد مع تأليف سفرى أخبار الأيام. وحل بوضوح رائع مضمون سفرى أخبار الأيام ويحدد ملامحه التى اعترف بمعظمها كقانون من قبل كل باحثى ذلك العصر.

وقد كان رأى تسونس أن هناك هدفاً جديداً للمؤلف الذى يرجع عصره إلى زمن الهيكل الثانى، ولهذا الهدف أخضع المادة التاريخية المتوافرة أمامه. وقد فحص المؤلف الماضى القديم من وجهة نظر عصره وداثرته دائرة الكهنة، ونسب الشخصيات النموذجية المعترف بها عند الشعب القيم والأفكار التى قدست فى عصره.

وفى البداية لم تكن أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا سوى سفر واحد ، وكان غرضه أن يحكى للجيل كل تاريخ مملكة يهوذا ، وذلك فيما يتعلق بشأن الهيكل على راييته ، وكروسي داود فى موضعه ، وذلك من وجهة النظر المعاصرة لحكومة الكهنة زمن الهيكل الثانى ثم اكتشف أن هذا السفر وهو أول أسفار الدراش قد أُلّف فى عام ٢٦٠ ق.م ، وعلى أساس من هذه الحقيقة أدخل السفر فيما بعد داخل الكتابات المقدسة ، وعلى أساس من وجهات نظر أخرى قرر تسونس : أن العهد القديم قد تم قبل زمن بمار الهيكل الثانى بفترة قصيرة ، ويعد أن ترجم سفر ابن سيرا لليونانية . وقد تم الاعتراف برأى تسونس عن سفرى أخبار الأيام بكل ما فيه من تجديد وقد أقر به الربى نحمان كروكمل ، واتخذ كبناء أساسى لكل أسفار الكتابات من قبل أبراهام جايجر .

٥ - أبراهام جايجر

بدأ جايجر - بكتابه "النسخة الأصلية" الذى يمثل أساس كل مؤلفاته - يبحث زمن الهيكل الثانى منذ العودة من بابل وحتى عصر الحشمونيين ، كما يربط التأثير الحاسم فى أدب ذلك العصر بآبناء صانوق عشيرة الكهنة . فقد خرج من بينهم مؤلفو سفرى أخبار الأيام الذين رأوا أنه من الضرورى أن يؤلفوا لمعاصريهم من جديد كل ما حفظ فى الأدب التاريخى السابق عليهم ، لكن بصياغتهم ، أى صياغة الكهنة ، الذين يرون فى الهيكل وعمل الكهنة مركز حياة جماعة بنى إسرائيل ، وكان قلقهم الأساسى يكمن آنذاك فى محاربة النساء الأجنبية اللاتى استوطن وسط الجماعة وأثرن على روحها ، وقد وجد جايجر صدق لهذا الصراع فى العديد من التغيرات التى بدّلها مؤلفو سفرى أخبار الأيام عن روايات الأنبياء الأوائل فيها هو ذا يرد فى سفر الملوك الثانى (٢٢:١٢) "لأن يوزلكار بن شمعنة ويهوذا زاباد بن شومير عبيدى الملك يوأش فقتا فتنة عليه ، وضرباه فمات لكن نهض أصحاب أخبار الأيام وأفسأوا : وهذان هما الفاتتان عليه زاباد بن شمعنة العمونية ويهوذا بادا بن شمريت المؤابية" (أخبار الأيام الثانى ٢٤:٢٦) فأرادوا التحذير من أن الشر داخل فلسطين مصدره من يتخذ زوجة من بنات الأمم الأجنبية . ويسود صاحب سفرى الملوك ببساطة " نواحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيبونيات وحيثيات ... " (الملوك الأولى ١١:١) ، أما فى سفرى أخبار الأيام فقد

نهضوا وحققوا كل هذه الأخبار من رواياتهم عن حياة سليمان، حتى لا يسخر أبناء من هذه الذرية الكبيرة ، وكانت ابنة فرعون فقط هي التي كانت الأخبار بشأنها منتشرة بين الجماعة ولا يمكن سكوت البحث عنها، لذلك ذكروها بأسلوب عابر واستخدموها لهدف في تأليفهم : 'وأما بنت فرعون فأصعدا سليمان من مدينة داود' (أخبار الأيام الثاني ٨: ١١) ، وكما يبدو حتى لا تدنس المدينة المقدسة ببقائها فيها. وطبقاً لرايه وتحت تأثير هذا الصراع كتبت أيضاً مجلة روث التي تناقش التمييز بين الأجنبية والأجنبية - بين روث وعرفة .

وتظهر علامات تأثير أبناء هذا العصر في بقية أسفار الكتابات وأيضاً في إصحاحات نبوة إشعيا الثاني وزكريا الثاني (من الإصحاح ١٢ وما بعده)، ووضع جايجر بأقوال واضحة وجريئة قاعدة : كل عصر، وكل حركة روحية ، وكل شخصية ، أقصمت داخل العهد القديم بواسطتهم . ومعبرة عن وجهة نظرهم ومن هنا حدثت الإضافات والشروح وكشف المعنى بأسلوب التراش والرمز ... أما الوعي القومي والديني لكل عصر فقد اقترن كلية بهذه الثروة المقدسة، وعلى هذا الأساس أصبحت ملائمة له، فأبرزته داخلها وأنتجته بصورتها وعلى شكلها . "فكتاب جايجر بالكامل ليس سوى تفسير لهذا المضمون الكبير .

وقد تعقب جايجر الاختلافات بين الهالاخوت القديمة والهالاخوت المتأخرة، ووجدها قبل أي شيء داخل التراجم اليونانية والآرامية حتى أن عزريا من هاتوميم خصص في كتابه قسماً خاصاً للترجمة السبعينية، وحاول على أساسها وصف الطابع الروحاني لليهودية في الأسكندرية. واهتم قبله تسونس بتاريخ الترجمات في كتابه " تاريخ المواعظ " (الدارشانتوت) . كما اهتم شموئيل دافيد لوتساتو في مؤلفه ('حب الغريب') الذي ألف بالعبرية بصورة علمية بترجمة أونقلوس. وكانت الترجمة السبعينية موضوع بحث زكريا فراينكل، واعتمد جايجر على هذه المقالات العلمية عندما بدأ عمله الكبير لتأسيس تاريخ الترجمات وعمل أكثر من ذلك لفقد أترك أن في هذه الترجمات تظهر سمات العصر والتي يسببها كتبت كل ترجمة من الترجمات والتي حاولت أن تترك طبيعتها وطبيعتها أسلوبها على أقوال التوراة. وتقف في بؤرة الحياة الدينية للأجيال المتأخرة - زمن الهيكل الثاني - حرب الفريسيين ضد الصوفييين، وحامل ماسورا الكهنة وحراس النسخ.

ويعد ثورة بركوخبا أهمل سبب النزاع واعترف برؤى الفريسيين كقاعدة دون معارضة لها، وبدأ الفريسيون تفسير (نراش) التوراة طبقاً لروحهم وحسب تقاليدهم (هالاخوت) . وعرف جايجر صدى هذه الثورة من خلال أقوال الترجمات ويغير عقيلاس اليوناني كلية طبقاً للتقاليد (لهالاخوت) الجديدة الجوهر القديم للترجمة السبعينية، وفي نفس الوقت كان تنكوتيون وفيّاً للترجمة السبعينية ومنفذاً لأقوالها.

وقد سادت نفس اختلافات وجهات النظر بين التراجم الآرامية الموازية لها، أي بين أونقلوس ويوناثان وبين الترجوم الأورشليمي الذي ينسب ليوناثان وهو ليس له، والذي يشمل طبقاً لرأى جايجر إشارات عديدة للتقاليد (لهالاخوت) الأولية، ويحلل جايجر من خلال وجهة النظر هذه أسفار الحشومنيين فيظهر الاتجاه "الصدوقي" في السفر الأول و"الفريسي" في السفر الثاني.

غير أنه خصص معظم سفره للتغييرات التي طرأت داخل مادة العهد القديم، بقصد أن يكون قصد حكرير كل ما قيل قبله بشأن المقروء والمكتوب، مقراً سوفريم وزخرفة الكتب، وما شابه ذلك، تلك التي ذكرت في التلمود أو التي لم تذكر، وأضاف أبحاثاً من عنده عن تغييرات الحرف وتغييرات التشكيل، وكشف أمامنا أسلوباً كاملاً للتأثير المستمر والقائم بين وجهة نظر الجيل وبين تغييرات النص. فأخصى عدد كل التغييرات التي حدثت في العهد القديم لمفظ نقاء فكرة الألوهية، وتلك التي حدثت من أجل حفظ مجد بنى إسرائيل، وتلك التي حدثت من أجل الرغبة والتمتع بالانغماس في الملذات . وباختصار فإن كل جيل من الأجيال في بنى إسرائيل قد نظر في كتاباته المقدسة من وجهة نظره هو ونقص علامات القراءة سويًا مع فقدان التشكيل سمحت بمساحة واسعة لكل جيل أن يظهر شروحه للتوراة تتفق وروحه .وعندما تكون هناك ضرورة خاصة لأمر ما فقد مسحوا لأنفسهم أن يضيفوا ويحذفوا ويوضحوا ويفصلوا ، ويعيدوا ويعيروا ، لأن كتاب الكتب مفعم بالحياة ، ويرتبط بروح كل جيل .وفقط عندما زادت التعديلات والتحريفات وبالف المصححون في عدم جمعها، قام أصحاب الماسورا واصطلحوا على المضمون الوحيد والمميز وحددوا علامات (رموزاً) وأغلقوا الباب في وجه التحريفات.

ومع أن كتاب جايجر لم يقترب من تاريخ تكوين العهد القديم، فإنه في أبحاثه عن تثبيت النصوص وعن أطوار الكتاب بعد التثبيت أفسح طريقاً للنقد العلمي ومن

الأفضل إضافة أن كتابه لم يلق قبولاً حسناً في بيئته وفي الدوائر القريبة منه، حتى أن المجلة الفصلية "كتاب شهري لتاريخ اليهودية وعلمها" التي تصدر في مدينة جايجر تجاهلت الكتاب . وكان ليروولد ليف مناقض للإصلاح في المجر الوحيد الذي ذكر الكتاب بالثناء من بين اليهود .

٦ - ي . بريستد ، و . ش . بلوخ

ومن أجل هذه المشكلة الخاصة يبحث قضية القانونية وجمع كل المادة التي تبرهن على قانونية العهد القديم وتفصيله، تفرغ لحلها في فترة واحدة اثنان من الباحثين اليهود الألمان هما نيوليوس بريستد و . ش . بلوخ ، فالأول صاحب "تاريخ أدب العهد القديم والأدب الهلينستي" نشر في مجلة "الشرق" (أورينت) سلسلة مقالات جمعت بعد ذلك في مجموعة واحدة بعد عشرين سنة من صدورها لأول مرة . وتضمنت ثروة عظيمة عن معرفة أسماء أسفار الكتابات المقدسة ومعرفة مؤلفيها وتقسيمها وترتيبها من خلال أدب التلمود والمدراسيم . ويبحث الثاني هذه القضايا في فصلية "رمر" في سلسلة مقالات. جمعت بعد ذلك أيضاً في مختارات أدبية ويبحث على وجه الخصوص في الأسباب التي أدت إلى الاعتراف بالقانونية ، ونقد أقوال البرايتا المعروفة في (بابا باترا ١٤ ص ٢) عن ترتيب الأسفار وكتابها . ونفى عنها القيمة التاريخية، ووضع خاصة مهمة رجال الكنيسة الكبرى في تاريخ تثبيت العهد القديم .

ويلا شك فقد أثارت هذه الآراء في حينها غضباً كبيراً . وقد أصبحت هذه الآراء في نقد العهد القديم متبعاً متدفقاً للصراع الذي دار حول حركة الإصلاح الدينية ، وبالتأكيد ، وقد اتحد هذا الفريق ضد أبحاث ونظريات علماء العهد القديم غير اليهود . غير أنه في الوقت الذي استسلم فيه الإصلاحيين ، حرصوا على نقد العهد القديم ، واتبعوا مناهج هذا العلم وقد لاحظ معارضوهم هذا فاتهمهم بأنهم بمثابة وسطاء للخطيئة وحاربوهم في سخط شديد .

غير أنه بسبب هذا الأسلوب التقليدي للبحث العبري في مجال النقد العلمي للعهد القديم ، لم يكف مرة ثانية بمسألة البحث في إقرار العهد القديم فحسب أو في مسيرته منذ عصر الإقرار، فقد انكشف عنه الستار وتجاوز قصة الخلق ، وعلى أية حال فقد نشجت العلوم اليهودية وبدأت تتحرر تدريجياً لتصبح أدوات خادمة للحركات الاجتماعية والدينية المختلفة.

ومع ذلك اختفى علم العهد القديم الشامل وخرج على أساليب تعدد الأجزاء والتكميلات تلك الأساليب الغريبة جداً للباحث العبري الذي يعيش على المصدر العبري للعهد القديم وظاهر على المسرح جراف رويس ، وكذلك كيوجن واستمرت الآراء في الظهور والتبلور في أسلوب شمل مؤسس على قواعد التطور المدرج وأنداك اتسعت حدود نقد العهد القديم أيضاً وسط بوائر اليهود ، وشقت الآراء الخارجية طريقاً لها ، وبدأ الباحثون اليهود الخروج من انغلاقهم مزودين بأدوات بحث جديدة ، وفحصوا قضايا مؤلفات العهد القديم في ضوء الحرية الداخلية والموازنات العلمية.

٧- ح . شنتينيل

وكان حاييم (هرمان) شنتينيل أحد المؤثرين الأوائل في هذا الاتجاه . ف هذا الباحث اللغوي الحسن الروح والرفيق الإحساس تتبع جذور لغة البشر وسر تطورها ، ونشر في عام (١٨٦٧) في مجلته الشهيرة "علم نفس الشعوب وبحث اللغة " بحثه عن أسطورة شمشون وكان لا يزال مبتعثاً في مجال نقد العهد القديم ، قبل أن يتشجع ليحسم بعض القضايا المبهمة " . ولم ينشغل بقضية قيمة أسفار العهد القديم كمصادر تاريخية ، أو زمن تأليف الأسفار المختلفة أو علاقة هذا بذاك حيث كان لا يزال النقاش في هذه الموضوعات مستمرا ومتواصلا ، وفي محاضراته عن تطور أسطورة شمشون ، عالج المادة الميثولوجية الممجة داخل أسفار الأنبياء والمزامير ، واستخرج من داخل النصوص ونظم - قبل جونكل ثلاثين سنة - كل ما يوجد داخلها عن رهب ، والحوث ، والتتين والحية القديمة ، وقارن الخرافة العبرية الموجودة في العهد القديم مع تلك الموجودة عند شعوب الشرق وميز بينها ووصف مضمون كل منها وصفاً دقيقاً ، وألقى الضوء على الأصول اليونانية لأساطير العهد القديم.

وصارت هذه الأحوال شائعة ، والزمن أصبح زمن بزوغ شمس إرنست رينان - هذا المؤرخ الفرنسي الذي كان يبدو وكأنه محايد - ولم يشبوا اسمه سرا للمؤسسى علم العهد القديم المسلم به ، فقد قام في كتابه "تاريخ شعب إسرائيل " بتحديد روح بنى إسرائيل وتحديد الملامح المميزة للشخصية القومية لجنس بنى إسرائيل ، تلك الجماعة الشرقية ، وبناءً على ذلك تغفل في عمق التوحيد عندهم وقد وضع قاعدة وهي : أنه لا توجد أساطير في بنى إسرائيل خحياة أبناء سام ذات الطبيعة الصحراوية المهجورة والمنفية مفتقرة للتتوع ، وعديمة الخيال ، لم تنجح في إنتاج أساطير قوية

ومتنوعة مثل بيئة الروح الهندية الجرمانية متعددة الالهة . وبناءً على هذا فإن عقيدة بني إسرائيل بوحداية الالهية هي من نتاج صفاء الصحراء وربابتها .

وتظهر أقوال شتيفتيل بشأن أسطورة شمشون وكأنها تحتوي على افتراض رينان، الذي اعتبر بمثابة إهانة (ازدراء) لبني إسرائيل ، ولأجل ذلك تم تداول أقواله في بعض دوائر يهودية لا تعير اهتماماً لمثل أقوال النقد هذه.

٨ - | . جولدتسيهر

وبعد مرور حوالي عشر سنوات استجاب لرؤية شتيفتيل مساعد يضاهيه، هو اجنتس جولدتسيهر. وإذا كان الأول باحثاً نفسياً شاملاً ومسيطرًا على كنوز لغة وأدب الرومان واليونان، فإن الثاني كان ودياً للشرق ومسيطرًا على كنوز لغة وبيئة العرب وشعوب الشرق . وفي ضوء معارفه تلك ، فسر المادة الميثولوجية العبرية التي دمجت داخل قسم الآباء وروايات القضاة في تصوراتها التاريخية لعظماء جماعة بني إسرائيل وأيضاً داخل ثايات اللغة العبرية نفسها . وقد أسس كل تجديداته واكتشافاته على أسس نقد العهد القديم المنتهجة في عصره . وأعلن جولدتسيهر في بداية كتابه " : وكأساس لأبحاثي ، استخدمت الأسس التي حيددا جراف وأيدها كوين ، وحالياً يدين لهما كايزر وبوم . " وقد صدر الكتاب في وقت واحد مع كتاب فلهاوزن .

غير أنه قد مرت عشر سنوات بين مقال شتيفتيل الأول الذي منه بدأ النضال ضد رينان وبين ظهور كتاب جولدتسيهر الذي حدد فيه أسس الميثولوجيا في العهد القديم . وكانت هذه السنوات العشر سنوات انتصار لنقد العهد القديم داخل مجالات العلوم اليهودية في الغرب .

٩ - ك. كوهلر

وفي عام (١٨٦٧) نشر لسكوهلر مؤلفاً عن بركة يعقوب حاول فيه أن يمرر تحت مجهر النقد الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين، ويحدد على أساسه زمنه . ولأجل هذا راجع بإمعان تاريخ كل سيط من أسباط إسرائيل ، وقابل وضعه في عصور مختلفة بالسمات الشخصية التاريخية المجموعة في مواد هذه الأنشودة ، وحدد على أساس هذا النقد زمن تأليف أنشودة هذه البركة وأرجعها إلى بداية عصر القضاة في فلسطين.

ومرت أربع سنوات وظهر باحث يهودى آخر صاحب تصور شجاع ! فمهد سبلاً جديدة لتفسير قصص الأساطير الخاصة بالآباء . وهذا الباحث هو أهرون بيرنشتاين . من تلاميذ تسونس . الذى كتب وهو فى الثلاثين ترجمته وتفسيره لسفر نشيد الاناشيد وضم إليه تسونس مقدمته المشهورة المتضمنة فى وسطها باختصار شديد استعراضاً شاملاً لكل تاريخ تفاسير هذه المجلة ، وكان قد نشر آنذاك كتابه "مصدر الأساطير عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب" . والتزم الباحث بنتائج النقد بشأن تقسيم المصادر ، فكان لا يبحث سوى المادة الأسطورية القيمة التى كانت أمام أصحاب المجموعات التاريخية، أى الألوهيمى واليهوى . وما حكم هذه المادة القديمة، ومن أى المصادر أنت ، ومن أى الأجزاء وهل هو نفسه مركب ؟ وما هى علاقة هذه الأجزاء بتلك ؟ . وتحرر من كل رأى سابق مقروء كان أو علمياً ، وغاص فى مخابى العهد القديم ليكشف مصدره وقصة تطور تلك الأساطير القديمة التى ضمت فيما بعد الأسطورة عن عشيرة الآباء ، كما هى أمانا فى المصدرين اليهودى والألوهيمى . وظهر له من أبحاثه، أنه فى البداية لم يكن هؤلاء الأبطال الثلاثة - إبراهيم وإسحاق ويعقوب - ثلاث جماعات فى سلسلة واحدة كما هى أمانا . ولم تكن أيضاً ثلاث صيغ لمادة روائية واحدة كما اعتقد آخرون بل إنها ثلاث مجموعات أسطورية مميزة وكل واحدة منها مرتبطة بمركز دينى وتاريخى آخر ، وأن كل واحد من هؤلاء الأبطال الثلاثة يستخدم كآب لنفس المركز . وقد لاحظ أن الأساطير عن إسحاق - وهى طبقاً لرأيه الأكثر قدماً - كانت منتشرة فى بنو سبى ، والأساطير عن إبراهيم كانت جنودها فى حبرون ، والأساطير عن يعقوب أساسها فى بيت إيل . هؤلاء الثلاثة هم ثلاثة آباء لثلاثة أماكن مقدسة فى مناطق مختلفة فى فلسطين، والذين لم يتصل أحدهما بالآخر مطلقاً .

وبعد ذلك، عندما اقتربت الأساطير من بعضها وتنافست ضد بعضها البعض ، بدأت الأساطير تنتشر بينها ويقتبس كل سبط من الآخر ، ولفظ بعد مرور مئات السنين تكون شعب كامل على تلال الأطلال الثقافية للسبط والمكان المقدس . واستمرت هذه الأساطير المقدسة واكتملت فيما بينها ، وتكيفت الواحدة مع الأخرى حتى صارت الثلاثة رواية واحدة ، وحتى صار أبطالها الرئيسيون حقيقيين داخل إطار واحد : الأب والابن والحفيد وحتى عصر يريعام - عندما كانت الحرب منتشرة بين يهوذا وإسرائيل

- انخلوا الآباء في الحرب، فمن خلال الأساطير عن إبراهيم الأب ليهوذا (حبرون) وعن يعقوب الأب لإسرائيل (بيت إيل) أدرك بيرنشتاين مدى متزايدا من هذه الفترة عن الانفصال والكراهية. ومع سقوط إفرايم أخذت العلاقات بين يهوذا وإسرائيل تتقارب ، ومع هذا تتحد وتكتمل الأساطير عن أباؤهم ويعد سبى السامرة وخراب بيت إيل، سببت إسرائيل من أرضها، ونسبت كراهية الأسباط من القلب. وضم أنبياء يهوذا في وسطهم موروثة مؤلفات كل أسباط إسرائيل، وصار إبراهيم وإسحاق ويعقوب آباء الجماعة بكاملها.

لأدب شعوب الشرق وأساطير بابل وأشور لم تكن قد عولجت قبل عصر بيرنشتاين ولم توجد أمامه مادة للمقارنة. وما قد فهمه لم يفهمه إلا من خلال النصوص المقدسة ذاتها ومن خلال أسفار الأنبياء الأوائل التي استخدمها كوسيط تاريخي لشرح المؤلفات الأسطورية في سفر التكوين. ومن أجل تدعيم وجهة نظره بكل تفاصيلها ، وتوضيح كل نقاط الأساطير كان يبتعد أحيانا عن السير وراء خياله ، غير أن جوهر كلامه فتح فصلا جديدا في نقد العهد القديم في علم اليهودية .

١١ - دافيد كاسل

ولم نفس الفترة بذلت المحاولة الأولى للتغلغل داخل تاريخ أدب العهد القديم رغبة في تفسير عظمته ولكن ليس على أساس عصوره، بل على أساس الأنواع الأدبية. فظهر دافيد كاسل ليكمل في كتابه عن تاريخ الأدب العبري التأمل في أسفار العهد القديم من خلال وجهة نظر جمالية وذلك بعد ظهور هيرز . فقسم كاسل أدب العهد القديم إلى أجناس شعرية ونبوية وقانونية وروائية يميز في الأدب الشعري بين القصائد النبوية والأشعار الدينية، وبين أشعار الطبيعة والقصائد القومية. وشيئا فشيئا نشر من داخل العهد القديم أشعار الربيع وأشعار الحقل، وقصائد البحر وأشعار الغضب، ويتبع أنماط وصف العهد القديم لعالم الحيوانات والنباتات، ويفحص الأشعار القومية عالج من خلال العهد القديم أجزاء شعرية مرتبطة بحدث تاريخي (صفحات كتفان، حدث بلعام، بركة كل من إسحاق ويعقوب وموسى، أنشودة البحر وأنشودة البئر، وأنشودة بئورا ورثاء داود) وجمع قطعة مع أخرى مثل منسق اللؤلؤ وكشف لنا عن تاريخ شعري كامل لحياة بني إسرائيل. ويهذه الحماس ألقى الضوء على أسرار النبوة، وتعمق في الصورة الروحانية ، وطرق سمات كل نبي من الأنبياء.

ومما لا شك فيه أنه لم يقبل دائماً أسس نتائج العلم في ذلك العصر بشأن تحديد زمن الأسفار .

وهكذا فإنه ينسب على سبيل المثال الإصحاحات الأخيرة من سفر المزامير لزمن العودة من بابل، ويرى أن بعضها ثمار تكليف داود وسليمان وأن يوشع سابق على عاموس . غير أن أسلوب فحمه وحيوية نقده تركا أثراً جيداً، وجذب الانتباه إليه بين دوائر الباحثين اليهود في الغرب .

١٢- تسوننس في نهاية حياته

غير أن تسوننس نفسه قد تعمق في بحثه وكان مدعشاً في نتائجه أكثر من الآخرين . ففي نهاية حياته توجه مرة ثانية لألب العهد القديم، وتشجع هذه المرة في التوجه لحقيقة النقد العلمي لأسفار التوراة الخمسة . وقيل أن يرى الجماعة اليهودية ناضجة بما فيه الكفاية لتقبل بجدية ملائمة مثل هذه الأبحاث، وجد من الواجب عليه أن ينشر أبحاثه عن "نقد العهد القديم" في المجلات الخارجية . فنشرها في فصلية "الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية" . أما أبحاثه المتأخرة عن سفرى التكوين والخروج فلم ينشرا مطلقاً . وعرفنا للجمهور من خلال مجموعة مقالاته التي نشرت بمناسبة الاحتفال ببلوغه الثمانين ويظهر أمامنا تسوننس في ثانيا رؤوس الأقلام هذه محنكا . وما هو ذا قد تعمق ونشط في بحث العهد القديم وهو كتلميذ وفي لندى - فته بدأ أبحاثه بتحليل نقدي لسفر التثنية . فقسم السفر إلى ثلاث وحدات (١-١١)؛ (١٢-٢٦)؛ (٢٦-٢٩)؛ (٢٩-٣٤) حيث تميز بينهم أحداث متفرقة ومتأخرة ومختلطة في ثانياها . وألفت الوحدات الأولى والثانية . طبقاً لرأيه . قبل تعليق يهوياقيم ، وهما سويا مع التوبخ في الإصحاح (٢٨) يمثلان مضمون سفر العهد الذى وجد عام (١٢٢٢ ق.م) كما هو مكتوب في سفر الملوك الثانى (٢: ٢٣) . ويرى جيدة - لم تكن متوافرة لندى - فته - مؤسسة خصوصاً على بحث اللغة العبرية فحص التعابير والألفاظ، معززاً ذلك بسلطة معلمه ، فدم من جديد الراى الذى عرف في عصر دى - فته كقاعدة، وهو أن سفر التثنية أقدم أسفار التوراة .

وقد أحصى ستين تعبيراً في بقية أسفار التوراة غريبة عن البيئة الدينية لسفر التثنية، وحدد أنها عرفت سويا مع هذا في سفر التثنية قبل أن يعرف في إسرائيل:

قدس الاقداس والكاهن الاكبر وعيد الكوريم وعيد الاجتماع ، ولا يوجد نفخ في البوق ولا البيويل ، ولم يقطع ولم يخصص أسلوب القرايين كما هو موجود في الإصحاحات الأخيرة من التوراة ، وأقدم قسم في سفر التثنية هو "بركة موسى" . "وكما يبدو فإنه سابق لإشعيا ، ويتناسب لأقسام الشعر والأدب القديم الذي أدمج في التوراة " وأما المتأخرة في الأقسام فهي أنشودة "انصنوا " التي مصدرها زمن سبي بابل .

وفي كتابه "تاريخ الموعظ (الدارشانون) لاحظ تسونس الزمن المتأخر لسفر حزقيال ، غير أنه حلل أسلوب النبي ولغة واستنتج من خلال رؤاه وتعبيراته صورة شاملة عن حياة الطقوس ونظم الهيكل في عصره ، وحدد على أساس ذلك أن مؤلف السفر عاش في الأعمار (٤٤٠-٤٠٠ ق.م) ، وأن الأعمال التي يرويها حدثت قبل ذلك بزمن طويل ، ولذلك فليس لأقواله أية قيمة كوثائق تاريخية .

لقد ساعدت النتائج المتزايدة والأساسية على فهم عالم العهد القديم وفيما يتعلق بنظريته عن تورا الكهنة فقد حدد - مثل كيويين الذي كتب قبله بسنوات قليلة ومثل فلهاويزن الذي ظهر بعده بسنوات قليلة - القرابة الدينية بين سفر اللاويين وسفر حزقيال حيث إنهما انعكاس بيته واحدة سائدة فيهما ، هي وجهة نظر الكهانة المتأخرة ، وها هي القاعدة التي حددها " سفر اللاويين أحدث من سفر التثنية ، وأكثر حداثة من سفر حزقيال ، وكتب زمن الهيكل الثاني عندما كان موقف الكهنة قوياً ، وأسلوب القرايين معدداً ومفصلاً بمعنى حوالى ألف سنة بعد موت موسى " .

وعلاوة على ذلك فقد دعم رأيه على أساس من رؤى جديدة لم تكن مستمدة فقط من تاريخ الطقوس ، بل أيضاً من خلال الآراء التاريخية في السفر (لأن جميع هذه الرجاسات قد عملها أهل الأرض الذين قبلكم فتنجست الأرض ، فلا تقذفكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب قبلكم (اللاويين ١٨: ٢٧) يعني أن هذه الأقوال قيلت بعد زمن طويل من ترك سكان الأرض القدماء ، وعقاب الرجم بسبب خطيئة لعن الرب (١٦: ٢٤) متأخر ، وقضية التيس لعزازيل (١٦: ١٠) - يشهد فعلاً على تأثير الديانة الفارسية وغير ذلك .

ويخصص فصلاً واحداً في ملاحظاته لمجلة أستير ، نفى فيه عن هذه الرواية أي أساس تاريخي ويرهن أن عيد البوريم ليس سوى بقايا عيد سابق للاستيطان عند يهود فارس ، وأن اليهودية القديمة لم تعرف هذا العيد مطلقاً .

وفى كتاب الاحتفال بيوبيله أضاف بعض رؤوس الأقسام عن تركيب سفر التكوين، وسفرى الخروج والعدد .فقسم سفر التكوين لمصدرين أحدهما يستخدم الاسم يهوه والآخر يستخدم الاسم ألوهيم ويشير بوضوح شديد إلى خاصية ومضمون كل واحد منهما ومضمونه ويوافق أقوال بيرنشتاين فيما يتعلق بالتناقضات بين يهوذا وإسرائيل التى يسمع صداها من خلال الأساطير عن الآباء .ويعد أن يوضح المادة التاريخية التى جمعت داخل السفر يحدد قاعدة :أن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود فى فلسطين. ويعد أن تحصن الأسباط فى إرث استيطانهم بزمان طويل، وأن مؤلف السفر لم يكن موجودا على كل حال قبل عصر إشعيا .أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد فيرى أنهما "معالجة لأساطير وأشعار قديمة"، ويصدر الحكم التالى : "إن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة فى التوراة بين أنشودة موسى الموجودة فى سفر الخروج وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد، هى فى مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة .وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات. والازواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة .ومن الصعب علينا فهمها .وفى كل السفر كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما .كما أن أقوال داود قليلة فى سفر آخر (منسوب إليه)".

١٣- المحافظون والمصلحون :هوفمان وميبوم

ولم يتوجه شخص ما من بين اليهود فى عصره لبحث العهد القديم بروح متحررة وإيمان بنتائج بحثه مثله، وقد كان الذين عبروا ودعوا نتائجهم بوضوح أقلية فى عصره .ومنذ ذلك الحين حققت حدة تنكر العلماء اليهود فى الغرب لأعمال النقد المتبعة فى الخارج ونتائجها .ولم تقبل كل أقوال تسونس كقاعدة ، كما لم يتقبلها بعودة كل العلماء اليهود حتى هؤلاء الذين قدروا تسونس وأحبوه لم يقبلوها بعودة ، كما كان هناك أيضا أولئك الذين رفضوا معتندين اجتماع اليوبيل الثمانين لأنه لم يناقش أقوال الجنيزا . واعتباراً من اليوم التالى بعد الاحتفال بيوبيل تسونس فى كل جمعيات العلماء اليهود .ويعد الانتهاء من مدح الريى رأى دافيد هوفمان من الواجب عليه أن يدافع عن اللجنة التى أقامت الحدث، وأن يدافع عن طبع رؤوس هذه الأقسام، غير أنه لم يتمسك بواجب الالتزام باحترام الرب وبالسلك الجيد أمام حرية الابتكار.

وبما أن الأقوال قد صدرت - وصدرت هذه المرة من السيد - لم يكن ممكناً منع تسرب هذه الأقوال بعمق داخل صفوف العلماء اليهود . واحتل بحث العهد القديم الحر منذ ذلك الحين حق المواطنة داخل علم اليهودية في الغرب على الرغم من كل رافضيه.

١٤- جريقتس بوصفه وسيطاً

نهض المؤرخ هـ جريقتس كوسيط بين المعسكرين ، معسكر الذين التزموا بالنقد العلمي ، ومعسكر الرافضين له فنشر في فصليته أبحاثه عن أسفار الجامعة وأستير ، ويوئيل ونشيد الأناشيد ، وحزقيال وعزرا ، والمزامير وإرميا والأمثال على التوالي . وجمع في أبحاثه المفصلة كل آراء الباحثين العلميين السابقين عليه ، ووضحها مع إصدار أحكام عليها ، وبمساعدة حسه التاريخي وخبرته الكبيرة في نقد المصادر ، مهد لنفسه طريقاً للتأليف عن أسفار الأنبياء والكتابات غيبية لمقدمته لسفر المزامير بقوله " لم أكتب أبحاثي رغبة في تغيير فرة داخل النص المعترف به . " وقسم سفر إشعيا ستة أسفار ، كتبت في أزمنة مختلفة (عاش إشعيا الأول في عصر يوثام وأحاز وحزقيا ، وكتبت الإصحاحات (٢٤-٢٧) في عصر يوشياهو، وكتب الإصحاحات (٣٤-٣٥) مباشرة بعد الخراب وكتب الإصحاحات (١٣-١٤) بعد حزقيال بثلاثين سنة وبعد ذلك تأتي إصحاحات أنشودة إشعيا الثاني (٤٠-٦٦) ، وبعد ذلك كتبت فقط العبارات ١-١٠ من الإصحاح الحادي والعشرين) . وقسم سفر إرميا إلى أجزاء مختلفة . ووجد في سفر زكريا أقوال ثلاثة أنبياء ، أقوال النبي الأول تشمل الإصحاحات (١-٦) وعاش في عصر هوشع ، وتشمل أقوال الثاني الإصحاحات (٧-١٢) وكان في عصر يهوياقيم وصديقياهو وتشمل الإصحاحات (١٢-١٤) أقوال النبي الثالث باستثناء (١٣: ٧-١٩) الذي تنبأ بعد العودة من بابل ويحصى في سفر هوشع نبين ، تمثل (الإصحاحات ١-٣) أقوال الأول وتنبأ في عصر يريعام الثاني ، وأقوال الثاني متضمنة في (الإصحاحات ٤-١٤) وكان في عصر تجلات فلاسر وشلمانصر وكان آخر الأنبياء في مملكة إفرام وكان معاصراً لإشعيا ويحدد زمن النبي عوبديا بعد الخراب في زمن واحد مع مؤلف الإصحاحين (٢٤-٣٥) من سفر إشعيا .

وينسب أسفار الكتابات إلى زمن الهيكل الثاني ، وطبقاً لرأيه فإن غالبية المزامير قيلت بعد العودة من بابل ، وبعضها في عصر الحشمونيين . وألف سفر دانيال زمن

سلطان المقلونيين - سويًا مع أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا ، والتي كانت طابعًا لرأيه في البداية سفرًا واحدًا وينسب الإصحاحات الأولى والأخيرة من سفر الأمثال إلى ما بعد العودة ، وينسب لنفس الفترة المقدمة والخاتمة في سفر أيوب وينسب سفر الجامعة إلى عصر هيرودوس وروث إلى عصر الغزو اليوناني ، ونشيد الأناشيد إلى عصر المقلونيين ، أي خمسين سنة قبل حرب الحشمونيين .

غير أنه عندما توجه إلى تاريخ أسفار التوراة الخمسة ، تجرد على الفور من حرية النقد ، ولم يعر انتباهاً لإدراك أي تغيير أو أي غموض وقد كان مجبراً على الاعتراف بأن سفر التثنية وجد في عصر يوشيا ، غير أنه لم يؤلف في ذلك العصر بل نُشر فيه ، و كان فعلاً في النصوص القديمة ، ولم يكن سفر التثنية أول أسفار التوراة بل الأخير . أما بقية أسفار التوراة بما في ذلك سفر اللاويين ، فينظر إليها من وجهة نظر "مؤلف متجانس ، حيث توحد كل أجزائها علاقة فنية ومنطقية . "ويما أن هوشع وميخا وإشعيا كانوا عارفين بوجود توراة موسى ، فيلهم من ذلك ، أن التوراة ألفت أو نشرت على لسانه قبلهم ، وهذا يعني في عصر أحاز . وقد كانت التوراة كلها فعلاً في عصر حزقيا هو مصاغة لمصدر حياة الملكة ويغضب شديد دافع عن الماسورا بشأن وحدة التوراة ضد سلطان نقاد العهد القديم رواقضى المصادر بداية من ابن عزرا ونهاية به ندى - فته ، وانضم إلى المدافعين من بين الباحثين الكاثوليك ، غير أنه تجاهل استفساراتهم عن تناقضها والاختلافات حولها .

١٥ - مساعود جريثس

وبهذه الروح سار عمل النقد في الفصلية العلمية التي كانت تصدر بتحريرو جريثس (في مقالات : يستروف ، ويغنر ، وهوفين وتريل ، ويرند ورم) وسادت المدرسة البينية للريانيين في برسلو والتي كان يديرها جريثس ، وكان يعلم فيها روزين العهد القديم . تلك الحرب التي حاربها جريثس ضد نقاد التوراة دعمته ودعمت كتابه الضخم الذي لقي قبولاً أيضاً بين طائفة عريضة وجعلته كتاباً جماهيرياً بين اليهود ، ومع ذلك لم يعرف تطور نقد العهد القديم بينهم . وكتب تونس رؤوس أقلامه المذكورة آنفاً في نفس السنة التي نشر فيها جريثس الجزء الثاني من كتابه التاريخي ، كما أن أعمال جايجر وتلاميذه لم تفشل فشلاً ذريعاً ، وعندما نشرت كتب فلهاوزن ومدرسته ، وجدت أننا صاغية في معسكر الباحثين اليهود .

ومن "مدرسة الريانين" التي أسسها هيلنرهم في برلين رفع أ.برلينر رئيس المدرسة راية الحرب ضد نقد العهد القديم ، وتحقيق هذا الهدف الجري بدأ "معجم علم اليهودية " ، ونشر فيه دافيد هوفمان أبحاثاً ظهرت بعد سنوات عديدة عندما أعاد صياغتها وجمعها سوياً ، وهاجم في هذه المقالات بشدة متزايدة انتصارات النقد ووجه سهامه أساساً ضد الرأي الذي أسسه فلهاوزن بأن سفر حزقيال سابق لسفر اللاويين ، وقد حاول سوياً مع المحافظين في الكنائس والمعتدلين من الباحثين - الملمان ويردينكل وغيرهما - تقويض أسس النظرية التي تؤخر تورا الكهنة إلى عصر العودة من بابل ، وتحرف ترتيب الأسفار داخل التوراة . ولم يكتب هوفمان بالتناقضات فحسب ، بل توجه لينشر تفسيراً جديداً للتوراة ليثبت الطرق الملتوية ، ويعيد مجد الماسورا لوضعها السابق.

ومن ناحية ثانية تم الاعتراف بأقوال تسونس كقاعدة لها في "المدرسة الدينية لعلم اليهودية" التي أسسها جايجر في برلين ، ويظهر س .مايبروم رئيس المدرسة بمثابة تلميذ مخلص لفلهاوزن في كتبه عن النبوة ، وتطور الكهانة في إسرائيل ، فاقطعى أثر لفلهاوزن في ترتيب تاريخ العبادة عند بني إسرائيل ، ويرى نقطة الثورة في تركيز العبادة في عصر يوشياهو ، وسلطان الكهنة بعد عصر عزرا وهو مثل فلهاوزن يرى أن سفر التثنية ثمار الثورة الأولى ، وأن تورا الكهنة تتاج الثانية . ووصفته تلميذاً في مدرسة فلهاوزن وقف إلى جانبه ضد ناقديه . ثم يوضح للنقاد اليهود ، فيربط أقواله بجايجر وتسونس وحربه ضد جرميس ، الذي يرى في نقد التوراة مصدر ازدياء لها ، وتقليلاً لاحترامها . وهو يعرف فطنة القارئ العبري المهتم باحترام التوراة ، فيوضح بوجاحة عقل حسن لسامعي درسه أنه لا يمكن رؤية المحررين والمعدنين المتأخرين برؤية المزيغين عن عمد ، بل إن هذا قانون الروح الدينية لتوصيل قيم الماضي الإعجازي ، ومثالياته لجيلها وذاتها من خلال فهم كامل ومتجانس معا .

١٦- م . لتسروس

وضع م . لتسروس مقالته عن إرميا على أساس أقوال م .مايبروم وعلى أساس مدرسة فلهاوزن التي حدثت تطور بني إسرائيل ، وعلى أساس من الأبحاث العديدة والعميقة ل : ح شتتيل التي نشرها في فصليته "سيكلوجيا الشعوب ويحث اللغة" ، وكذلك محاضراته أمام سامعيه لمدة ثلاثين سنة ، ويوضح لنا برؤية حذرة وكلام لطيف

خصائص الرواية في العهد القديم مثل : سحر الحزین فی مجلة المراثی ، التسامی فی روايات الخلق، الرمزية فی صور الطبيعة فی سفر المزامير ، الشفقة المتزايدة فی أقوال الأنبياء القدماء ، المرارة والسخط فی أقوال التوبيخ، الإيمان المتسامی فی أدب التثنية، وفي سياق المحاضرة يحلل أقسام سفر التثنية، ويحدد تركيب سفر دانيال، ويصف روح كل واحد من أشعار المراثی الخمسة، ويكشف عمق علاقة الأنبياء بالطبيعة والشكر . ولم يكن مؤسساً متميزاً لبحث العهد القديم فقط ، بل أيضاً مدافعاً مخلصاً عنه وحاملاً لرائته . ويصفته خبيراً ماهراً فقد كان عارفاً بنفس القارئ والسماع اليهودي الذي يؤمن العهد القديم ويثق فيه ، لذلك كان يكشف فی لغة صريحة عن حبه المتدفق للعهد القديم ، ويبالغ فی الإطراء والمديح عن البركة المتزايدة الكامنة فی روح بني إسرائيل فی البحث العلمي فی مؤلفاته النموذجية.

وهكذا تقدم نقد العهد القديم وساء الاستنباط العلمي فی الدراسات اليهودية فی الغرب . تلك الثروة الروحية التي تجمعت باللغة الألمانية ، تقدمت وصارت إرثاً للعلوم اليهودية فی بلاد وإلفات أخرى . وقد أقيمت فی بعض المدارس الدينية اليهودية كراسي أستاذية مخصصة للبحث النقدي للعهد القديم . ومع تزايد مراكز التوراة فی أمريكا بدأ نقد العهد القديم يحتل أيضاً مكاناً فی الأدب اليهودي الذي يظهر هناك ويدات النوريات باللغات الفرنسية والروسية والإنجليزية المخصصة لعلم الدراسات اليهودية تفتح أبوابها أمام أبحاث نقد العهد القديم.

ولم تتوقف العلاقة القديمة بين علم النحو ونقد العهد القديم ، والتي رأينا ملامحها فی العصر الوسيط وبنفس القدر الذي تطورت به الفيلولوجيا السامية ، وتشعبت مجالاتها وتعمقت مصادر بحثها، تقدم وتزايد أيضاً التأثير المتبادل بينها وبين نقد العهد القديم بين اليهود . ومن أوائل المتحدثين عن بحث اللغات السامية وقواعدها فی نهاية القرن التاسع عشر كل من : دافيد هينريك ميللر فی فيينا، وداننيل حفواسون فی بطرسبرج ويعقوب بارت فی برلين . وقبلهم يوسف هليفي فی باريس . لقد حاولوا أن يدخلوا أسفار العهد القديم داخل دائرة أبحاثهم ، ويلقوا الضوء على أسرار النصوص المقدسة . وبدأ أيضاً نهج توشينير فی بحث أصل اللغات السامية ، وواصل بعد ذلك أبحاثه فی علم العهد القديم.

١٧- تعديل النص

تم الاعتراف عند اليهود بفرع واحد في نقد العهد القديم أكثر من بقية الفروع وذلك الفرع هو نقد النص، وللمرة الثانية تم تحديد رؤية جديدة للتخلص من المسكر العلمى وكان نص الماسورا معترفاً به بقوة عند العلماء اليهود منذ العصر الاندلسى وما بعده، وخصوصاً مع معرفة اللغة العبرية . ومع التخصص فى علم دراسة النصوص القديمة أصّر بعض العلماء اليهود على تعزيز هذا الفرع وتوسيع أفاقه .ومثل هذه الملاحظات والتعديلات تملأ كل الفصليات والمختارات لعلم اليهودية باللغات المختلفة وقد أكثر جريش من تعديل النص، وتغيير حروف واختصارات، وأنصاف عبارات أثناء تفسيراته لأسفار مختلفة من أسفار العهد القديم ، ويحث الترجمات التى اجتهد فيها مؤلفو علم اليهودية فى النصف الأول من هذا القرن وأصوات الطريق لغيرهم وقرر جريش فى نهاية حياته أنه من الأفضل "جمع هذه التعديلات معا"، وأن تصدر تصورات تلك إلى حيز التنفيذ فى حياته، وواصل بعده ز جاكور إصدار كتاب التعديلات الذى يتضمن فى داخله ألفاظاً لأسفار التوراة الخمسة والأنبياء الأوانل وإشعيا وإرميا وحزقيال والاشا وعشر والمزامير والأمثال .

ويعد أن انتشر بين العلماء اليهود معرفة اللغات السامية والكتابات المسماة وأخرجت المخطوطات القديمة للعهد القديم من مخبئها، تزايدت الوسائل المساعدة لتحديد التعديلات وحاول ف بيبوليس أن يرفع التعديلات إلى نظرية وتحريرها بقدر كاف من سخرية ناقديها وتحشع فى تحديد الأسباب التى أدت إلى التحريفات (اختصار كلمات ، دمج كلمات، استبدال حروف بما يشبهها فى الكتابة العبرية القديمة، استبدال حروف بلخرى تشبهها على أساس الصوت ، أخطاء فى التشكيل، استعمال ألفاظ مهجورة فى النحو وغير ذلك)، وعلى أساسها قرر تحديد القواعد العامة للتعديلات.

وكان هذا الفرع من النقد مفعماً بالحياة وبثمراً فى التثثير المتبادل بين العلوم اليهودية فى الغرب وبين نقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية الحديثة أكثر من بقية فروع نقد العهد القديم، فكانت تعديلات ش.هـ .لوتساتو، وى .هـ .شور، وكروكمل وريفمان واضحة للعيان أمام علماء العهد القديم فى الغرب .

القسم الثالث

النقد عند اليهود فى القرن التاسع عشر

الفصل الثالث عشر

نقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية الحديثة

١ - أدب الهسكالا والعهد القديم

بعد أن حدث التغيير الأساسي في الحياة الروحية لليهود في نهاية القرن التاسع عشر، وكذلك في الأدب العبري الذي انبثق من نواثر العصر الوسيط، لم يحدث استعجال لتطوير تصورات مضادة لمواجهة نقد العهد القديم على أساس من الأبحاث والنتائج التي تم التوصل إليها.

ولم تكت الحقيقة العلمية الهامة من خارج حدود اليهود بل أيضاً من الاتجاهات التي سادت وسط العلماء اليهود في الغرب ولذلك لم يستمر التكرار لمجالات البحث المكتوبة باللغة العبرية وتزايد في أدب تلك الفترة الإحساس بالتجاهل والتكرار للنقد العلمي لعلماء الأمم الأجنبية التي عاش بينها العلماء اليهود في الغرب، وتزايد ذلك سبعة أضعاف : فقد زاد الصراع ضد هذا الولع بنقد العهد القديم لدى مصممي الديانة من بين علماء اليهود في الغرب .وقد تجرأ بعض الكتاب من النخبة الخاصة، ونجحوا في أن يحددوا لأنفسهم أسلوباً خاصاً .

٢ - بن زئيف

وأول من جاء لتأسيس نقد العهد القديم داخل الأدبيات العبرية الحديثة كان هذه المرة أيضاً من علماء النحو، ومن الباحثين في علم اللغة، كما كان الوضع في العصر الوسيط . ففي عام (١٨١٠) نشر يهودا ليف بن زئيف كتابه "مقدمة في التوراة المقدسة"، وكان الكتاب معداً على أساس خطط "المداخل" الألمانية التي كتبت في عصره وقبله، وهي المقدمة الأولى، وكانت حتى فترة متأخرة الفريدة أيضاً في نوعها في الأدب العبري.

وكان بن زئيف تلميذاً وقيماً لموشيه مندلسون .وقد تركت مؤلفات أيشهورن تأثيرات عديدة عليه .ومن المعروف أنه أترك حجم المسافة بين الأدب العبري وبين نقد العهد القديم في أوروبا، وعلى هذا الأساس بدأ عمله بحذر شديد فبدأ بالتخلص من "فكرة ما تجلبه ضرورة البحث في هذا الموضوع من رأي يناقض رأي التلمود في أقوال الأجداد"، ويؤتى به : "براهين قوية من كل عظماء الجالوتيين، لأن الميل لأقوال الهالاخا كان ممنوعاً . وكانت السلطة مخولة لأقوال الأجداد لمعالجة أي رأي يعارض أقوالهم". وأما فيما يتعلق بالكتابات المقدسة ذاتها فيوضح قائلاً : ها هوذا أمامك

الأربعة وعشرون سفرًا المقدسة، وهي من طبقات مختلفة ، وعصور متباينة ، ومؤلفين مختلفين حيث تستوعب أسفار التوراة الخمسة ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن. وأيضاً تاريخ بنى إسرائيل منذ الهبوط إلى مصر حتى بداية الهيكل الثانى الذى تصل إليه أسفار الكتابات المقدسة واستمر أيضاً ألف سنة ...الم يكن من المناسب إذن تمييز كل سفر من الأسفار ، وإذا قرأت قائله تميز " .

ويقول عن أسلوبه فى النقد : "بحثت أولاً فى حقائب معلمينا حكماء التلمود لأرى ما إذا كانت أقوالهم قد قصدت المفهوم الحرفى للنصوص (البشاط) ويدون تناقضات مع الحقيقة الواضحة، عندئذ تمسكت بأقوالهم ولم أنحرف عنها .وحقاً إن لم أستطع أن أطابق أقوالهم ...بسبب الغرائب العديدة ...عندئذ أتوجه إلى علماء الأجيال من عارفى الأزمنة المشهورة فى العلم بشواهدهم الحقيقية العديدة" . ثم يواصل ويعترف بما يتعلق بكل سفر من الأسفار "العصر الذى تنسب إليه موضوعات السفر ،الذى عاش فيه النبى أو غيره، مما يحتويه مضمون السفر " ، "وما موقف جماعة بنى إسرائيل" وإلى أى جنس من الأجناس الأدبية تنتسب موضوعات السفر؟ "ومن كاتب السفر؟" وما شابه ذلك.

ويعرف الهالاخا قائلا : لقد تحرر عظماء الجازونيم فى فهم "أقوال الأجداد برأى يخالف التلمود، غير أنهم لم يتشجعوا فى الواقع ليفعلوا ذلك ،وعلى سبيل المثال فإنه يحصى فى سفر صموئيل تناقضات عديدة فى الروايات عن جليات ودادو، وفى موضوع تعليق داود، وعلاقات داود ويونثان ،التي لا يستطيع أن يشرحها، وينهى مقاله بقوله : "ورأيت لأحد العلماء من علماء التصارى المتعمقين فى البحث ...يعلم اعتراضه بقوله : إن هذه الصعوبات والأمور الغريبة تعود إلى أن الموضوع من المظرة الخامسة من الإصحاح (١٨) لسفر صموئيل الأول ليست نقلاً عن السفر، ومع هذا لم يتجاهل ترتيب الرواية ويواصل الموضوع .الم تكن هذه أقوال عالم ليس من بنى إسرائيل ولم تحفظه القابالا ...غير أنه ليس مصموجاً لنا" .

ويقول على نحو مماثل عن إشعيا : "إن كان سفرنا واحداً طبقاً لاسمه، فإنه طبقاً لموضوعه ينقسم انقساماً ضرورياً إلى قسمين ...مختلفين فى الزمن والموضوع والأسلوب اختلافاً كبيراً، والجزء الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الأربعين، والقسم الثانى من الإصحاح الأربعين حتى نهاية السفر" . غير أنه لم يتشجع ليضع

قاعدة . وينهى كلامه بقوله :أتى العديد من العلماء بالتصور أن تلك النبوءات (من الإصحاح ٤٠ وما بعده) ليست لإشعيا النبي، بل من نبي آخر متأخر عنه بزمن كبير ... والأمر متروك لظنة الإنسان فيعتقد به الإنسان كما يتصور عقله : ألم تكن هذه أيضاً أقوال الربى موشيه مندلسون فى التفسير وما للتلميذ أن يخرج عن مجالاته؟.

ولم يخرج من مدرسة مندلسون مؤسسون للعلم فى بنى إسرائيل باللغة العبرية، كما لم يخرج منها مؤسسون باللغة الألمانية . فتلاميذ مندلسون أحدثوا تطورات ووجهوا الأنظار لحسب . أما بالنسبة لتأسيس العلم فقد تزعمه أبناء الجيل الثانى وما كان لتسونس وبعد ذلك لجايجر فى العلوم اليهودية باللغة الألمانية، كان لمعاصريهما شلومو يهودا رفوفورت وى ش . رجارو ويعدهما شموئيل دافيد لوتسانو فى العلوم اليهودية باللغة العبرية.

٣ - ش . ي . رفوفورت

خصص شلومو يهودا رفوفورت - مثل زملائه من مؤسسى العلوم اليهودية باللغة الألمانية - نظريته للأب المتأخر . فالتاريخ الذى كتبه هو تاريخ لأشخاص العصر الوسيط، وتدور أبحاثه حول " المصطلح اللغوى " وحول قيم التلمود والمداشيم. غير أنه اقترب إلى حد ما بأبحاثه من أقوال التوراة المكتوبة، وكشف عن رأيه : "على أسس النقد والبحث الجيد يربط الفقرات ، وتتبع الإصحاحات يمكن تعديل العديد من أقوال العهد القديم الموجودة أمامنا " . وعندما وصل إلى قضية تحليل المزمو (١١١) فيؤخر زمنه حتى "مرسوم أنطيوخوس" ، "فى الفترة التى بدأ ينتشر فيها روح حكمة ومظاهرها اليونان فى آسيا الغربية" ، لأنه مرت "منذ زمن منح التوراة حتى عصر (مؤلف هذا المزمو) .. تقريباً ١١٠٠ سنة وأكثر" .

وسمح لنفسه فى بعض الأحيان أن يعدل فقرة أو يغير حرفاً (على سبيل المثال: لأنى بعد أحمد له لأجل خلاص وجهه . يا إلهى نفس منحنية فى (المزامير ٤٢: ٦ب - ب-١٧) فيعدل : "يا إلهى نفس منحنية فى" إلى "يا إلهى نفس منحنية فى" ، غير أنه كان متحفظاً فى بحثه ويقدم عليه فى رهبة . ووجد لنفسه من البداية قانوناً سمح لنفسه فيه بـ "البحث فى كتب الديانة، لكن بصورة لا تتخلى عن المسلم به والمتنشر فى الأمة" . وعلاوة على ذلك فإنه فى نهاية حياته يبدو وكأنه قد ندم على ضالة تلك الحرية التى سمح بها لبحثه فى شبابه.

٤ - ي . ش . رجلاو .

وكان ي . ش . رجلاو معاصرا لـ تروفورت وقريبا منه في عالم العهد القديم ويحسّ ولم يقصد في الواقع من ترجمته التوراة إلى الإيطالية سوى أن يسير في إثر مندلسون وأن يقدم ليهود إيطاليا ما قصد الربي موشيه مندلسون تقديمه ليهود ألمانيا من تفسيره وترجمته للتوراة بغير أنه بنفس القدر الذي عالج فيه قضايا العهد القديم، تطور وزاد اتجاهه النقدي وتركزت أبحاث البروفيسور هيتسج الناقد الألماني للعهد القديم تأثيرا كبيرا عليه . وإن اعترف في الواقع بلن بعض أقواله "تنهب أبعد من الحد المحدد لنا"، لكنه يشكر لأنه يعلن عن صحة الناقد وأن "تفيد منشوراته بين إخواننا"، ويسير هو نفسه في إثره ، ويعلن أقوال معلمه بشأن المزامير بتعديلاته وإضافاته أمام قراء "بستان السحر"، وحاول أيضا الإشارة إلى تحديد زمن تأليف سفر أبوب، وممره سويا مع هذا السفر تحت صولجان النقد.

وكان ي . ش . رجلاو أول من أدرك في النقد الأدبي باللغة العبرية من خلال أقوال النصوص المقدسة ، أنه باستثناء الأشعار المتضمنة في الأسفار المقدسة لا تزال بعض القصائد النثرية موجودة في جماعتنا في زمن الهيكل الأول ، والهيكل الثاني ... والتي ذكر العديد منها في أسفار الأنبياء مثل أنشودة الزانية (إشعيا ٢٣: ١٥) ، أنشودة الخمر (٢٤: ١) ، وأنشودة الغزل (حزقيال ٢٢: ٢٢) وغير ذلك؛ ولم يتردد في إدخال تعديلات عديدة في نسخ النصوص المقدسة (حتى يوم سبى الأرض - حتى يوم سبى التابوت ، القضاة ١٨: ٢٠) ، لا تخبروا في جت لا تبكوا بكاء - لا تخبروا في جت لا تبكوا في عكاء (ميخا ١: ١٠) ومدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة - قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة (إشعيا ١٧: ١٢-١٣) هنا ازواج والأول يزيد وما شابه ذلك) .

٥ - دافيد شموئيل لوتسانو

أما شموئيل دافيد لوتسانو فكان أول من ركز في بحثه على العهد القديم وفروع البحث المتشعبة عنه ، ورغم أنه كان معارضا لنقد العهد القديم الأدبي في عصره معارضة مطلقة ، فتوجد عنده أقوال وتعبيرات تقنية ومع كل هذا ، فقد كان أحد المؤسسين الأساسيين والأوفياء في الأدب اليهودي . وكان شموئيل دافيد لوتسانو يؤمن إيمانا تاما بتمام التوراة وقيادتها المطلقة وكانت نفسه الكلمة عقائديا تنهج اسماعيا ، مهما قسموا التوراة لأقسام ومصادر أو أخروا العصور أو غيروا الترتيب.

ومع ذلك فقد كان واحداً من القلائد الذين تغفلوا داخل أغوار اللغة العبرية وكشف أسرارها ، وقد شعر من خلال فحص مميز بوجود خلل في النص وبعض التحويلات التي تسلت للنصوص المقدسة كما كان له أيضاً ميزة خاصة هي أنه كان يتنبه من خلال جوانب النص المحرف إلى صورته الأولى ويقف عليها ولأنه سمح بتعديل النصوص المقدسة فقد حوّر بقوة، وقد حنت عقيدته العميقة في قداسة النص من هذه الحرب وقد أسس شموئيل دافيد لوتساتو تعديلاته بدون خوف من أحد ، ويؤمن أن يهتم بتأنيدها ، وقد تعمق في أسباب التحويلات وهكذا شكل مصدراً لنظرية النقد النصي على أساس من منهجه هذه الازدواجية بين قوة العقيدة وقوة النقد التي ازدهرت داخل نفس شموئيل دافيد لوتساتو في تناغم واحد ، هي التي قللت من قيمته في تطور العلم نفسه بغير أنه وسع أيضاً مجالات تأثيره في عصره، وهيا لانتصار الألب العبري أمام النقد.

وبدا شموئيل دافيد لوتساتو تفسيره لأسفار التوراة مزوداً بكل أبعاد البحث في عصره ومتضلعا بكل بواطن أدب النقد حتى أنه سمح لنفسه في الفقرة الأولى من تفسيره أن يوضح لقارئه أن قصة الخلق لا تفهم كحقيقة علمية، وعلاوة على ذلك فإن التوراة لا تمثل كتاباً تعليمياً في تطور الطبيعة ويقول "يفهم المثقفون أن القصد في التوراة ليس نشر العلوم الطبيعية، فالتوراة لم تعط إلا لتقويم البشر بأسلوب العدل والقانون، وتؤسس في قلوبهم عقيدة التوحيد والعناية الإلهية ...وموضوع الخلق لم يسرد كلية، ولم يكن متوقفاً أن يسرد في التوراة بأسلوب فلسفي" (التكوين ١: ١) .

ويوضح شموئيل دافيد لوتساتو بحذر شديد المادة التاريخية والأثرية المدمجة في أسفار التوراة ويوطأها بقوال المصادر الأخرى الموازية لها، ويستخدم أقوال المؤرخين القدماء الآخرين (يوسف فليفويوس وهسيونوس (التكوين ٥: ٥) هيرودوت (التكوين ١٨: ٢٨)، وغيرها كشواهد لذلك.

ولم أحيان كثيرة جداً كان يسير في إثر المحافظين من بين نقاد العهد القديم مثل ميخائيليس وهيرود، جرتسيوس وكريستوس (انظر: التكوين ٢: ٢٢، ٣٦: ٣١، ٢٤: ٢٨، وغير ذلك كثير)، ويقتبس تفسيراتهم باسمهم وينكر باسم الجن أن في أقوال الرواية عن "أبناء الله" و"قائمة الأجيال" حفلت بقايا ميثولوجيا قديمة، وفي تفسيره للتكوين (٥) يقول "يرى أن يوبال هو Apollo ويوبال قاين يبدو أنه Vsumochu ونعمي ربما هي Vsume واسمها يدل عليها."

وعلى الرغم من أنه كان يعارض كلية نظريات استروك والجن وأيشهودين فقد كان واقعاً أن كل أبحاثهم "تعبت أرواح الرياح"، ومع كل هذا يرى أن من الواجب أن يخبر القارئ العبري بهم وعن نتائجهم، وأن يتنى أيضاً بآراء معارضيه (انظر التكوين ٩:٢)، وفي هذا لم يسبقه أحد من بين اليهود.

وفي رايه أن معرفة تقسيم المصادر، وحتى تقسيم المصادر في الأنبياء، أو تأخير مزامير في سفر المزامير قد سمعت أيضاً بين اليهود وسببت ضغينة، وحرماً، ولكن لم تضلل الشخص. وأين الوقاحة أعظم من ذلك القول بأن أحداً من الفشاشين الموجودين في سبي بابل كذب من قلبه نبوءة إشعيا عن قوروش وقال "من أعلم بهذه منذ القديم؟ (إشعيا ٤٥: ٢١). فتبدو تلك النبوءات وكأنها قيلت عدة أجيال قبل ذلك... لكن السخرية أنه ليس أفضل منها سوى سخرية سبينوزا، الذي يجعل من نفسه عبداً للرب ومبجلاً وحبيبه، وقصد كلامه ليس سوى القول بأنه لا يوجد إله في العالم... وماذا يقال عن سخرية صاحب "الكرم" الذي ينسب لفارس التراتيل الدينية الربى شلومو جبيريل الذي تشبه أفكاره أفكار سبينوزا وتلاميذه؟... وكيف أسكت وأكبت نفسى برؤيتى الثفرة مستمرة ومتسعة... وحياناً قام شخص من بنى إسرائيل لينشر أقوال سبينوزا وسط اليهود بلغة القابالا... وكذلك لم يوقر أيضاً شرح ابن عزرا، وكذلك شروح النقاد العبريين في عصره.

وينفخ الأسلوب الذي حارب فيه بجرأة ضد منكرى صحة التوراة، يعارض أيضاً المقدسين للماسورا والمولين للحروف، فقد حفظ عن الربى إلياهو لويتا بأن أشكال القراءة متأخرة، ووضعها أصحاب الماسورا، ولذلك أدرك أنه يجب رؤية النصوص المقدسة كما لو أن ليس بها أدلة القراءة مطلقاً وأنه من سلطة الباحث، أن يضع أشكال قراءة أخرى مكان تلك التي انتهجت بواسطة أصحاب الماسورا.

وتعمق شموئيل دافيد لويتسانو في عمل أصحاب التشكيل، ووجد أن أسلوباً محدداً كان لدى أصحاب التشكيل عند وضعهم التشكيل، ولم ينبع هذا الأسلوب من علم اللغة وأقوال الماسورا المسلم بها لدى الشعب فحسب، بل أيضاً من الآراء الدينية والفلسفية لأصحاب التشكيل، ويعد أن وضع لنفسه هذا الاتجاه النفسى ليزيل الشكوك الدينية، على الصور المادية وما شابه ذلك، فقد وجد مرة ثانية وسائل دعم وفيرة للنقد ووسائل جديدة لتعديل النص.

وكما حدث مع ابن جناح الذي لم يترك مجالاً في قواعده الواردة في مقدمته لتعديل النصوص والقواعد، فقد حدث ذلك أيضاً لشمونيل دافيد لوتساتو ومرة ثانية عندما بدأ يفسر أى نص من النصوص المقدسة لم يكن حريصاً على التعليمات التي قصدها أصحاب التشكيل، وأصحاب الماسورا، بل أدخل تعديلات في النصوص من خلال حس نقدي وروية تأملية. وقد حازت تلك التعديلات على الرضى (وغضبى في إبانهم = وغضبى في انحراف يتيم (إشعيا ٢٥:١٠ بقوة ريحه = بعظم ريحه (١٥:١١)، ووجهها من جهة الشمال = ووجهها من داخل الشمال (إرميا ١٣:١)، مبارك مجد يهوه = بعظمة مجد يهوه (حزقيال ١٢:٢)، لأجل ندى صيباك = لأجل ندى صيبائك (٢١:٢٣)، أعدل من سياج الشوك = أعدلهم من سياج الشوك (مicha ٤:٧)، وقضاؤك ثور خرج سقضاء كثور خرج (٥:٦)، وفي الجامعة ٢١:٣، الصعود بدلاً من هل تصعد، وتنزل بدلاً من هل تنزل، حيث وضع هاء الاستفهام بدلاً من هاء التعريف، وما يشبه ذلك).

وعندما توجه إليه الربى شلومو يهودا وقوفورت شيخ العلوم اليهودية باللغة العبرية، وفتح أمامه صدره بسؤاله: أعطيت لهم (علماء شعوب العالم) الحرية للدراسة والبحث طبقاً لأرائهم، غير أننا بنى إسرائيل، ماذا نفعل يمثل هذه التفسيرات أمام الأجنبي؟ أرشدنى إن استطعت، والماسورا منتصبة كسور حديدى ضدنا، فنهنض شمونيل دافيد لوتساتو بعظمة مكانته وأعلن بلغة واضحة وسليمة "فأجيب (واليهيم أساعد) وأقول: إننا بنو إسرائيل إله الحقيقة إلهنا، الذى لم يأت أمامه كافر، وهو الذى يفحص القلوب والدمار، ولذلك فإن العمل غير الطاهر يمحوه من على لوح قلوبنا، وإن كان طاهراً، فنذبح عدلاً في جمهور كبير... ويعد أن اتضح عندها بمعجزات ليس لها حائل، لأن التشكيل والتبر لم تكن ولم تخلق حتى بعد إقرار التلمود... فلماذا التراجع إلى الخلف برويتنا لمقرأ مبهم؟... والماسورا تلك التى قلت إن وجودها كسور حديدى أمامنا لمعاً هي؟ ومن داخل من خرجت؟ ومتى كتبت؟ ألم يكن معلوماً بلا شك أن أصحاب الماسورا قد قاموا بعد سنوات عديدة من أصحاب التشكيل " ... وماذا نفعل بإعلان تفسير مثل تلك أمام الأجنبي؟ "من المعروف لبنى الاستقامة أن أسفار أبائنا حفظت خلال أجيال عديدة حفظاً مدهشاً قدر الإمكان... لا شئ... والبعيد المطلق عن كل تشويه وخلل بسيط بقوة الأجيال التى تبدلت على أسفارنا كانت مستحيلة". تلك الأقوال العلنية والشجاعة الخارجة من قلب خائف على قداسة التوراة،

وكاتب الأقوال من زعماء أوائل المتحدثين في هذا الجيل - وكم كانت الدهشة التي سلمت بهذه الأقوال كترخيص على النقد وأقحمت عقول العديد من مثقفي العصر.

٦ - معدلو النص

ومنذ ذلك الحين صارت الأرض مهية بين اليهود لأجل تعديل النص . فقد اعتلى بها علماء العصر الوسيط ورمضها لويثا ، وناضل من أجلها عزريا من هانوميم ، وقد تغلفت صلة البحث للحرف في التوراة إلى داخل آلب الريانين حتى أننا نقرأ في أسئلة وأجوبة الربى يتسحاق بن شيشيت عن الأسئلة التي طرحت عليه "عن تلك التي قالها الربى يشمعل للرابي عتيا هانت نقرأ ، فكيف يمكن لعالم كبير مثل الرابي عتيا أن يحرف في قراءة فقرة مع أن صبيان مدرسة معلمنا يعرفوه . إن لم يقل : إن كتبهم لم تكن محركة" ، فيطلل الربى يتسحاق بن شيشيت "لأن تلك الكلمة كانت منقسة في كتبهم" وهذا يعني أن نسخة الأسفار مختلفة (أسئلة وأجوبة الربى يتسحاق بن شيشيت ، كتاب مختصر الأقوال) .

ويقرر الربى شلومو بن أنيرت بإسهاب "التفسيرات التي نجدتها في النصوص المقدسة في الموضوعات التي لا تختلف فيها المعاني لا تمثل قضية ، لأن النصوص لا تحفظ الكلمات الصحيحة فحسب ، وهذا حدث في مادة التوراة ، حدث في الوصايا العشر ، والتوراة لم تحرص على حفظ المعنى فقط " (الإشارة ١٢) .

وطالما أن شموئيل دافيد لوتسانو لم يستخدم من نقد العهد القديم سوى هذا الأسلوب لتعديل النص ، والذي سلكه بحذر شديد ، من خلال حس لفوى جيد وبتقيد ، لذلك أقوت أقواله وحلول العديد المسير في إثره من الريانين والورعين مثل : الربى م. دوشك (وشمبك كمن يخاضم كاهنا = شوشبك كمن يخاضم كاهنا ، هوشع ٤: ٤) ، الربى م. شتين (هو شرك للإتسان أن يلفو قائلًا مقدس ، وبعد النذر أن يسأل = هو شرك للإتسان أن ينالم قائلًا مقدس ، وبعد النذر في الصباح (الأمثال ٢٥: ٢٠) أموالاً وجنتاً = أموالاً وملابس (أخبار الأيام الثاني ٢٥: ٢٠) ويا جهال تعلموا فهما = ويا جهال أعلوا فهما (الأمثال ٨: ٥ وغير ذلك) ، دافيد حايم إشكنازي (ووصب الفضة = ويصهر الفضة ، الملوك الثاني ٢٤: ٤) ومواضع عديدة مثلاً .

٧ - الريس نعمان كروكمل ونظريته في العهد القديم

أما الريس نعمان كروكمل ، ليل حائري عصره ، فهو واحد من ذلك العصر الذي لم يكتف في أبحاثه بالفاظ النصوص المقدسة وتعديل الحروف ، بل توغل داخل أعماق مؤلف العهد القديم ، وتشجع ليكشف جوهر تلك الثقافة الرائعة ، والوقوف على سموية "الخاصية الروحانية" في الأمة وهو كتميز لهيجل وكان مؤمناً ومرتبطة بصورة أساسية بتطور كل موجود روحاني ، وعارفا بفرع من فروع بحث العهد القديم كما عرفها علماء شعوب العالم وعلماء اليهود في عصره ، فتوجه في ضوء ذلك لكشف مراحل تطور الثقافة العبرية القديمة كما عبر عنها في ألب العهد القديم .

ومع كل معلوماته العميقة في البحث الأجنبي ، فلم يتوقف أمامها ولم يرغب في أن يجد لها صدق في اللغة العبرية ، إذ كان واحداً من القليلين الذين عرفوا كيف يسيطروا عليها ، ويختاروا منها ما يتفق مع الأسلوب الذي حددته في تاريخ تطور اليهودية ، ويسطر رؤيته داخل غيوم الماضي وبدأ مخططة من بداية تكون بني إسرائيل .

وهو يسلم ببديهية شهادات روايات التوراة ، ويفحصها وفق قدرته في ضوء المعرفة ببقية الشعوب السامية ، وذلك على أساس المنطق العقلي ووجهة نظره الفلسفية الأوربية . ويبرز بجراحة مشكلة الطبقات المضافة على أقوال النصوص في عصر الأجداد والدراس ويصل من داخلها إلى المضمون القديم فيرى أن الجماعة التي جاءت إلى كنعان كانت تعبد في الأماكن المرتفعة باسم يهوه ، ولم يتصور أحد أن هذا إثم . حتى إن يريعام بن ناباط في إقامته العجول لم يقصد سوى اسم يهوه ، بله إسرائيل ، وكان الأجانب الذين ليسوا من أبناء الكهنة يقرؤون القرايين بأنهم وعندهما تزايد الطموح في عصر الملوك لتنظيم سياسي وحشد الأمة ، حدثت لأول مرة الحرب ضد الأماكن المرتفعة ، والعبادة خارج مركز أورشليم ، وسمع الجماعة في عصر القضاة تغني أغاني عديدة ومتنوعة ثم جمعت سوياً في مجموعة " أول مجموعة من الأسفار المقدسة " وعرفت باسم " سفر المستقيم " .

وكتب الأنبياء الذين قاموا في عصر الملوك - هم أو تلاميذهم - نبوءاتهم في أسفار ، وألفوا أسفار أخبار الأيام للوك مختلفين ، أو اختصروها من أسفار سابقة أكثر إسهاباً ، وتلك الاختصارات وصلت إلى يد الشعب ونسخت وانتشرت ، وكانت عصور يهوشافاط وحرثياو وعصور معرفة للتوراة ومعرفة ونسخ الأسفار .

وحرقت العديد من الأسفار المقدسة التي كانت موجودة في الهيكل زمن الخراب، والتي بقيت وحفظت في السبي صارت تابعة للتزجوم والتفسير، وجمع العائدون من السبي ما بقي في أيديهم من بقايا "الأسفار القديمة ونسخوها وصححوها ووضحوها بإسهاب وقيموها بحكمة". وظهر في ذلك العصر أواخر الأنبياء مثل إشعيا الثاني ويونيل (الذي على أية حال لم ينتبأ قبل عصر عزرا) وحجي وزكريا الأول وزكريا الثاني (الذي عاش بعد موت الإسكندر المقدوني)، وقد زاد الكتب آنذاك من ترجمة التوراة وتفسيرها، وتعليم الجماعة وسردوا أمامها تاريخها. وحتى تم جمع كل أقوال هذه المؤلفات المقدسة في هذه الفترة العظيمة والغنية ورتبها سوياً مع كل ما سبقها، وطابقوا هذه بتلك وعدلوها حتى تثبت العهد القديم قبل الخراب بمائة وثمانين عاماً (في عصر حننيا ابن جرون، معاصر هليل).

وعلى هذا المنوال بحث في تطور أسفار العهد القديم، وشكل بعد ذلك تاريخ كل سفر، وكان الربي نحمان كروكمل حذراً لتلايمس الماسورا، حتى إنه لم يستطع الاعتماد في أقواله على أي برأيتا أو قول ماثور لأصحاب التلمود، فلم يناقش مطلقاً تاريخ أسفار التوراة الخمسة، وتجاهل كل القضايا المرتبطة بها، وكان يضطره الحديث إلى أن يوضح علاقته بها.

ولم تحفظ في مقالاته الروائية أقوال مفصلة عن أسفار الأنبياء الكبار السابقين على السبي غير أنه شرح أدب العائدين من السبي وعصر الهيكل الثاني بإسهاب، وهو مثل سبينوزا في عصره، يقتبس أيضاً الرموز الغامضة لابن عزرا واحداً واحداً، ولكن هذه المرة ليدعم رأيه بوجود شخصيتين باسم إشعيا، ومن خلال العصور المذكورة في التلمود يعالج كل وحده هناك بشأن تاريخ الأسفار وترتيبها. وعندما بدأ نقد كل سفر على حدة فإنه تمسك بـ"أساليب" أصحاب نظرية التجزئة "المتشددين". فوجد في سفر عزرا خمس قوائم مختلفة تتصل بينهم مئة وعشرين سنة (من السنة الأولى لقورش وحتى السنة الثالثة والعشرين لارتحشستا، أما سفر أخبار الأيام الذي كان مؤلفه الأول عزرا، وأضافوا عليه بعد ذلك من قوائم نحemia، ومن لفائف النسب، وقوائم الكهنة، سار مؤلفه واستمر ثلاثة أجيال بعد نحemia، أي حتى انتهاء مملكة فارس، ووجد الربي نحمان كروكمل من وجهة نظر التطور البطيء هذه تآليف بقية أسفار تلك الفترة وتركيبها. فسفر دانيال "مؤلف من بعض اللفائف (تسع أو عشر)

الليفة لليفة على حدة، ولا ترتبط الواحدة بالأخرى السابقة عليها أو المتأخرة عنها سواء في أسلوب اللغة أو في طريقة التأليف . وأمثال سليمان - هي "أساطير عامة لمجموعات أمثال" كانت سائدة لدى الجمهور ومثقفي الجماعة ، وكانت منظمة في لغائف مختلفة.

ومن وجهة النظر هذه يعالج الجامعة ونشيد الأناشيد ، ويحلل سفر المزامير في دقة أكثر ، فوجد فيه مصدر تسبيح بابل، يعني مزامير قيلت بواسطة العائدين من بابل، في "تتهلات ممزوجة بالأمل" و "المثقف يعرفها" ، ووجد فيها أيضاً تسابيح آشورية ويونانية غناها الأتقياء الفيديون عند خروجهم للحرب في عصر الحشمونيين (مثل ٥٩، ٦٩، ٧٤، ٧٩، ٨٢، ٨٥، ١٢٢، ١٤٤) ومن خلال المزمور (٦٠) يفهم أنشودة يهودا المكابي في عبر الأردن عند خروجه لإتقاذ بيت صور المحاصر بواسطة اليونان ، "الله قد تكلم بقدسه ، ابتهج ، أقسم شكيم وأنيس وادى سكوت ، لى جلعاد ولى منسى ... من يقوينى إلى المدينة الحصنة ؟ من يهيننى إلى أوم؟" (٩:٦٠) . وغنى نفس هذا المزمور مرة ثانية عندما انتهى الحصار على يد الحشمونيين في عصر شمعون المكابي (المزامير ١٠٨) .

ويرى سفر الجامعة بمثابة السفر الأخير في أسفار الكتابات ، وال فقرات الأخيرة فيه (كلام الحكماء كالمناسيس وكثرتاد منقرزة ... ١٢:١١-١٤) هي عبارات الإتمام ، ليس فقط لسفر الجامعة فحسب بل أيضاً "لأساطير أسفار الكتابات في مجموعها" ففي بداية قدوم اليونان أنهى رجال الكنيسة الكبرى "وختموا بتلك الفقرات مجموع القسم الثالث من الأسفار المقدسة" غير أن "الإقرار النهائي والمطلق" لأسفار العهد القديم حدث في عصر محكمة الحشمونيين في عصر شمعون، ويوحنا الكاهن الكبير، بتأي الأريلى، ويهوشع بن فرحيا وبقية حكماء عصرهم، تلاميذ مغنى الكنيسة الكبرى"، وكما يقال، فقد ختم قبل الخراب بمائة وثمانين عاماً.

ويلا شك كان الربى نحمان كروكل فريداً في عصره، والأول في الألب العبرى الذى حاول أن يسلك طرقاً جديدة في تاريخ تكوين العهد القديم، وذلك من "سفر المستقيم" الذى كان في عصر القضاة وحتى تثبيت العهد القديم في الفترة الأخيرة للهيكال الثانى، وأن يقرر تلك النظرية للجمهور ، وذلك بحذر شديد وإشارات مبعثرة، وقد كان يعرف ما يسيئه ، فكتب ذات مرة "قلبي يرتعد في وسطى لأعلن مثل تلك

الفرضيات الجديدة، التي هي عكس المنشور حالياً عند العامة والخاصة، ومنذ ذلك تضائل الورع الحقيقي وتزايد الفيوريون المتريصون على رأس الطريق، حتى خرج قول من فيه دارس بعكس المكوف عندهم أو الذي يعط في جلسته في كنز علمهم التافه فيقيموا عليه حرياً غير أن الربى نعمان كروكمل كان واثقاً أنه لا يمكن أن تختفى تلك الآراء. فيقول: "من يعرف الله ويعرف إسرائيل يدرك أنه ليس هناك خوف خطير أن تتوقف العقيدة، بل بحاث حقيقية وقلب طاهر كهذا ويشبهه آلاف، وعلاوة على ذلك، شكرًا والفضلية لإسرائيل، وعظمة لتوراة آباؤهم، وعار للجاهلين عن قصد في عصرنا هذا.

وعلاوة على ذلك فقد كان ملتزمًا بإظهار آرائه تلك للأجانب، لكي ينقذ مجد التوراة؛ لأنه إذا تنبهنا أيضاً حالياً لنقرر بأن في المزمور "على أنهار بابل" توقع دابود بالروح أورشليم أحداث سبى بابل وحزن عليها، فإن هذا لم يؤثر في قلوب القراء والسامعين العارفين - الشبان - طبقاً لوضع العلم في هذا العصر... بل أيضاً تشمئز أنفسهم من تفسيراتنا ومواعظنا له... ولأننا، معلمون ووعاظ نستوعب القصد المراد في البقية عندما نوضح لهم المزمور... أنه أنشد في بابل بواسطة أحد اللاويين في السبى. ولذلك يرى في نقده الحر أنه يوجد ازراء في جانب أكثر من جانب آخر باسم عصر العمل ليهوه وقد كان واثقاً في إخلاصه أن علماء الأكثر قدماً عرفوا هذا الأمر وتجاهلوه وبصلاحية أكثر يقتحم المخايين ليكشف عن الذي تجاهله القدماء. من هنا كان فحصة للبرايثا في (باباترا ١٤). ومن هنا كان حبه الشديد لأبراهام بن عزرا العالم الفقير، الذي سلك مثل اللؤلؤ عبر رموزه وتفسيراته المتعمقة.

وحقاً، لم يخف سائل خوف الربى نعمان كروكمل ولم يكن الألب العبري مؤملاً بعد للاعتراف بالآراء المضادة للآراء التقليدية المشهورة. "ولم يثر ضد الربى نعمان كروكمل لإزعاجه فقط" "الفيوريون المختبئون على رأس الطريق"، بل أيضاً زعيم النقاد في ذلك العصر. وعندما كور شموئيل دافيد لوتساتو نظرية إلباهو لويثا وقرر بأن أحكام القراءة متأخرة، نال جزاءه من رجاله نفسه، وكذلك عندما اتجه بعد ذلك الربى نعمان كروكمل "وأبعد من إشعيا ال (٢٧) إصحاحاً الأخيرة فيه، وأخر أيضاً زمن كتابة بعض إصحاحات سفر الزامير لم يرغب أن يعتذر له شموئيل دافيد لوتساتو.

٨ - تلاמיד الربى نهمان كروكمل

غير أن الصراع ضد هذه الآراء قد تسبب في طرح أسئلة مرتبطة بالبحث العلمى للمهد القديم ذاعت بين المثقفين وقد انتشر بين اليهود تلاميذ الربى نهمان كروكمل، وكذلك المعجبون بقواله وأبحاثه، فكتابه الذى صدر بعد موته لقي أهمية كبيرة، كما نجمت مقدمة تسونس في استقطاب القلوب البعيدة . ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت جماعة كاملة من الباحثين الشبان تقدر النقد، وتحجب آراء المحافظين، وتواصل العمل النقدى الذى حاربت لقيامه.

ووجدت الآراء النقدية التى قيلت في الخارج طرقاً لها في مدرسة الربى نهمان كروكمل، ولدى نوانر جماعة النقد التى جات بعده، وبخاصة في الأدب اليهودى باللغة الألمانية، حيث وجدت أبحاث جايجر عندهم إذناً صاغية ، كما أن كتابه "النسخة الأصلية" "قويل بفرحة وهو الذى دعم سلطانهم، ووجه من جديد أدب النقد باللغة العبرية إلى أسلوب النقد النصى، وتعديل النصوص المقدسة، وذلك بعد أن وضع جايجر أسسها.

٩ - أبراهام كروكمل

وينتسب إلى هذه الجماعة الباحث الشاب أبراهام كروكمل، ابن الربى نهمان كروكمل، وقد أثار كتابه في صورته المتغيرة وتعديلاته المتشددة عاصفة في الأدب العبرى آنذاك واستخدم بمثابة صورة أبيية لكتابه هذا الأسطورة التى كانت سائدة بين الإسرائيليين بأن العلم الباطنى الذى تعلمه بعل شيم طوف من فيه شخص ، وجده مفتقياً في صخرة ، وبعد أن أعلنه لبعل شيم طوف ، أخفاه مرة ثانية في الحجر الذى في "مزبوراً" . وباستثناء هذا الشخص فقط لم يره أحد آخر في بنى إسرائيل بعد ، ولم يظهره للعديد، لأن الجيل لم يكن مؤهلاً بعد ، ونظرية علم الباطن هذه هي النسخة الصحيحة للكتابات المقدسة .

وكان باروخ سبينوزا - معلم بعل شيم طوف - هو نفسه الرجل الذى عرف علم الباطن ، ولم يظهره للعامة بل أعلنه لشخص وقد كان هذا الشخص هو أفراهام بن نهمان كراكمال حفيد بعل شيم طوف في "مزبوراً" واستخرج هذه النسخة القديمة "خطاب الرب" ، من داخل الصخرة ونشرها على الملا ففقد جمع في كتابه هذا

التعديلات التي نشرت بالعبرية والألمانية واحداً بعد الآخر ، وأضاف عليها من عنده تعديلات عديدة عليها طبقاً لترتيب العهد القديم ، المكتوب في ناحية والمفقود في ناحية ، وعددها بالآلاف ، هذا بالإضافة إلى ترجمة ألمانية وشرح عبري للتعديلات . ولم يستخدم تراجم كما ينبغي ولم يعرف أيضاً الكتابة العبرية القديمة . ودعم تعديلاته باستدلالات منطقية فقط ، ولذلك فقد كانت البهيميات في تعديلاته عديدة وغير ناجحة دائماً ، وتوصل في مقدمته إلى العلاقة بين النقاد الجدد وسبينوزا ، والعلاقة بين سبينوزا وابن عزرا وبقية الباحثين العبريين في إسبانيا - بعد أن نبه إلى ذلك بإسهاب كبير قبله الدكتور يونيل - وفي هذا أول إشارة بالعبرية لنقد العهد القديم عند اليهود .

١٠- يعقوب ريفمان

لقد تفوق يعقوب ريفمان على معاصره الكبير كروكميل . وقد عاش ريفمان في مدينة زاموشتس مركز الهسكالا في بولندا ، ونشر نظرية "على مسامع الشباب " ، وخصص في تحليلاته مكاناً لنقد بحث الألب العبري ، ونقد العهد القديم ووصفته لغوياً فقد تعمق خصوصاً في الترجمة السريانية ، وقارنها بمادة العهد القديم العبرية ، وقرر على أساسها منهجاً في تفسير النصوص ولم يكن نقد العهد القديم من وجهة نظره وليد الخارج ، بل يرى أن جذوره عميقة في تاريخ الإبداع العبري وقد حاول تدعيم هذا الرأي .

وطبقاً لوجهة نظره فإن الراي اليعازر بر يوسى الجليلي صاحب برايتا الاثنيتين وثلاثين قاعدة التي تبحث على أساسها التوراة ، هو "الأول الذي وهب قلبه لدراسة ويبحث أسس توضيح الأسفار المقدسة" ، وكل هذه القواعد خصصت لتوضيح العهد القديم وتفسيره ويمتدح التفسير (البشاط) الواضح ، الذي توصل إليه علم اللغة "والثاني عنده هو يونا بن جناح الذي نرى وأضاف تلك الحبة الصغيرة (قاعدة) أسلوب الاختصار: "لرئيس اليعازر بر يوسى الجليلي ، ونماها يونا حتى أصبحت حزمة عظيمة من القواعد متعددة الأنواع ..وها هو ذا يفرسها في كتابه "التراكيب" ، ذلك الكتاب المعجز الذي تحقق فيه العين ..ويتدعش منبهة فتعرف وتفهم لماذا كانت عظمة نقد العهد القديم في إسبانيا حتى المائة التاسعة من الألف الخامسة وقد توفر سفر كامل عن تاريخ نقد العهد القديم في بني إسرائيل ولكن بسبب فقره لم ينشر إلا كتاباً صغيراً فقط ، يشمل ثلاثة فصول : آباء النقد في جماعتنا ، ومؤسسات النقد

يعنى أساليب النقد وخطط الناقد، ودليل منهج نقد الأسفار ، وذلك من وجهة نظر مشابهة للنقد الذى وضعه اسفر صموئيل.

وقد سار فى تعديلاته العديدة وراء منهج الجليلي ، ومناهج الربى يونا بن جناح، وكان أول من كشف عن تحريفات فى العهد القديم نجمت عن الإيجاز، واستخدام الاختصارات (مثل : أيا كان منكم على الفتى أبشالوم بدلاً من : أيا كان منكم مد يده على الفتى أبشالوم) (صموئيل الثاني ، ١٢:١٨) ، أو لتفكر يا رب عار عبيدك ، الذى احتمله فى حضنى من كثرة الأمم (المزامير ٥١:٨٩)، قليل من شطر كلمة إهانة ، المرادفة لكلمة عار - إجابة على القضية ص ٥٥ ، وما يشبه ذلك، وقد اعترف بفضل كل من فرلس ودليتش . ويتعديلاته الحادة والواضحة تلوق بكثير على دافيد شموئيل لوتساتو ، وقد اعترف بهذه التعديلات كل الباحثين من بعده .وقد كان ريفمان أحد القليلين الذين وقفوا على الوزن فى شعر العهد القديم، كما تمكن من التمييز بين الأقوال الشعرية والأقوال النثرية فى العهد القديم، واستخرج من سفر الأمثال تسعة وعشرين إصحاحاً شعرياً .

وقد كان حذراً جداً فى أقواله ، ومعتدلاً فى بحثه، كما كان حافظاً للوصايا فى حياته وتلمذ على مناهج علماء التوراة والقانون ، وقزع لأقوال العلماء فى عصرنا، وأيضاً لأقوال العلماء الكبار فى العصور القديمة ، ومع كل هذا بدت أقواله الموزونة والمعتدلة مثل ثمرة فى جدار ، فاضطهد وعذب وتصدق أقوال شهادته تعرض لى المحافظون مرة أو مرتين واتهمونى بالكذب ، وجرحونى وحطوا من قدرى واعتبرونى مدعياً ومشاكساً ومتعمداً .

١١- ش.ل. هيرش

ولنفس الجماعة ينتمى أيضاً الناقد العبرى الأصل ش .ل.هيرش من نفس مدينة الربى نحمنا كروكمل ، والذى واصل أسلوبه إلى درجة كبيرة . وقد رأى هيرش أن مهمة النقد لا تكمن فى تعديلات النصوص المقدسة فقط، بل تصور مثل معلمه الأكبر وجود منهج فى تاريخ بناء أسفار العهد القديم ، ولكنه كان حذراً جداً أكثر من جميع الباحثين المعاصرين له .

وعلاوة على أبحاثه باللغة الألمانية، فقد ألف عن نقد العهد القديم باللغة العبرية كتابه "تاريخ بني إسرائيل وعقيدتهم - ولكي يزِيل مسخ حُرّاس السور قدم مقدمة لكتابه حذر فيها القارئين ألا يعطوا أهمية في فكرهم لأقوال الهرطقة المشروحة والكامنة هنا في الكتاب ، وأن الأقوال التي نلت في الكتاب ليست كلها من عنده ، بل إن بعضها أقوال من تفسيرات المهرطقين ، ولم يَلت بها إلا من أجل معرفة كيف نرد على الهرطقة ونبرهن للمبتدئين أن عملهم لا أساس له؛ ومن أجل ذلك فقط يذكر باسم الهرطقة أقوالاً من هرطقتهم التي ليس لها أهمية .

واستمر بهذا الأسلوب يوضح بجلاء ويبراهين عديدة مأخوذة من داخل التاريخ وتاريخ الثقافة ومن أقوال المصادر ذاتها بأن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء وأن موسى لم يكتب التوراة كلها ، وأن أقوال التوراة ليست سوى لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام عشائر وأسياط مختلفة وتحدثت عن الآباء والأجداد أو كتبت هذا بعد ذلك . ويكشف في محاضرة له بأن أقوالاً عديدة من تفسيرات الهرطقة والمبتدعين لم يقدروا الجميع ، لأن لها إشارات في الأساطير القديمة وأن العديد منها مشار إليه أو مرموز له في أقوال حكمائنا طيب ثراهم ... لأن قنماخا كانوا مقعمين بالرغبة في معرفة نشأة أسفار العهد القديم في عصرهم . ويحاول باسم الناقد أن يقدم أسلوباً عن تكليف العهد القديم ، ويحصى فيه ثمانى مجموعات تعود إلى عصور مختلفة ، وهى :

أ - لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء - تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم .

ب - لفائف من تعاليم الكهنة ، تمت الإضافة إليها حتى عصر يهوشع بن صانوق .

ج - لفائف أعداد الأسباط .

د - لفائف باعترافات الأنبياء .

هـ - مجموعات من روايات بيت داود .

و - أقوال الأنبياء ومجموعاتهم في بابل .

ز - أقوال الكهنة والأنبياء العائدين من المبيى .

ح - كلمات مختارة من عصر الحشمونيين .

وعن تورا الكهنة وسفر العدد - يقول باسم المهرطق كما هو مفهوم - كما هما
لدينا حاليا فإنها متلخران جدا ، ولا يمكن تقديم زمنهما عن بداية الهيكل الثاني .

ومع هذا ، فإنه يضيف في نهاية كتابه وفي شكل إجابة ما يلي : ضد
الهراطقة يسكر نسي منبع الوشاية ثم يؤكد كلامه باعترافه بأن كل أبحاثه لا تمس
الوصايا العملية لأنه ليس لنا قيمة أمام هذه الشريعة .

ومن خلال هذه المقدمة والخاتمة أصبح بحث هيرش الذي قدمه باسم المهرطق
الأول في اللغة العبرية الذي يتناول ليس فقط بناء أسفار العهد القديم المتأخرة ، بل
أيضا مادة مصادر أسفار التوراة الخمسة ، التي لم يقترب منها الربى نعمان كروكل
نفسه .

١٢ - الطليعة ومحررها ي . ش . شهور

غير أن الاحتياطات العديدة التي نهجها هيرش كان قد انتهى عصرها بالفعل
في زمنه . فزمنلازه ومعاصروه لم يكونوا بحاجة لقناع ، أما فيما يتعلق بالمضمون فقد
كانوا أكثر حرصا منه .

وقد أعرب أولئك الذين التفوا حول " الطليعة " عن رأيهم بكبرياء ، وفتحوا بابا
لمعرفة النقد المدون باللغة الألمانية لجمهور القارئين باللغة العبرية . وباستثناء كروكل
الابن ، فقد اشترك أحيانا في " الطليعة " ١ . جايجر نفسه وكان زعيم المتحشئين فيها
رئيس التحرير ي . هـ شهور حسيد " اليهود الغربيين " في عصره ، كما كان لديه نزعة
استقامة كمصلحي الدين في ألمانيا ، الذي وجد نقد العهد القديم له وطنا في وسطهم .
كما أن الشاعر ميخا يوسف ليفنزون الذي أقام فترة ما في برلين أفاد من علماء
العصر - سينشور زكش ي . ل . تسونس - وتأثر بالبحث الحر ، وفي ملاحظاته
الشعرية عن " سليمان والجامعة " أوضح أن " من له عينان يرى أن هذا السفر يعود
لابناء العصور المتأخرة ، سواء في لغته أو في موضوعه وربما ألف في عصر
العثمانيين " .

١٣- خلافات المحافظين حول الأدب

وبدا شور فصله بدراسة لتبيرة كبار الباحثين - شموئيل دافيد لوتسانو والريبي نحمان كروكمل ويوسف شلومو روفيه - الذين خرجوا على الطريق التقليدي ، وبدأوا فحص العهد القديم بأسلوب النقد وتعديل الأخطاء التي ظهرت فيه . وفي رؤيته أن هذا "لم يسقط حاشيا لله سور العقيدة" ، "كما لم يسقط بسبب تعديلات الكتبة وتغييرات الشيوخ ومن الاختلافات التي بين الوصايا الأولى والأخيرة وغيرها " ، لأن "الروح ، روح الله السائدة في الكتابات المقدسة هي غذاء الجماعة وهي القائمة معجزة للشعوب " وليس الحروف والكلمات . والدليل على ذلك الاختلافات العديدة بين أسلوب الماسورا وأسلوب النصوص الواردة في التلمود والمدراسيم . وتتبع ي . هـ . شور تفسيرات الصيغ وأحصى ثلاثين موضعا في التوراة بعد أن قام شموئيل دافيد لوتسانو وكذلك ريفمان بتعديل أسفار الأنبياء والمكتوبات فقط . ولم يقتريا من التوراة ، وقرر شموئيل دافيد لوتسانو بأنه لم تطرأ أخطاء في الأسفار الخمسة ، وأنها حفظت كلية حفظا تاما منذ عصر كتابتها حتى عصر طباعتها . ويفهم من ذلك أن أدلة هشور لا تزال تزيد نار الانقسام ، ولكي يبرهن ي . هـ . شور على صدقه اضطر إلى أن يتعمق أكثر في أدب النقد ويلتمس مساعدة علماء الأمم ، فترك تفسير بوهلن لسفر التكوين عليه أثرا كبيرا ، وكذلك اختلافات الصيغ عند كينكوت وكتب روهده وفاتكه . ولكونه رجل حرب جسور ، رفع إشارة الحرب للدفاع عن أفضلية نظرية المصادر ، أو - كما دعا بلفته - من أجل "الصيغ المختلفة التي كانت أمام محرر أسفار التوراة . " ويضجة كبرى ، وصيحة حرب باغت القارئ العبري بتوضيح الغموض والازنواج في أحداث الخلق والطوفان ، والروايات عن لوط ، والازنواج حول شراء المفارة ودفن إبراهيم وقدم رفقة ولقاء إسحاق ويركته وتأكيد الاسم يوسف وتغيير الاسم يعقوب إلى إسرائيل ويبيع يوسف والخروج من مصر وأكل المن ، وأظهر بوضوح أنها لا تكون مصدرا واحدا لأقوال التوراة بل "كانت صيغا مختلفة أمام محرر التوراة التي أدخلها سويا في جمعه " .

وأضاف في كل مقال جديد له عن نقد العهد القديم سخطا شديدا ، غير أنه هو نفسه لم يقدم أي منهج عن تاريخ بناء أسفار العهد القديم ، بل طرح داخل العالم العبري الصعوبات الكثيرة والغموض المفاجئ ، وبعض التعديلات والتجديدات . كما استوعبها من الخارج ، منها ما هو مناسب جدا وثو قيمة . وعلى الرغم من ذلك كانت

متفرقة ومهلهلة وغير مرتبطة برؤية واحدة، وتسبب هذا أكثر فيما يتعلق بصور تفتيد المعقدة . وفي نفس الوقت توجه معاصريه تجاه ناحية أخرى ، أما الدائرة التي تركزت فترة حول راية "الطليعة" ، راية الإصلاحيين والحرب ضد القديم، زالت وتضاطت وتوقفت تأثيرها .

١٤- رد فعل الحركة القومية

وتبدلت في عصر شور نزعة المحافظة على القديم في الأدب العبري الحديث. فظهور الحركة القومية التي انتقلت إليها السلطان الروحي في السبعينيات ، انتقلت البؤرة الأساسية للحرب ضد الجبهات الداخلية تجاه المجديين في الخارج . فالعلماء اليهود في الغرب الذين حملوا مشعل النور في نظر المثقفين الأوائل صاروا من الراضين للاتجاه القومي ومحتقرين في نظر المثقفين الجدد . فالمكانة التي أعطيت للانتماء في الغرب والذي ساد في دوائر "يستان الجمال" و "الطليعة" ، فهم في دوائر "الفجر" على أنه عار وهذه الكراهية المتعلقة كانت موجهة في المقام الأول ضد نقد العهد القديم ، والذي كان في الغرب يمثل إرث المجديين في الدين ، الكارهين لأبناء جبل "الفجر"

وقبل أن تسود الرومانتيكية القومية لنفس الجيل توجهت إلى إحياء البحث في الأدب الرمزي للجماعة وفتح مجالات جديدة لفهمه، غير أن محفل الحب والإعجاب أشاد بها وتأخر عنها . وقد قام علماء العصر بمهمة كبيرة بغيرتهم على العهد القديم لنلا يؤثر على الأدبيات العبرية أي انتصار للعمل العلمي المتزايد ، ولكي لا يتأثر بالنتائج التي حدثت في الخارج حتى لا يسقط مجد سفر الأسفار كثر أدب الجماعة . ففي الخمسينيات واجهت الأدبيات العبرية كتاب "النص الأصلي" "الابراهيم جايجر بأمل حذر وصيحة احترام ، وفي السبعينيات صدرت كل كتابات تسونس بمناسبة الاحتفال ببوييله وفيها أيضا أبحاثه النقدية ، ولم يجد أذانا صاغية داخل الأدبيات العبرية في ذلك العصر . وبلا شك لم يسمع آنذاك شخص بالعبرية عن ظهور فلهاوزن وانتصارات منرسته . فقد اعتبروا مفسدين لبستان اليهودية ، ومن من بين اليهود يستمع لهم ؟

١٥- بيرتس سمواينسكين

وعندما وضع تفسير جريتس لنشيد الأناشيد أمام بيرتس سمواينسكين ، ففى ملاحظاته على الكتاب النقدي لجريتس عن المزامير عبر بأشمنزاز عن هذا الاتجاه لفكرة نقد العهد القديم بقوله : "لم أشمنز فقط من قراءة هذا الكتاب بل أيضا من الكتابة عنه . والتعبير الأكثر صدقا عن مثل هذه الكتب هو تجاهلها . " وظل أقواله المعبرة عن علاقة الموالين لنقد العهد القديم بقوله : بعد أن يدأس مجد إسرائيل بأقدام الشريرين من كل اتجاه وأيضا بعد انتقادات عصرنا وكل إرثنا تمتد يد الشر لالتقاط رماد مجدهم . وفى هذا الوقت .. أيضا يظهر رجل من اليهود .. لم يجد قولا حسنا ، ليشقى نفسه به ، إلا الوقوف مثل خطاب يحمل فلسفا لإسقاط فرع تلو الآخر ، وغصن تلو غصن فى حديقة اليهود وتعرضها للسخرية والازدراء .. ليسلب منا أيضا نفائسنا القديمة . وفى الوقت الذى نشرب فيه كأس المحرمات ، تصبح تكريات العصور القديمة بمثابة شراب أو دواء للعديد من البائسين . " وأعرب تيار جماهيري كامل بمثل هذه الكلمات عن علاقته بنقد العهد القديم .

١٦- دافيد كهانا

وبالفعل بدأت فى الأدبيات العبرية آنذاك فترة التدم على أخطاء شباب سنوات النقد . وفى عصر رابى شلومو لوريا والفوفورت ومؤيديه دعا بيرتس سمواينسكين إلى حرمة الأخذ بمنهج تأخر معظم الكتابات المقدسة ، ومن بعده وحتى الآن تشجع العديد للعمل مثله " ... ، لأجل القضاء على هذا "المرض" حيث برز من "الفجر" زئيف يعقوب عمدين بن تسيفى ، ودافيد كهانا وغيرهما لإعادة التاج إلى مكانه القدي . وكتب دافيد كهانا كتابا كثيرة ليبرهن أن الملك سليمان هو الذى كتب نشيد الأناشيد والجامعة والأمثال . وتشجع ليبرهن فى "مامورة قيد التوراة" أن نص الماسورا الذى أمامنا لا يوجد به أى خطأ . ولا يزال يعارض فى العديد من المقالات المجموعة والفصليات أى تعديل النصوص المقدسة وفى تفسير الالتفات . ولم ينزل بقى بعد أى شخص إلى النقد العلمى الخاص بتكوين أبى العهد القديم . وامتنعت الأدبيات العبرية عن الاستجابة لعلم العهد القديم

١٧- ش.ف.رفينوفايتس

وعندما أقدم ش.ف.رفينوفايتس على ترجمة كتاب جريش "تاريخ إسرائيل" إلى اللغة العبرية لم يجرأ على إدخال أقوال جريش عن تاريخ العهد القديم في الآبيات العبرية بسبب خوفه من النقد ، فحذف كلية الفصول الخاصة بتاريخ العهد القديم مع كل الملاحظات والإشارات المنتمية إلى ذلك وعطل ذلك بقوله: إن أقوال المؤلف بشأن "نشأة الكتابات المقدسة وتأليفها ... وأساسها في نقد العهد القديم " ، وأسلوبها بعيد عن فكر المترجم وأنه لا يرى في تلك الدروس أى فائدة للغالبية العظمى من القارئ باللغة العبرية .

١٨- البراعم الجديدة

ولم تتغير العلاقة حتى قبل أن تتعمق الحركة القومية بين اليهود وتنتهى حرب الدفاع التى نشبت عشرات السنين فى الداخل والخارج ويتم الانتقال إلى العصر الإيجابى . عصر الاستتارة فى الإبداع . حيث احتل " البعث " مكان " الفجر " وكان الدليل القاطن لهذه المهمة الجديدة فى الأنبياء العبرى والبرهان الأول الذى اخترق الجدار وشجب التجاهل الذى أبداه الكتاب اليهود تجاه علم العهد القديم . فقد أشار أحاد همام بمرارة إلى حقيقة أن "تفسير مندلسون وتلاميذه لا يزال غثنا حتى الآن، بمثابة الكلمة الأخيرة " فى معرفة العهد القديم " . فى الوقت الذى لا يتوقف "الأوربيون " فيه عن بحث وتفسير كتبنا المقدسة ، وأشار فى الواقع إلى تفسير نوبك وبعا الكتاب اليهود أن يعملوا بالعبرية ما يشبهه ، وعندما بدأ بعد ذلك أفراهام كهانا فى إصدار العهد القديم مع تفسير علمى مؤسس على أساس من بحث العهد القديم فى عصره ، وعلى أساس نظرية تقسيم المصائر ، احتشد حول عمله جماعة من المفسرين الماهرين ففهم إبراهيم كهانا نفسه أسفار التكوين والخروج والعدد ويونا : ش.كرويس سفر إشعيا وتحفى جريش حيوت ، سفرى : المزامير وعاموس ، وموشيه تسفى سيجل سفر صموئيل ، ومئير لامبرت سفر دانيال ، ويى بن تسيون فينكاف أسفار : هوشع ويوثيل وعوبنيا . وكان أحاد همام واحدا من القلائد الذين باركوا هذا العمل . أما ميخا يوسف بريدتسفسكى الذى دمر الشك وطرح التساؤل "لن أنا أشقى " فقد رأى فى كل هذا العمل "تأسيس نقد الكتابات المقدسة بالعبرية " - جراءة متزايدة .

ومع ذلك فإن أحاد همام نفسه لم يشتغل بنقد العهد القديم ، وفي مقال وحيد له كتبه عن موضوع متعلق بالعهد القديم - موسى - تحرر فيه كلية ووضع وثيقة للفحص العلمي للواقع الفعلي لعصر العهد القديم وفي رأيه أن أقوال العهد القديم ليست سوى "صورة خيالية ، ابتدعتها الجماعة طبقا لحاجتها وميلها الروحي" ، والأكيد أن "هذه الصورة الخيالية لموسى النموذجي" هو الذي أثر على الجماعة آلاف السنين ، وهو البطل الحقيقي الذي يجب بحثه ومعرفة ، لكي نقف على أساسه على جوهر الجماعة . وحقا حافظ على احترام روايات العهد القديم ، ولكنه أفرغها من مضمونها الواقعي لتظهر الحقيقة التاريخية - أو حسب تعبير أحاد همام الحقيقة "المادية" - للبحث في إصلاحها بقوة .

ومن فوق المناظر الأدبية لأحاد همام بدأ يتربد أيضا صدى أدب النقد الخارجي، وكتبت أيضا بعض الأبحاث المرتبطة بالمصادر وظهرت في "البعث" مقالات الدكتور شمعون برينغلد الأولى عن أسفار العهد القديم ، وتواصلت هذه المقالات وانتشرت ثم جمعت سويا في مدخل شامل ونشر أيضا مثير إيش شالوم أبحاث في "البعث" . وفي كتيب أولى لـ "كنز اليهودية" التي أسسها أحاد همام قدم دافيد نيمرك خلاصة بحثه عن "الأصول" وقد تطور بحثه بعد ذلك إلى كتاب قائم بذاته على أسس النقد التاريخي وجاء فيه لأول مرة باللغة العبرية قسم مفصل عن التوراة وعلى أساس من المصادر . ونهض بعدهما آخرون لتأسيس أصول النقد في فروع مختلفة لنقد العهد القديم باللغة العبرية .

وبعد انتقال تحرير "البعث" إلى يوسف كلوزنر ، الذي اهتم أيضا بنقد العهد القديم وتاريخ بني إسرائيل في عصر العهد القديم ، استمرت في الظهور الأبحاث عن تاريخ أدب العهد القديم ونشأت منابر جديدة لبحث اليهودية باللغة العبرية مثل "الشرق" التي كان أحد محرريها أفرام زيزوفسكي ، مما يظهر عمق البحث في لغة العهد القديم ومن هذه المناظر "المستقبل" ، و"البدرو" "العصر" "المقدس" وغيرها ، وهكذا احتل البحث العلمي في فروع مختلفة لعلم العهد القديم مكانا ثابتا .

واجتاز المحرث ، وحرث الحقل المهجور وظهرت الإبداعات الجديدة لبداية هذا القرن أبناء الشيخوخة لنقد العهد القديم من الإسرائيليين الذين عصرهم مثل عصر العهد القديم نفسه . ومن خلال التردد الشديد وخطي دقيقة ويتأخر الزمن استمرت العقيدة العبرية الطمعية وهبطت إلى إرثها القديم . ومن يعرف؟ ربما صفحات من كتاب، بقيت مجهولة حتى الآن ، وتكشف مستقبلا ويأتي زمن ويقرع صاحب القلعة نفسه .

الفهرس

3	تقديم المراجع
15	تصدير المترجم
17	مقدمة
	القسم الأول : نقد الموروث
19	الفصل الأول : تثبيت العهد القديم
27	الفصل الثاني : النقد فى التلمود
41	الفصل الثالث : المحافظون والمعارضون
55	الفصل الرابع : علم النحو والبحث الدينى
83	الفصل الخامس : التفاسير النصرانية
91	الفصل السادس : باروخ سبينوزا وأراؤه فى العهد القديم
	القسم الثانى : النقد العلمى
103	الفصل السابع : نظرية المصادر
119	الفصل الثامن : تحديد المصادر الأربعة
139	الفصل التاسع : قلهاوزن ومدرسته
149	الفصل العاشر : تأثير الحفريات
167	الفصل الحادى عشر : الاتجاهات الحديثة
	القسم الثالث : النقد عند اليهود فى القرن التاسع عشر
179	الفصل الثانى عشر : علم الدراسات اليهودية فى الغرب ..
	الفصل الثالث عشر : نقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية الحديثة
203	

المشروع القومي للترجمة

- ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) جون كوين
- ٢ - الوثنية والإسلام له مانهو بانينكار
- ٣ - التراث المصري جورج جيسى
- ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو انجا كاريتشكوفا
- ٥ - ثريا في غيبوبة إسماعيل لمصيح
- ٦ - اتجاهات البحث البعث الهنسي ميكا إيفيتش
- ٧ - العلوم الإنسانية واللغة لوسيان غولمان
- ٨ - مشطو الحرائق ملكس فريش
- ٩ - التحيزات البيئية أندرو س. جردى
- ١٠ - خطاب الحكاية جيرار جينيت
- ١١ - مختارات فيسافا شيمبرويسكا
- ١٢ - طريق العرير ديفيد براونستين وإيرين فرانك
- ١٣ - ديانة الساميين روبرتسن سميت
- ١٤ - التعليل النفسى والأدب جان بيلمان نويل
- ١٥ - المعركات الفنية إدوارد لوريس سميت
- ١٦ - اثنية السويد مارتن برنثال
- ١٧ - مختارات فيليب لازكين
- ١٨ - الشعر القاتلى فى فكرة التلجيبه مختارات
- ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة جورج سفيريس
- ٢٠ - قصة العلم ج. ج. كولوثر
- ٢١ - خوخة وألف خوخة صمد بهرئى
- ٢٢ - منكرات رحالة عن المصريين جون أنتيس
- ٢٣ - تجلى الجميل هانز جيجور جاندامر
- ٢٤ - ظلال المستقبل باتريك بارنغر
- ٢٥ - مثنوى مولانا جلال الدين الرومى
- ٢٦ - عين صبر العام محمد حسن فيكل
- ٢٧ - التنوع البشرى الخلاق مقالات
- ٢٨ - رسالة فى التسامح جون لوك
- ٢٩ - الموت والوجود جيسى بـ كارس
- ٣٠ - الوثنية والإسلام له مانهو بانينكار
- ٣١ - مصادر دراسة للفروع الإسلامى جان سولافجي - كلود ككين
- ٣٢ - الاتقراض ديفيد روس
- ٣٣ - الفروع الثقافى إفريقيا الغربية أ. ج. هوبكنز
- ٣٤ - الرواية العربية راجر أن
- ٣٥ - الاسطورة والحلقة يوك . ب . نيكسون
- ٣٦ - محمد علاء الدين منصور
- ٣٧ - سعد مصلوح / وفاة كامل فابيد
- ٣٨ - يوسف الأنطكى
- ٣٩ - مصطفى ماهر
- ٤٠ - محمود محمد عاكور
- ٤١ - محمد متشم وبعد الجليل الزكى وسر على
- ٤٢ - هلاء عبد الفتاح
- ٤٣ - أحمد محمود
- ٤٤ - عبد الوهاب طوب
- ٤٥ - حسن المحدث
- ٤٦ - أشرف رفيع عطيفى
- ٤٧ - ييلشرف / أحمد عثمان
- ٤٨ - محمد مصطفى بدوى
- ٤٩ - طلعت شاهين
- ٥٠ - نعيم عطية
- ٥١ - يمشى طريق الغولى / بدوى عبد الفتاح
- ٥٢ - ماجة الضلال
- ٥٣ - سيد أحمد على الناصرى
- ٥٤ - صعيد توفيق
- ٥٥ - بكر جيس
- ٥٦ - إبراهيم الصوالى شتا
- ٥٧ - أحمد محمد حسين فيكل
- ٥٨ - نخبة
- ٥٩ - منى أبومسته
- ٦٠ - بدر العيب
- ٦١ - أحمد فؤاد بلبح
- ٦٢ - عبد الستار الطربى / عبد الوهاب طوب
- ٦٣ - مصطفى إبراهيم فهمى
- ٦٤ - أحمد فؤاد بلبح
- ٦٥ - حصة إبراهيم الحنيف
- ٦٦ - خليل كلفت

- ٢٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن
- ٢٧ - راحة سيوة وموسيقاها بروجيت شيفر
- ٢٨ - نقد العداثة آلن تودس
- ٢٩ - الإغريق والعدد بيتر والفوت
- ١٠ - قصائد حب أن سكسون
- ١١ - ما بعد المركزية الأوروبية بيتر حراز
- ١٢ - عالم ماك ستامبين ماريو
- ١٣ - اللون المربوح أوكتايفو ياك
- ١٤ - بعد عدة أصناف ألدوس هكسلي
- ١٥ - التراث المفسر روبرت ج نيبا - هون فا هلين
- ١٦ - مشرون قصيدة حب مابلو ميرودا
- ١٧ - تاريخ الفن الأدنى الحديث (١) روبين ويلك
- ١٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا بوما
- ١٩ - الإسلام في اللغات ه ت موديس
- ٢٠ - ألف ليلة وليلة أو الفول الأسير جمال الدين بن السنج
- ٢١ - مسار الرواية الإسماعيلية أمريكية داريو جياويا و غ م بيتايليني
- ٢٢ - العلاج النفسي التجميعي ميخو . د . نوباليس وستيفان ج روجسيفيتز و دوجو بيل
- ٢٣ - الدراما والتعليم أ ف . التنتين
- ٢٤ - المفهوم الإغريقي للصرح ج . مايكل والتون
- ٢٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهوم
- ٢٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسيه لوركا
- ٢٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسيه لوركا
- ٢٨ - مسرحيات فديريكو غرسيه لوركا
- ٢٩ - المهبرة كاكرويس مونيت
- ٣٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتين
- ٣١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سكيت
- ٣٢ - لغة النص رولان بارت
- ٣٣ - تاريخ الفن الأدنى الحديث (٢) روبين ويلك
- ٣٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان رود
- ٣٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل
- ٣٦ - خمس مسرحيات لندسية أنطونيو جالا
- ٣٧ - مقالات فريدمان بيسوا
- ٣٨ - تاملات العجز وقصص أخرى هالنتين واسويتين
- ٣٩ - العلم الإسلامي في قرون القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم
- ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية لوخينيو تشانج وديريت
- ٧١ - المهيدة لا تصلح إلا الرمي تاريو نو
- ٣ : حياة جاسم محمد
- ٣ : جمال عبد الرحيم
- ٣ : أنور مكيث
- ٣ : منيرة كروان
- ٣ : محمد عبد إبراهيم
- ٣ : عطف أحمد / إبراهيم قتي / محمود ملج
- ٣ : أحمد محمود
- ٣ : المهدي أحريف
- ٣ : مارلين تادرس
- ٣ : أحمد محمود
- ٣ : محمود السيد علي
- ٣ : مجاهد عبد النعم مجاهد
- ٣ : ماهر جويحاني
- ٣ : عبد الزهراء علوب
- ٣ : مصدرة وشتي للبلد يوسف الأسكن
- ٣ : محمد أبو العطا
- ٣ : لطفي فطيم وعادل درماش
- ٣ : عيسى سعد الدين
- ٣ : محسن مصلي
- ٣ : علي يوسف علي
- ٣ : محمود علي مكي
- ٣ : محمود السيد ماهر البطوطي
- ٣ : محمد أبو العطا
- ٣ : السيد السيد سيم
- ٣ : عيسى محمد عبد الفتى
- ٣ : مراجعة وإشراف محمد الجوهري
- ٣ : محمد خير الياقبي
- ٣ : مجاهد عبد النعم مجاهد
- ٣ : وميسر عوض
- ٣ : وميسر عوض
- ٣ : عبد الطيف عبد الطيم
- ٣ : المهدي أحريف
- ٣ : أشرف الصياغ
- ٣ : أحمد فؤاد ستولي ومويدا محمد فهمي
- ٣ : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
- ٣ : حسين محمود

- ٧٢ - السيلسي المصور
٧٣ - نقد استعمالية القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالكي في مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - جاك لافان ولغراء الطبل النفسي
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢
٧٨ - القصة: القصة الأدبية والفنية
٧٩ - شعرة التخليق
٨٠ - يوشكين عند متاعرة الموعود
٨١ - الجماعات المنفصلة
٨٢ - صرح ميجيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - مرسوعة الألب والفند
٨٥ - منصور العلاج (مترجمة)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالتمرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - رسم السيد (قصص)
٩١ - للسرح والمروحين: القصة والخيال
٩٢ - لساليب ومضامين المسرح
الإسباني وأمريكا المعاصرة
٩٣ - محذرات العلة
٩٤ - الحب الأول والصحة
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زبيلات بورد
٩٧ - هوية فرنسا (مع ١)
٩٨ - لهم الإسباني والفرنسي الصيغتين
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - صناعة العولة
١٠١ - للنص الروائي (نقائات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والقصاص
١٠٣ - قبر ابن عربي عليه آية
١٠٤ - أوبرا ملهوجيني
١٠٥ - محفل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الكلاسيكي
١٠٧ - صورة القارئ في الشعر العربي القديم
- ٣٠ ص . إلهوت
ج. ب . نوميكنز
ل . ا . سيمينولا
أنثوية مودوا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رومانو ويريسوي
بروسي أوسيسكي
ألكسندر موشكي
نفتك أندرسن
ميجيل دي اولاموبو
غونفريد من
مجموعة من الكتاب
صلاح زكي المطاى
جمال مير صافى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
انتوني جينز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
بازيرو الانجوستكا
كارلوس ميجل
مايك فينرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بوررو باييفو
قصص مختارة
فرنان برودي
نماذج ومقالات
فيلهارد روبنسون
بول هيرست وجراهام تومسون
بيرنار فاليف
عبد الكريم الخطيب
عبد الوهاب المؤيد
بزنوك بيرشت
جيرار جينيت
د. ماريا خيسوس روبينواشي
نخبة
- ٣ : لؤاد مجلى
٣ : حسن ناظم وعلى حاكم
٣ : نعين بيومي
٣ : أحمد درويش
٣ : عبد المصمود عبد الكريم
٣ : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٣ : أحمد محمود ونورا أمين
٣ : سعيد العائني وناصر حلاوي
٣ : مكارم الفري
٣ : محمد طارق الشرفاوي
٣ : محمود السيد على
٣ : خالد المالكي
٣ : عبد الصمد شحمة
٣ : عبد الرزاق بركات
٣ : أحمد فتحي يوسف شنا
٣ : ماجدة الضاني
٣ : إبراهيم السوفلي شنا
٣ : أحمد زايد ومحمد محي الدين
٣ : محمد إبراهيم بيروك
٣ : محمد هاء عبد الفتاح
٣ : نادية جمال الدين
٣ : عبد الوهاب طوب
٣ : غوزية العشماوي
٣ : مري محمد محمد عبد الطيف
٣ : إيمار الخراط
٣ : بشير السباعي
٣ : لشرف الصباغ
٣ : إبراهيم فتويل
٣ : إبراهيم فتحي
٣ : ولجيد شندر
٣ : عز الدين الكتاني الإندريسي
٣ : محمد بيتيس
٣ : عبد الغفار مكاوي
٣ : عبد العزيز شيل
٣ : أشرف على شعور
٣ : محمد عبد الله الجعدي

- ١٠٨ - ٢٥٥ رسائل عن الشعر الثنائي
١٠٩ - حروب المياه
١١٠ - النساء في العالم الثامن
١١١ - المرأة والحريّة
١١٢ - الاحتجاج الهادي
١١٣ - راية النور
١١٤ - صرخة ضد كرمي وسكان السكك
١١٥ - غرفة شخص المرء وحده
١١٦ - امرأة مشقة (مرأة شقية)
١١٧ - المرأة والجنسية في الإسلام
١١٨ - النهضة الفلسطينية في مصر
١١٩ - النساء والأسرة والوطن للطلال
١٢٠ - المرأة تنسج وتكفر في القلق الأبد
١٢١ - تحليل الصبي في كتابة المرأة العربية
١٢٢ - نظام العجبة القديم يحتاج الإنسان
١٢٣ - المرأة العربية العجبة ومطبخها العربية
١٢٤ - الشعر الكندي
١٢٥ - التحليل الموسيقي
١٢٦ - فعل القراء
١٢٧ - إلهاب
١٢٨ - الألب المقارئ
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ القديم)
١٣٢ - ثقافة العولمة
١٣٣ - الخوف من القرابة
١٣٤ - تشريع حضارة
١٣٥ - المتنون في ديوان (كتاب ليزا)
١٣٦ - فلاحو البلباشا
١٣٧ - ملكوت خليل في العلة القرصية
١٣٨ - علم القديسين بين الجمال والعتق
١٣٩ - باريسفان
١٤٠ - حيث تلقى الأتجار
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ وجمال
١٤٣ - قديس القديس في البحث التفسيري
١٤٤ - صاحبة الأوكازنة
١٤٥ - مجموعة من النقاد
جون بولوك وعامل درويش
حصة بيجوم
فرانيس هينغتون
أرلين طوي مكاليجو
سامي بلات
رول شينكا
فرجينيا رولف
سينثيا تلسون
ليلى أحمد
بت بلرون
أميرة الأزهرى سنيل
ليلى أبو لغد
فاطمة موسى
جوزيف هوجت
نيتل الكسندر وفنادوكينا
جود جردى
ميدريك ثوربي ميلى
فولفغانج ليسر
مساء فتحي
سوزان بلستيت
مليريا مولورس أسيس جلرود
اندريه جينود فراند
مجموعة من المؤلفين
ملك فينرستون
بلاتل على
باري ج. كيمب
دي. بي. إبيوت
كينيث كوتو
جوزيف ماري مواريه
ليفيانا تارونى
ريشارد فلچنر
هوبرت ميسن
مجموعة من المؤلفين
أ. م. فورستر
ديريك لايدار
كلارك جولدوتى
ج - محمود على مكي
ث : هشام أحمد محمد
ث : منى الخان
ج : ريهام حسن إبراهيم
ث : إكرام يوسف
ث : أحمد حسان
ث : نسيم مجلى
ث : سميرة ومغان
ج : نهاد أحمد سالم
ث : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ث : ليس النفاش
ث : بلبلراند / رولف عباس
ث : نخبة من المترجمين
ث : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
ث : منيرة كروان
ج : أنور محمد إبراهيم
ث : أحمد هزاد بلبع
ث : سمح القوي
ث : عبد الوهاب طوب
ث : بشير السباعي
ث : أميرة حسن نورية
ث : محمد أبو العطا وآخرون
ث : شوقي جلال
ث : لويس بلقر
ج : عبد الوهاب طوب
ث : طلعت الشايب
ث : أحمد محمود
ث : هاجر شوقي فرود
ث : سحر شوقي
ث : كاسيليا صمسي
ث : وجيه سمعان عبد المسيح
ث : مصطفى هاجر
ث : أمل الجبوري
ث : نعيم عطية
ث : حسن بيومي
ث : علي السمرى
ث : سلامة محمد سليمان

- ١١٥ - موت فرجينيا كيرش
١١٦ - الثورة الحمراء
١١٧ - خطبة الجمعة الطويلة
١١٨ - الكلمة القصيرة (نظرياً وكتباً)
١١٩ - الثورة الشعرية ضد إيهود ليفي
١٢٠ - التجربة الإفريقية
١٢١ - هوية فرنسا (مع ٢٠٢ ع)
١٢٢ - مجلة الهلال والفصل لآخرى
١٢٣ - غرام القراءة
١٢٤ - مدرسة فرانكفورت
١٢٥ - الشعر الأمريكي المعاصر
١٢٦ - للفرانسيس الجبال الكبرى
١٢٧ - خسرو وشهرين
١٢٨ - هوية فرنسا (مع ٢٠٢ ع)
١٢٩ - الإيديولوجية
١٣٠ - آلة الطبيعة
١٣١ - من المسرح الإسباني
١٣٢ - توليف الكتابة
١٣٣ - موسوعة علم الاجتماع
١٣٤ - شاعريتين (حياة من نور)
١٣٥ - حكايات الخطب
١٣٦ - المخرج العربي واليهود في إسرائيل
١٣٧ - في علم طائر
١٣٨ - دراسات في الأدب والثقافة
١٣٩ - إيداعات أدبية
١٤٠ - الطريق
١٤١ - وضع حد
١٤٢ - حجر الشمس
١٤٣ - معنى الجمال
١٤٤ - مسألة الثقافة السوداء
١٤٥ - الكثرين في الحياة اليهودية
١٤٦ - نحو طيف الخصائص البيئية
١٤٧ - آفاق شينيف
١٤٨ - سطرلحن الشعر العربي الحديث
١٤٩ - حكايات ليسب
١٥٠ - قصة جلويدي
١٥١ - نقد الكوميدي الأمريكي
- كاروليس لوبيتشس
ميجيل دي ليس
تذكير مودست
إيريك أندرسون إمبرث
عاطف فضول
روبرت ج. لينمان
فرنان برودل
نخبة من الكتب
فيولن فانويك
فيل سليفير
نخبة من الشعراء
جى انبال واكن وأرديت ليرمو
النظامي الكروبي
فرنان برودل
ديفيد هوكس
بول إيريش
البياتندو كسونيا وأنطونيو جالا
يوحنا الأسدي
جوردين مارشال
جان لوكوتير
أ. ن. لافانا سيفا
يشيمايو أيلمان
وليفرلنت طافور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المصنفين
ميثيل دلييس
فرانك بيجو
مفكرات
ولتر ت. شوش
إيليس كلشمور
أروينزو فيلشس
توم تيتيرج
هنري ثروايا
نخبة من الشعراء
ليسب
إسماعيل لصيح
فستنت . ب . ليتش
- ٥ - أحمد حسان
٥ : على عبد الرؤوف الجببي
٥ عبد الغفار مكاوي
٥ على إبراهيم على منوالي
٥ أسامة إسبر
٥ منيرة كروان
٥ بشير السباعي
٥ محمد محمد الخطابي
٥ فاطمة عبد الله محمود
٥ خليل كلات
٥ أحمد مرسى
٥ مى القيساني
٥ عبد العزيز بكريش
٥ بشير السباعي
٥ إبراهيم فحسي
٥ حسن بيومي
٥ زيدان عبد العظيم زيدان
٥ صلاح عبد العزيز محبوب
٥ مجموعة من المترجمين
٥ : تبيل سعد
٥ . سفير المصانفة
٥ : محمد محمود أبو خضير
٥ : شكوى محمد عباد
٥ : شكوى محمد عباد
٥ : شكوى محمد عباد
٥ : يسام ياسين رشيد
٥ : هدى حسين
٥ : محمد محمد الخطابي
٥ : إمام عبد الفتاح إمام
٥ : أحمد محمود
٥ : وجيه سمعان عبد المسيح
٥ : جلال الينا
٥ : هبة إبراهيم منيف
٥ : محمد حمدي إبراهيم
٥ : إمام عبد الفتاح إمام
٥ : سليم عبد الأمير حمدان
٥ : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنوبة
١٨٣ - چان كوكو على شاشة السينما
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تمام
١٨٥ - أحطار العهد القديم
١٨٦ - معجم مصطلحات فيجل
١٨٧ - الأرضة
١٨٨ - موت الألب
١٨٩ - العمى والبصيرة
١٩٠ - معاصرات كونفوشيوس
١٩١ - الكلام وأسمال
١٩٢ - سباحة إيهاب إبراهيم بك
١٩٣ - حامل المنجم
١٩٤ - مغروران في لحد الجبل - ليريكي
١٩٥ - شتاء ٨١
١٩٦ - المهلة الأخيرة
١٩٧ - الفاروق
١٩٨ - الاتصال الجماهيري
١٩٩ - تاريخ يوم مصر في الفترة المشابهة
٢٠٠ - ضحايا التسمية
٢٠١ - الجانب الديني للفلسفة
٢٠٢ - تاريخ الفن الأسي الحديث جا
٢٠٣ - الشعر والشاعرية
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم
- و . ب . بيتس
رونيه جيلسون
هانز إيشنورفر
توماس تومسون
ميخائيل أنوود
بروج غلوي
اللقين كرتان
بول دي مان
كونفوشيوس
الحاج أبو بكر إمام
زين العابدين المراهي
بيتر أبراهامز
مجموعة من النقاد
إسماعيل فصيح
فالتنن راسيونج
شمس الطعام - شيلي النعماني
إدوين إيمري وأخرون
يعقوب لانتاوي
جيرمي ميروك
جوزايا رويس
رونيه ويليك
أطلف حسن حالي
والمار شازار
- ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحى المشيرى
ت : دموقى سعيد
ت : عبد الوهاب طوبى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : علاء منصور
ت : بمر العيب
ت : سعيد الفانمى
ت : محسن سيد فرجاني
ت : مصطفى حجازى السيد
ت : محمود سلامة علاوى
ت : محمد عبد الواحد محمد
ت : ماهر شفيق فريد
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : أشرف الصماغ
ت : جلال السعيد الطنواى
ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد الطيب حماد
ت : غدرى ليبى
ت : أحمد الأنصاري
ت : مجاهد عبد المنعم محاهد
ت : جلال السعيد الطنواى
ت : أحمد محمود عويدي

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٥٤٨ / ٢٠٠٠

מפרד"ס התנ"ך

מחקרים במקרא

ובתולדות ביקורת המקרא

זלמן שזר

يقدم هذا الكتاب عرضاً موجزاً لتاريخ نقد العهد القديم : حيث يبدأ بوصف عملية تثبيت نص التوراة ، وهي عملية نقدية قام بها (عزرا الكاتب) في القرن الخامس قبل الميلاد : حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفوية . ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة وعوقف الفرق اليهودية من العهد القديم . وعملية البحث عن مؤلفي العهد القديم ، وموقف علما ، التلمود من العهد القديم .

وقد أشار المؤلف إلى ازدهار النقد في الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية . وتناول تطور التفسير المسيحية للعهد القديم ، وبخاصة عند هارتن لوتر وتلاميذه . كما اهتم بتوضيح دور الفيلسوف اليهودي سبينوزا في تطوير نقد العهد القديم وإثارته للعديد من المشاكل النقدية .

وتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من أسسثرون وتحديد المصدرين اليهودي والألوهيمي ، وإضافات أشيهورن ، وملاحظات هيردر . وتشعبات إجن المصدرية ، وآراء جدس وفير ودبي - فته ، وتحديد المصادر الأربعة للتوراة . وقد ناقش آراء مدرسة يوليوس فلهاوزن في تطوير علم نقد العهد القديم ، كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن .

وقد اهتم الكتاب بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمي للعهد القديم وتصور نقد يهودي حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية ، ونقد العهد القديم في الأدبيات العبرية وأهميته أيضا في نشأة نقد العهد القديم في العصر الحديث .